المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، فهذا شرح مختصر على متن ((سلم الوصول في توحيد الله واتباع الرسول)) للشيخ العلامة- حافظ بن أحمد الحكمي.
وقد شرح هذا المتن في دورة علمية، وقام بعض الإخوة بتفريغ الشرطة وكتابتها، وقمت بمراجعتها، ومعلوم أن ثمة فرق بين المكتوب المحرر، والمقول المرتجل، فلينظر الناظر فيه بعين الرضا، وأستغفر الله مما وقع فيه من الخطأ والزلل، وليكن الناظر مستحضرا قول الأخضري – رحمه الله تعالى-:

وَكُنْ أَخِي لِلمُبْتَدِي مُسَامِحَا ... وَكُنْ لِإِصْلَاحِ الفَسَادِ نَاصِحَا
وَأَصْلِحِ الفَسَادَ بِالتَّأَمُّلِ ... وَإِنْ بَدِيهَةً فَلَا تُبَدِّلِ
إِذْ قِيلَ كَمْ مُزَيِّفٍ صَحِيحَا ... لِأَجْلِ كَوْنِ فَهْمِهِ قَبِيحَا
وَقُلْ لِمنْ لَمْ يَنْتَصِفْ لِمَقْصِدِي ... العُذْرُ حَقٌّ وَاجِبٌ لِلمُبْتَدِي
وَلِبَنِي إِحْدَى وَعِشْرِينَ سنة ... مَعْذِرَةٌ مَقْبُولَةٌ مُسْتَحْسنة
لَاسِيَّمَا فِي عَاشِرِ القُرُونِ ... ذِي الجَهْلِ وَالفَسَادِ وَالفُتُونِ

وهذا يقوله في القرن العاشر فكيف بزماننا، فإلى الله المشتكى .
وقصدت فيه إظهار مذهب أهل الحق المتبعين لمنهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة، و لم أعرج على مذهب المخالفين، مراعاة للمبتدئين، وسميته ((تقريب المأمول بشرح سلم الوصول))، عسى أن أتبعه إن شاء الله تعالى بآخر يسمى((تحصيل المأمول بشرح سلم الوصول))، يقر أعين الأحباب الطالبين، ويكون شجا في حلوق المخالفين، وهاديًا للحائرين، وسيحتوي من التحرير والتحقيق ما يمن به الجواد الكريم، وأسأل الله أن يعين على إتمامه، وأن يوفق إلى بلوغ مرامه.
وختامًا: أسأل الله أن يجزي إخوة أفاضل قاموا على تفريغ الأشرطة المسموعة، ونسخها، فنالوا بذلك الأجر إن شاء الله تعالى، وأسأل الله أن ينفع به إنه سميع قريب.

وكتبه: أبو عبد الله / عمرو بن صبحي الشرقاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على نبيه وعبده، وآله وصحبه من بعده، أما بعد:

فهذا شرح ((سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم)).

وهنا سؤال: لماذا اخترنا سلم الوصول ؟

والجواب:

١- لأنه متن سهل عذب رائع، عندما تقرأ فيه تشعر بعذوبة ألفاظه وسهوله معانيه .

٢- لأنه قد اشتمل على جُل مباحث علم الاعتقاد .

٣- لأنه متن مختصر يصلح للحفظ، والمدارسة.

قال الشيخ رحمه الله:

١. أَبْـدَأُ بِاسْـمِ اللَّـهِ مُـسْـتَـعِـيْـنَـا ... رَاضٍ بِـهِ مُـدَبِّـرٍ مُـعِـيْـنَـا

٢. وَالْـحَـمْـدُ لِلَّـهِ كَـمَـا هَـدَانَـا ... إِلَـى سَـبِـيْـلِ الْـحَـقِّ وَاجْـتَـبَـانَـا

٣. أَحْـمَـدُهُ سُـبْـحَـانَـهُ وَأَشْـكُـرُهْ ... وَمِـنْ مَـسَـاوِي عَمَلِـي أَسْـتَـغْـفِـرُهْ

٤. وَأَسْـتَـعِـيْـنُـهُ عَلَى نَـيْـلِ الرِّضَـا ... وَأَسْـتَـمِـدُّ لُـطْـفَـهُ فِي مَـا قَـضَـى

٥. وَبَـعْـدُ: إِنِي بِالْـيَـقِـيْـنِ أَشْـهَـدْ ... شَـهَـادَةَ الإِخْـلاَصِ أَنْ لاَ يُـعْـبَـدْ:

٦. بِالْحَـقِّ مَأْلُـوهٌ سِـوَى ((الرَّحْـمَـنِ)) ... مَـنْ جَـلَّ عَنْ عَـيْـبٍ وَعَنْ نُـقْـصَـانِ

هذه المقطوعة من كلام الشيخ رحمه الله فيها مسائل:

- **المسألة الأولي: البسملة:**

درج العلماء على افتتاح كتبهم بالبسملة، لعدة أمور:

١. اقتداءا بالكتاب العزيز:

قال تعالى مفتتحا كتابه: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّـهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ (٢)} (سـورة: الفاتحه).

٢. اقتداءا بفعل النبي صلى الله عليه وسلم في إرسال كتبه للملوك، (السنة الفعلية).

عن ابن عباس: أن أبا سفيان أخبره، قال: فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه "قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى.......» الحديث.

٣. اقتداءا بكتب الأنبياء السابقين.

قال تعالى حكاية عن ملكة سبأ وهي تحكي الكتاب الذي وصل لها من سليمان – عليه السلام-: {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (النمل: ٣٠).

وذكر بعض اهل العلم سببًا آخر، وهو ما رواه الخطيب وغيره، ((كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر))ن وهو حديث ضعيف، ومما ينبه عليه ما أَخْرَجَه أَهْلُ السُّنَنِ وَابْنُ حِبَّانَ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ فَهُوَ أَقْطَعُ " وهذا حديث حسن، صححه النووي في الأذكار، وصححه ابن حبان وغيره.

- **إعراب البسملة، وشرحها:**

الباء حرف جر، **واسم** مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة.

"والجار والمجرور ضعيف" فيحتاج إلى ما يقويه، ويتعلق به، والمتعلق – بالفتح – يقدره العلماء فعلا = لأن الأصل في العمل الأفعال.

وورد ذلك في كتاب الله تعالى قال سبحانه: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} (سورة العلق: ١).

ويقدر هذا الفعل = متأخرا، مناسبا للمقام.

وله فائدتان ((للتأخر)):

١. التبرك بالبداءة باسم الله تعالى.
٢. الاختصاص، والحصر:

إذ تأخير ما حقه التقديم يفيد الحصر، بمعنى "باسم الله وحده، لا باسم غيره ".

ومنه قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} (الفاتحة: ٥)، أصلها "نعبدك" فقال إياك نعبد "لحصر العبادة وقصرها على الله تعالى .

- **الله:** لفظ الجلالة: علم دال على ذات الإله الحق، دلالة جامعة للأسماء الحسنى، الدال على صفه لله هي صفه الألوهية.

فلفظ الجلالة: مشتق من الألوهية وهى في الأصل العبودية.

قال تعالى: {وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ} (الأعراف: ١٢٧)، وفي قراءه ابن عباس "ويذرك وإلاهتك" أي: وعبادتك.

والتَّأَلُّهُ: التَّنَسُّك والتَّعَبُّد. والتأْليهُ: التَّعْبيد؛ قَالَ رؤبة:

لِلَّهِ دَرُّ الغَانياتِ المُدَّهِ ... سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ مِنْ تأَلُّهِي

وقال تعالى: {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} (الأنعام: ٣)، مع قوله سبحانه: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} (الزخرف: ٨٤)، فإله بمعنى معبود، فالمعني: وهو المعبود في السماوات وهو المعبود في الأرض.

- **والأسماء الحسنى كلها تابعة له:**

وأما قوله تعالى: {الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إليكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢)} (إبراهيم).

في هذه الآيات السابقة لفظ الجلالة "الله" يعرب عطف بيان أو بدل والأولى أن يكون "بدلا": إذ ثم فرق بين عطف البيان والبدل:

فالبدل: تقصد الثاني والأول ممهد له.   **وعطف البيان:** تقصد الأول والثاني مؤكد له وموضح.

فالمعني: لتخرج الناس إلى صراط الله العزيز الحميد، فالأسماء كلها تابعة له.

- **والرحمن:** اسم يدل على سعه رحمة الله تعالى، وهو دال على الصفة الذاتية، قال تعالى: { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف:١٥٦] .
- **الرحيم:** اسم يدل على وصول الرحمة إلى الخلق، وهو دال على الصفة الفعلية، قال تعالى: { يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ} [العنكبوت:٢١] .

وما سبق هي الرحمة التي هي صفةٌ لله عز وجل، وهناك رحمة هي خلق الله عز وجل، ومثالها ما ثبت عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ:" سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَقُولُ: جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حتى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ ".

فإذا قرأ الإنسان{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} يستشعر في قلبه رحمة الله، وجلال الله، وعظمة الله عز وجل.

- **تنبيه:** "الاسم ليس هو المسمى" وإلا لكان من قال نار = احترق لسانه، وكذلك ليس غير المسمي، ولكن الاسم للمسمى، قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} (الأعراف: ١٨٠)، وفي الحديث: " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ".

فقوله:

١. أَبْدَأُ بِاسْمِ اللَّهِ مُسْتَعِيْنَا   رَاضٍ بِهِ مُدَبِّرًا مُعِينَا

أي: أبدأ مستعينا بالله سبحانه وتعالى، وطالبا منه العون على فعل طاعته وترك معصيته، والنبي صلى الله عليه وسلم قال لابن عباس:" إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ".

قال رحمه الله:

٢. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هَدَانَا   إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَاجْتَبَانَا

حمد الله له فضائل كثيرة منها:

قول النبي صلى الله عليه وسلم:" وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ "، وقال صلى الله عليه وسلم:" أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلَّهِ "، وقال:" وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ".

١. وقوله: كَمَا هَدَانَا:

أي: لأن الله عز وجل هو الذي هدانا:

والهداية نوعان:

١. **هداية التوفيق:** وهي خاصة بالله عز وجل، لأن الله هو الذي يوفقك لترك المعاصي وفعل الطاعات، قال تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} (القصص: ٥٦).

٢. **هداية الدلالة والإرشاد:** "هداية التعريف" وهي للخلق، قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (الشورى: ٥٢).

قال رحمه الله:

٣. أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهْ   وَمِنْ مَسَاوِي عَمَلِي أَسْتَغْفِرُهْ

٢. وهنا مسألة: وهي الفرق بين الحمد والشكر:

ثمة فروق بين الحمد والشكر، وبين الحمد والمدح:

١. أن الحمد أعم من جهة أسبابه، وأخص من جهة أنواعه، والشكر بالعكس، (أعم من جهة أنواعه وأخص من جهة أسبابه).

فالحمد يكون على الإنعام، وغير الإنعام، والشكر لا يكون إلا على النعمة، والحمد يكون بالقلب واللسان، والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح .

٢. أن الحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبّه وتعظيمه، فلابدّ فيه من اقتران الإرادة بالخير، بخلاف المدح فإنّه إخبار مجرَّد.

وَلِهَذَا قَالَ تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} (سَبَأٍ: ١٣)، وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية: وَتَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ أَيُّهُمَا أَعْلَى وَأَفْضَلُ؟ وَفِي الْحَدِيثِ «الْحَمْدُ رَأْسُ الشُّكْرِ، فَمَنْ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ لَمْ يَشْكُرْهُ».

وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الشُّكْرَ أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ أَنْوَاعِهِ وَأَسْبَابِهِ، وَأَخَصُّ مِنْ جِهَةِ مُتَعَلَّقَاتِهِ. وَالْحَمْدُ أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ الْمُتَعَلَّقَاتِ، وَأَخَصُّ مِنْ جِهَةِ الْأَسْبَابِ.

وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّ الشُّكْرَ يَكُونُ بِالْقَلْبِ خُضُوعًا وَاسْتِكَانَةً، وَبِاللِّسَانِ ثَنَاءً وَاعْتِرَافًا، وَبِالْجَوَارِحِ طَاعَةً وَانْقِيَادًا. وَمُتَعَلَّقُهُ: النِّعَمُ، دُونَ الْأَوْصَافِ الذَّاتِيَّةِ، فَلَا يُقَالُ: شَكَرْنَا اللَّهَ عَلَى حَيَاتِهِ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَعِلْمِهِ. وَهُوَ الْمَحْمُودُ عَلَيْهَا. كَمَا هُوَ مَحْمُودٌ عَلَى إِحْسَانِهِ وَعَدْلِهِ، وَالشُّكْرُ يَكُونُ عَلَى الْإِحْسَانِ وَالنِّعَمِ.

فَكُلُّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الشُّكْرُ يَتَعَلَّقُ بِهِ الْحَمْدُ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ وَكُلُّ مَا يَقَعُ بِهِ الْحَمْدُ يَقَعُ بِهِ الشُّكْرُ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ. فَإِنَّ الشُّكْرَ يَقَعُ بِالْجَوَارِحِ. وَالْحَمْدَ يَقَعُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ.

قال شيخ الإسلام لما ((سُئِلَ: عَنْ " الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ " مَا حَقِيقَتُهُمَا؟ هَلْ هُمَا مَعْنًى وَاحِدٌ أَوْ مَعْنَيَانِ؟ وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَكُونُ الْحَمْدُ؟ وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَكُونُ الشُّكْرُ؟ .

فَأَجَابَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، " الْحَمْدُ " يَتَضَمَّنُ الْمَدْحَ وَالثَّنَاءَ عَلَى الْمَحْمُودِ بِذِكْرِ مَحَاسِنِهِ سَوَاءٌ كَانَ الْإِحْسَانُ إلَى الْحَامِدِ أَوْ لَمْ يَكُنْ وَالشُّكْرُ لَا يَكُونُ إلَّا عَلَى إحْسَانِ الْمَشْكُورِ إلَى الشَّاكِرِ فَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ الْحَمْدُ أَعَمُّ مِنْ الشُّكْرِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ عَلَى الْمَحَاسِنِ وَالْإِحْسَانِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحْمَدُ عَلَى مَا لَهُ مِنْ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى وَمَا خَلَقَهُ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} وَقَالَ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ} وَقَالَ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} .

وَأَمَّا " الشُّكْرُ " فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إلَّا عَلَى الْإِنْعَامِ فَهُوَ أَخَصُّ مِنْ الْحَمْدِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ؛ لَكِنَّهُ يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ كَمَا قِيلَ: أَفَادَتْكُمْ النَّعْمَاءُ مِنِّي ثَلَاثَةً: يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا} .

وَ " الْحَمْدُ " إنَّمَا يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ فَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ الشُّكْرُ أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ أَنْوَاعِهِ وَالْحَمْدُ أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ أَسْبَابِهِ وَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَأْسُ الشُّكْرِ فَمَنْ لَمْ يَحْمَدْ اللَّهَ لَمْ يَشْكُرْهُ} وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: {إنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنْ الْعَبْدِ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا} وَاَللَّهُ أَعْلَمُ.)) .

٣. لماذا نحمد الله عز وجل ؟!

نحمده سبحانه على كمال ذاته وصفاته، وشيوع نعمائه، قال تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (إبراهيم: ٣٤)، وقال تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (النحل: ١٨).

فإن الله عز وجل قابل ظلم الإنسان برحمته جل وعلا وهذا من كماله وعظمته، فإنا نحمده على كمال ذاته ونحمده على إنعامه.

والله – عز وجل – هو الجميل، جماله سبحانه على أربع مراتب جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال وجمال الأسماء فأسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة، وأما جمال الذات وكيفية ما هو عليه فأمر لا يدركه سواه ولا يعلمه إلا الله، وليس عند المخلوقين منه إلا تعريفات تعرف بها إلى من أكرمه من عباده .

وعند مسلم من حديث أَبِي مُوسَى – رضي الله عنه – أن النَّبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ)، قال عبد الله بن عباس – رضي الله عنه –: (حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالأفعال، فما ظنك بجمال حجب بأوصاف الكمال، وستر بنعوت العظمة والجلال)، ومن هذا المعنى يفهم بعض معاني جمال ذاته، فإن العبد يترقى من معرفة الأفعال إلى معرفة الصفات ومن معرفة الصفات إلى معرفة الذات، فإذا شاهد شيئا من جمال الأفعال استدل به على جمال الصفات، ثم استدل بجمال الصفات على جمال الذات، ومن ههنا يتبين أنه سبحانه له الحمد كله، وأن أحدا من خلقه لا يحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه.

وهذا كقولك: قطرة من فيض جودك تملأ الأرض ريا، ونظرة بعين رضاك تجعل الكافر وليا.

قال رحمه الله:

٤. وَأَسْتَعِيْنُهُ عَلَى نَيْلِ الرِّضَا وَأَسْتَمِدُّ لُطْفَهُ فِي مَا قَضَى

أستعينه: أطلب من الله العون على نيل الرضا، وهذا الرضا هو أعلى ما يتمناه أهل الجنة، وفي الصحيين من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عليكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عليكم بَعْدَهُ أَبَدًا "، وقال تعالى: {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ} (التوبة: ٧٢)، فالحرص... الحرص على طلب الرضا من الله جل وعلا.

قال رحمه الله:

٥. وَبَعْدُ: إِنِي بِالْيَقِيْنِ أَشْهَدْ شَهَادَةَ الإِخْلاَصِ أَنْ لاَ يُعْبَدْ:
٦. بِالْحَقِّ مَأْلُوهٌ سِوَى ((الرَّحْمَنِ)) مَنْ جَلَّ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ نُقْصَانِ

وَبَعْدُ: إِنِي بِالْيَقِيْنِ أَشْهَدْ ...، أي: أشهد شهادة جازمة أن لا يعبد بالحق أحد سوى الرحمن، الذي تنزه عن العيوب والنقائص، قال تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣)} (سورة: الحشر).
وسيأتي الكلام عن أما بعد .

قال رحمه الله:

٧. وَأَنَّ خَيْرَ خَلْقِهِ: مُحَمَّدَا مَنْ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى
٨. رَسُولِهِ إِلَى جَمِيْعِ الْخَلْقِ بِالنُّورِ وَالْهُدَى وَدِيْنِ الْحَقِّ
٩. صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَمَجَّدَا وَالآلُ وَالصَّحْبُ دَوَاماً سَرْمَدَا

٤. الدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق:

لا يوجد دليل يدل صراحة على المطلوب، والصحيح أن: الدليل مركب، وهو يمكن أن يكون كالتالي:
١. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ".
٢. حديث الإسراء والمعراج وفيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم تقدم على جبريل، فدل هذا الحديث على أن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة.
فمن الحديثين وغيرهما يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق .
وقال بعض العلماء: الأولى الاقتصار على ما وردت به النصوص، والله أعلم.

قال السفاريني:

وَأفْضَلُ الخَلْقِ عَلَى الإطْلَاقِ   نَبِيُّنَا فَمِلْ عَنِ الشِّقَاقِ

قوله:

٧. وَأَنَّ خَيْرَ خَلْقِهِ: مُحَمَّدَا   مَنْ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى

والدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الخلق:
قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (سبأ: ٢٨)، وقال عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (الأنبياء: ١٠٧).
وعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قَالَ:" كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً ".
وهنا سؤال: هل النبي صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الجن؟
والجواب: نعم، قال تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إليك نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠)} (الأحقاف)، "وجميع سورة الجن".

قوله:

٩. صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَمَجَّدَا   وَالآلُ وَالصَّحْبُ دَوَاماً سَرْمَدَا

والصلاة من الله: هي الثناء على عبده في الملأ الأعلى.

٥. من هم آل النبي صلى الله عليه وسلم ؟

اختلف العلماء بالمقصود بآل النبي على أقوال عديدة:

القول الأول: أن آل النبي هم أصحابه وأتباعه إلى يوم القيامة.

القول الثاني: أن آل النبي هم ذريته وأزواجه فقط، كما في قوله تعالى: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)}.

القول الثالث: المقصود بالآل، من لا تصح لهم الزكاة، على خلاف بين الفقهاء في تحديدهم.

القول الرابع: أن آل النبي هم بنو هاشم ومن فوقه إلى غالب.

القول الخامس: أن المقصود بالآل، هو النبي نفسه صلى الله عليه وسلم.

٦. من هو الصحابي ؟

الصحابي: هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة في الأصح.

قَال الْسيُوطِي رَحِمَه الْلّه:

حَدُّ الصَّحَابِي:مُسْلِمًا لاقَى الرَّسُولْ ... وَإِنْ بِلا رِوَايَــةٍ عَنْهُ وَطُــولْ
كَذَاكَ الاتْبَــاعُ مَعَ الصَّحَابَــةِ ... وَقِيلَ: مَعْ طُولٍ وَمَعْ رِوَايَــةِ
وَقِيلَ:مَعْ طُولٍ،وَقِيلَ:الْغَزْوِ أَوْ ... عَامٍ،وَقِيلَ: مُدْرِكُ الْعَصْرِ وَلَوْ
وَشَرْطُهُ الْمَوْتُ عَلَى الدِّينِ وَلَوْ ... تَخَلَّــلَ الرِّدَّةُ . وَالْجِــنُّ رَأَوْا
دُخُولَهُمْ دُونَ مَلائِــكٍ . وَمَــا ... نَشْرِطْ بُلُوغًا فِي الأَصَحِّ فِيهِمَا
وَتُعْرَفُ الصُّحْبَــةُ بِالتَّوَاتُــرِ ... وَشُهْرَةٍ وَقَوْلِ صَحْــبٍ آخَــرِ
أَوْ تَابِعِيٍّ، وَالأَصَحُّ: يُقْبَــلُ ... إِذَا ادَّعَــى مُعَاصِــرٌ مُعَــدَّلُ
وَهُمْ عُدُولٌ كُلُّهُــمْ لا يَشْتَبِــهْ ... النَّوَوِيْ: أَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدُّ بِــهْ

والفرق بين قولنا: من لقي النبي، وقولنا: من رأى النبي صلى الله عليه وسلم:

أن التعبير بقولنا: من رأى النبي صلى الله عليه وسلم = يخرج به كل من لم ير النبي صلى الله عليه وسلم، وعبد الله بن أم مكتوم صحابي باتفاق وكان أعمى.

بل نزل فيه قوله تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤)......} (سورة: عبس)، فلو قال في التعريف من رأى النبي لخرج كل من هو أعمى ونحوه.

قال رحمه الله:

١٠. وَبَــعْــدُ: هَــذَا النَّظْــمُ فِي الأُصُــولِ ... لِــمَــــنْ أَرَادَ مَــنْــهَــجَ الــرَّسُـــولِ
١١. سَــأَلَــنِــي إِيَّــاهُ مَــنْ لاَبُــــدَّ لِــي ... مِنِ امْــتِــثَــالِ سُــؤْلِــهِ الْــمُــمْــتَــثَــلِ
١٢. فَقُلْــتُ مَــعْ عَجْــزِي وَمَعْ إِشْفَاقِــي ... مُــعْــتَــمِــدًا عَلَــى الْقَــدِيــرِ الْبَــاقِــي

في هذه الأبيات بدأ المصنف رحمه الله بالتعريف لما ينظم فيه.

وَبَعْدُ: كلمه تأتى للفصل بها بين الخطاب، أي: أن الكلام الذي أتى قبلها غير الذي يأتي بعدها.

وهى ظرف زمان يؤتى به للتنبيه على ما بعده وفصله عما قبله ويبنى على الضم لقطعه عن الإضافة ويغنى عن إعــادة المضاف إليه.

٧. واختلف العلماء في أول من قال أما بعد:

فبعض العلماء قال: أنه فصل الخطاب الذي أوتيه داود عليه السلام، قال تعالى: {وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَــابِ} (ص: ٢٠).

وقيل يعقوب عليه السلام، وقيل يعرب بن قحطان، وقيل كعب بن لؤي، وقيل قس بن ساعدة، وقيل سحبان بن وائل.

والقول الأول هو الأقرب كما قال الحافظ ابن حجر "يعني: داود عليه السلام"، ونظم ذلك الشمس الميداني فقال:

جَرَى الْخُلْفُ أَمَّا بَعْدُ مَنْ كَانَ بَادِئًا ... بِهَا عد أَقْوَالًا وَدَاوُد أَقْرَبُ

وَيَعْقُوبُ أَيوبُ الصَّبُورُ وَآدَم ... وَقُسٌّ وَسَحْبَانُ وَكَعْبٌ وَيَعْرُبُ

٨. تعريف علم العقيدة:

العقيدة في اللغة: مأخوذة من العقد، وهو الشد والربط والإيثاق والثبوت والإحكام.

وفي الاصطلاح: الإيمان الجازم بالله تعالى، وبما يجب له من التوحيد، والإيمان بملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرِّه، وبما يتفرع عن هذه الأصول ويلحق بها مما هو من أصول الدين.

وقد أطلق كثير من السلف على العقيدة الصحيحة اسم"السنة"، وذلك لتمييزها عن عقائد ومقولات الفرق الضالة، لأن العقيدة الصحيحة – وهي عقيدة أهل السنة والجماعة – مستمدة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، التي هي مبينة للقرآن.

٩. والعقيدة الإسلامية لها أسماء:

فتسمى العقيدة، وتسمى التوحيد، وتسمى السنة، وتسمى أصول الدين، وتسمى الفقه الأكبر، وتسمى الشريعة، وتسمى الإيمان.

وإطلاق لفظ "علم الكلام على علم العقيدة" لا يصح، إذ هو من إطلاقات أهل البدع.

١٠. من خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة:

١. أنها عقيدة واضحة.

٢. أنها عقيدة ثابتة: ومما يدل على ذلك حادثة الإمام أحمد رحمه الله في فتنه خلق القرآن التي كانت امتحانا واختبارا وثبت فيها الإمام أحمد رحمه الله وهذا يدل على ثبات عقيدته رحمه الله.

أيضا ثبات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقد سجن بسبب المناظرات الشهيرة بينه وبين الأشاعرة وكذلك الصوفية والمتعصبة.

٣. أنها موافقة للفطرة، فمثلا: عقيدة أهل السنة أن الله في السماء = والفطرة تقتضى أن الله في السماء.

٤. أنها عقيدة وسطية، من غير تفريط ولا إفراط.

١١. ثمرات وفوائد دراسة العقيدة.

١. العقيدة أصل في قبول الأعمال، لأن الإنسان يعرف بها الفرق بين الشرك والتوحيد، والكفر والإيمان، وأنه إذا لم يعرف هذه الأصول لا يقبل عمله، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ...} (النساء: ٤٨).

وعَنْ عَائِشَةَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: " لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ "، أي: أنه لم يؤمن.

٢. تعرفنا حق الله على العباد، أي: أن الله تعالى خلقك وله حق عليك وهو أن تعبده ولا تشرك به شيئا.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ لِي: "يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ "؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا".

٣. العقيدة الإسلامية سبب في وحدة الأمة، فلا بد من كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة.

٤. العقيدة الإسلامية تزكى النفس، قال تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (المطففين: ١٤).

فإن الإنسان يسافر إلى الله بقلبه لا بجسده، قال تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)} (سورة:: الشعراء).

فتجد إنسانا دقيق الجسم = عظيم الأمر عند الله عز وجل، ويدل على ذلك أن ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ " قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ ".

فكان رضي الله عنه مع فقره غنى النفس، ضئيل الجسد ولكنه ذائع الصيت، ومستور المكانة ومغمور الجاه، فأبدله الله بذلك كله شرفا وعزا، وعلما وعملا، ومحبه في قلوب الناس، ومنزله في نفوس المتقين.

وفي المقابل: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا، {فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف: ١٠٥].

فالإنسان يصل إلى تزكية النفس عندما يدرس العقيدة وما فيها من عظمة رب العالمين جل وعلا وجلال الله وكبرياء الله، يؤمن بالملائكة وثمرات هذا الإيمان، يؤمن بالكتب ويتحقق بثمرات هذا الإيمان، فكل ذلك تزكية للنفس.

ومن هذا القبيل أيضا ما زكت به نفس الأعرابي عندما سمع كلام الله عز وجل.

قال الأصمعي: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة، فبينا أنا في بعض سككها إذ طلع أعرابي جلف جاف على قعود له متقلد سيفه وبيده قوس، فدنا وسلم وقال لي: ممن الرجل؟

قلت: من بني الأصمع.

قال: أنت الأصمعي ؟

قلت: نعم.

قال: ومن أين أقبلت ؟

قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن.

قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون ؟

قلت: نعم، قال: اتلُ علي شيئاً منه.

فقلت له: انزل عن قعودك، فنزل وابتدأت بسورة: الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} (الذاريات: ٢٢).

قال: يا أصمعي هذا كلام الرحمن؟! قلت: إي والذي بعث محمداً بالحق إنه لكلامه أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فقال لي: حسبك، ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطعها بجلدها، وقال: أعني على تفريقها، ففرقناها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وجعلهما تحت الرحل، وولى مدبراً نحو البادية، وهو يقول: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} (الذاريات: ٢٢).

فأقبلت على نفسي باللوم، وقلت: لم تنتبه لما انتبه له الأعرابي!.

فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة، فبينا أنا أطوف بالكعبة إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي نحيلاً مصفاراً! فسلم علي وأخذ بيدي وأجلسني من وراء المقام وقال لي: اتل كلام الرحمن، فأخذت في سورة الذاريات فلما انتهيت إلى قوله تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} (الذاريات: ٢٢). صاح الأعرابي: وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، ثم قال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم يقول الله عز وجل: {فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ} (الذاريات: ٢٣).

فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله من الذي أغضب الجليل حتى حلف! ألم يصدقوه حتى ألجؤوه إلى اليمين؟! قالها ثلاثاً وخرجت فيها روحه.

ولهذا يقول بعض العلماء:" إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر أين أقامك".

٥. التفكر في عظمه الله عز وجل.

قال تعالى: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا} (لقمان: ١٠). فالإنسان يتفكر في عظمه خلق الله عز وجل لهذا الكون البديع.

٦. كذلك الإنسان يُحفظ بالعقيدة الصحيحة من الحيرة والاضطراب.

فعقيدة أهل السنة = صاحبها مطمئن بالإيمان، بخلاف غيره الذي لا يؤمن بالقدر ويسأل عنه وعن غيره من مخلوقات الله عز وجل، فيسأل هل هناك جن وملائكة ؟ هل هناك يوم آخر ؟ بخلاف صاحب العقيدة الإسلامية الصحيحة فهو مطمئن قلبه بالإيمان.

قال الله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} (البقرة: ٣).

١٢. مميزات أهل السنة والجماعة:

وأهل السنَّة والجماعة: يتميزون عن غيرهم من الفرق؛ بصفات وخصائص وميزات منها:

١ – أَنَّهم أَهل الوسط والاعتدال بين الإفراط والتفريط، وبين الغلو والجفاء سواء أكان في باب العقيدة أَم الأَحكام والسلوك، فهم وسطٌ بين فرق الأمَّة، كما أَنَّ الأُمة وسطٌ بين الملل.

٢ – اقتصارهم في التلقِّي على الكتاب والسنَّة، والاهتمام بهما والتسليم لنُصوصهما، وفهمهما على مقتضى منهج السلف.

٣ - ليس لهم إمام مُعظَمٌ يأخذون كلامه كلَه ويدعُونَ ما خالَفه إلا رسول الله- صلى الله عليه وعلى آلــه وســلم- وهم أعلمُ الناسِ بأحواله، وأقواله، وأفعاله، لذلك فهم أشدُّ النَّاس حُبّا للسُّنَّة، وأحرصهم على اتباعهــا، وأكثــرهم موالاة لأهلها.

٤ - تركهم الخصومات في الدِّين، ومجانبة أهلها، وترك الجدال والمراء في مسائل الحلال والحرام، ودخولهم في الــدِّين كُلّه.

٥ - تعظيمهم للسَّلف الصالح، واعتقادهم بأن طريقة السلف أَسْلَم، وأعلم، وأحكم.

٦ - رَفْضُهُم التأويل، واستسلامهم للشرع، مع تقديمهم النقل على العقل- تصورات الأذهان- وإخضــاع الثــاني للأول.

٧ - جمعُهُم بين النصوص في المسألة الواحدة وَردهم المتشابه إلى المحكم.

٨ - أنهم قدوة الصالحين؛ الذين يهدون إلى الحقِ، ويرشدون إلى الصراط المستقيم؛ بثباتهم على الحقِّ وعدم تَقَلُّــبِهِمْ، واتِّفاقهم على أُمور العقيدة، وجمعهم بين العلم والعبادة، وبين التوكل على الله، والأَخذ بالأَسباب، وبين التوســع في الدُّنيا والورع فيها، وبين الخوف والرجاء، والحب والبغض في الله، وبين الرحمة واللين للمؤمنين والشدةِ والغلظة على الكافرين، وعدم اختلافهم مع اختلاف الزمان والمكان.

٩ - أَنَّهم لا يتسمَون بغير الإسلام، والسُنَّة، والجماعة.

١٠ - حِرْصُهُم على نشرِ العقيدة الصحيحة، والدين القويم، وتعليمهم النَاس وإرشادهم، والنصيحة لهم، والاهتمــام بأُمورهم.

١١ - أَنهم أَعظمُ النَّاس صبرا على أقوالهم، ومعتقداتهم، ودعوتهم.

١٢ - حِرصُهم على الجماعة والأُلفة، ودعوتهم إليها وحث النَاس عليها، ونبذهم للاختلاف والفرقَةِ، وتحذير النَّــاس منها.

١٣ - أَنَّ الله- عز وجل- عَصَمَهمُ من تكفير بعضهم بعضا، ثَم هم يحكمون على غيرهم بعلم وعدل.

١٤ - محبَّة بعضهم لبعض، وترحُّم بعضهم على بعض، وتعاونهم فيما بينهم، وسد بعضهم لنقص بعض، ولا يوالــون ولا يعادون إلا في الله.

وبالجملة: فهم أحسنُ النَّاس أخلاقا، وأَحرصهم على زكاة أَنفسهم بطاعة الله تعالى، وأَوسعُهم أُفُقا، وأَبعدهم نظــرا، وأَرحبهم بالخلاف صدرا، وأَعلمُهم بآدابه وأصوله.

مُقَدِّمَةٌ:

تُعَرِّفُ الْعَبْدَ بِمَا خُلِقَ لَهُ، وَبِأَوَّلِ مَا فَرَضَ اللهُ تعالى عليه،وبِمَا أَخَذَ اللَّهُ عليه بِهِ الْمِيثَاقَ فِي ظَهْرِ آدمَ عليه السَّلامُ، وَبِمَا هُو صَائِرٌ إليه.

١٣. اِعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلاَ: لَمْ يَتْرُكِ الْخَلْقَ سُدَى وَهَمَلاَ
١٤. بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ: لِيَعْبُدُوهُ وَبِالإِلَهِيَّةِ يُفْرِدُوهُ

أي: اعلم بأن الله عز وجل لم يترك الخلق سدي "بلا أمر ولا نهى"، قال تعالى: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} (القيامة: ٣٦). أي: أن الله لم يخلق الخلق عبثا وهملا.

وقال سبحانه: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)} (آل عمران).

لماذا خلق الله الخلق ؟

١٤. بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ: لِيَعْبُدُوهُ وَبِالإِلَهِيَّةِ يُفْرِدُوهُ

قال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إلينا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتعالى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧)} (المؤمنون).

وقال تعالى: {وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} (الجاثية: ٢٢)، أي: خلق السماوات والأرض بالعدل، {وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} (الجاثية: ٢٢).

فالله عز وجل ما خلق الخلق لكي إِلَّا ليأمرهم أَنْ يَعْبُدُوه، وأن يدعوهم لِعِبَادَتِهِ، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات: ٥٦)، أي: ليوحدون.

وقال: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (التوبة: ٣١).

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه سواء كانت من الأقوال أو الأعمال الباطنة والظاهرة.

وعند أهل الأصول: ما أمر به من غير اقتضاء عقلي ولا اطراد عرفي.

قال رحمه الله:

١٥. أَخْرَجَ فِيْمَا قَدْ مَضَى مِنْ ظَهْرِ آدَمَ: ذُرِّيَّتَهُ ((كَالذَّرِّ))
١٦. وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ: لاَ رَبَّ مَعْبُودٌ بِحَقٍّ غَيْرَهُ
١٧. وَبَعْدَ هَذَا رُسْلَهُ قَدْ أَرْسَلاَ لَهُمْ، وَبِالْحَقِّ الْكِتَابَ أَنْزَلاَ
١٨. لِكَيْ بِذَا الْعَهْدِ يُذَكِّرُوهُمْ وَيُنْذِرُوهُمْ وَيُبَشِّرُوهُمْ
١٩. كَيْ لاَ يَكُونَ حُجَّةٌ لِلنَّاسِ، بَلْ ((لِلَّهِ)) أَعْلَى حُجَّةٌ عَزَّ وَجَلْ
٢٠. فَمَنْ يُصَدِّقْهُمْ بِلاَ شِقَاقِ: فَقَدْ وَفَى بِذَلِكَ الْمِيْثَاقِ

٢١. وَذَاكَ نَاجٍ مِنْ عَذَابِ النَّارِ	وَذَلِكَ الْوَارِثُ عُقْبَى الدَّارِ
٢٢. وَمَنْ بِهِمْ وَبِالْكِتَابِ كَذَّبَا	وَلاَزَمَ الإِعْرَاضَ عَنْهُ وَالإِبَا:
٢٣. فَذَاكَ نَاقِضٌ كِلاَ الْعَهْدَيْنِ	مُسْتَوْجِبٌ لِلْخِزْيِ فِي الدَّارَيْنِ

[المواثيق التي أخذها الله على الخلق]

١٣. العلماء يطلقون على هذه المسألة اسم "مسألة المواثيق": أي: المواثيق التي أخذها الله على الخلق.

والله قد أخذ علينا عهودًا، ومواثيق .

[الميثاق الأول:] ميثاق الذر .

وأول هذه العهود والمواثيق الميثاق الذي أخذه الله علينا ونحن في عالم الذر.

وقد دلت على ذلك الأحاديث، ومِنْهَا: مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، قَالَ:" إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ عليه السَّلَامُ بنَعْمَانَ - يَعْنِي: عَرَفَةَ - فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قُبُلًا، قَالَ: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا} (الأعراف: ١٧٢).

والذين قالوا شهدنا:

١- قيل: أنهم الملائكة.

٢- وقيل: أنهم العباد.

وقال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣)} (الأعراف).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنْهَا، فَقَالَ:" إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عليه السَّلَامُ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، قَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ. ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً قَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ " إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حتى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلَ بِهِ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حتى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلَ بِهِ النَّارَ". وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ .

الميثاق الثاني: ميثاق الفطرة.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، قَالَ:" مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ "، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:" فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عليها "، فلم يذكر الإسلام لأنه الفطرة.

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: " أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ

أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ «وَذَكَرَ» الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ " .

وميثاق الذر والفطرة لا نحاسب عليه لأننا لا نذكره، وبقى الميثاق الثالث: وهو الرسل وهو الميثاق الذي سيحاسبنا الله عليه.

الميثاق الثالث: ميثاق الرسل.

قال تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} (النساء: ١٦٥).

فهذا الميثاق هو الذي سيحاسبنا الله عليه، وإنما أخذ علينا ميثاق الذر والفطرة لزيادة التوكيد، وهذا من تمام عدل الله عز وجل.

١٤. لماذا أرسل الله الرسل ؟

١. لتحقيق عبادة الله عز وجل، قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} (النحل: ٣٦).

٢. لإقامة الحُجة على الخلائق، قال تعالى: {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} (النساء: ١٦٥).

٣. لإعلام الناس بالعالم الغيبي، لأننا لا نعلم الغيب إلا عن طريقهم.

٤. ليكونوا القدوة الصالحة لنا، قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} (الأنعام:٩٠).

٥. لتوجيه الناس إلى الخير.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وَالدُّنْيَا كُلُّهَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إلَّا مَا أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ شَمْسُ الرِّسَالَةِ وَأُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَيْهَا وَلَا بَقَاءَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ إلَّا مَا دَامَتْ آثَارُ الرُّسُلِ مَوْجُودَةً فِيهِمْ فَإِذَا دَرَسَتْ آثَارُ الرُّسُلِ مِنْ الْأَرْضِ وانمحت بِالْكُلِّيَّةِ خَرَّبَ اللَّهُ الْعَالَمَ الْعُلْوِيَّ وَالسُّفْلِيَّ وَأَقَامَ الْقِيَامَةَ. وَلَيْسَتْ حَاجَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ إلَى الرَّسُولِ كَحَاجَتِهِمْ إلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛ وَالرِّيَاحِ وَالْمَطَرِ وَلَا كَحَاجَةِ الْإِنْسَانِ إلَى حَيَاتِهِ؛ وَلَا كَحَاجَةِ الْعَيْنِ إلَى ضَوْئِهَا وَالْجِسْمِ إلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ؛ وَأَشَدُّ حَاجَةً مِنْ كُلِّ مَا يُقَدَّرُ وَيَخْطُرُ بِالْبَالِ فَالرُّسُلُ وَسَائِطُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَهُمْ السُّفَرَاءُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ. وكان خَاتَمُهُمْ وَسَيِّدُهُمْ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى رَبِّهِ: مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ} وَقَالَ اللَّهُ تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} وَقَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ {إنَّ اللَّهَ نَظَرَ إلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} وَهَذَا الْمَقْتُ كَانَ

لِعَدَمِ هِدَايَتِهِمْ بالرُّسُلِ فَرَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ هَذَا الْمَقْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَمَحَجَّةً لِلسَّالِكِينَ وَحُجَّةً عَلَى الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ وَافْتَرَضَ عَلَى الْعِبَادِ طَاعَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ وَتَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ وَالْقِيَامَ بِأَدَاءِ حُقُوقِهِ وَسَدَّ إِلَيْهِ جَمِيعَ الطُّرُقِ فَلَمْ يَفْتَحْ لِأَحَدٍ إِلَّا مِنْ طَرِيقِهِ وَأَخَذَ الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوهَا عَلَى مَنْ اتَّبَعَهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا فَخَتَمَ بِهِ الرِّسَالَةَ؛ وَهَدَى بِهِ مِنْ الضَّلَالَةِ؛ وَعَلَّمَ بِهِ مِنْ الْجَهَالَةِ وَفَتَحَ بِرِسَالَتِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا فَأَشْرَقَتْ بِرِسَالَتِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ ظُلُمَاتِهَا؛ وَتَأَلَّفَتْ بِهَا الْقُلُوبُ بَعْدَ شَتَاتِهَا فَأَقَامَ بِهَا الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ وَأَوْضَحَ بِهَا الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ وَشَرَحَ لَهُ صَدْرَهُ؛ وَوَضَعَ عَنْهُ وِزْرَهُ؛ وَرَفَعَ ذِكْرَهُ؛ وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنْ الرُّسُلِ وَدُرُوسٍ مِنْ الْكُتُبِ حِينَ حُرِّفَ الْكَلِمُ وَبُدِّلَتْ الشَّرَائِعُ وَاسْتَنَدَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى أَظْلَمِ آرَائِهِمْ وَحَكَمُوا عَلَى اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ بِمَقَالَاتِهِمْ الْفَاسِدَةِ وَأَهْوَائِهِمْ فَهَدَى اللَّهُ بِهِ الْخَلَائِقَ وَأَوْضَحَ بِهِ الطَّرِيقَ وَأَخْرَجَ بِهِ النَّاسَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ؛ وَأَبْصَرَ بِهِ مِنْ الْعَمَى؛ وَأَرْشَدَ بِهِ مِنْ الْغَيِّ وَجَعَلَهُ قَسِيمَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَفَرَّقَ مَا بَيْنَ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ؛ وَجَعَلَ الْهُدَى وَالْفَلَاحَ فِي اتِّبَاعِهِ وَمُوَافَقَتِهِ وَالضَّلَالَ وَالشَّقَاءَ فِي مَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ. وَامْتَحَنَ بِهِ الْخَلَائِقَ فِي قُبُورِهِمْ فَهُمْ فِي الْقُبُورِ عَنْهُ مَسْئُولُونَ وَبِهِ مُمْتَحِنُونَ {يُؤْتَى الْعَبْدُ فِي قَبْرِهِ فَيُقَالُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ فَيُقَالُ لَهُ: صَدَقْت عَلَى هَذَا حَيِيت وَعَلَيْهِ مُتّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إنْ شَاءَ اللَّهُ نَمْ نَوْمَةَ الْعَرُوسِ لَا يُوقِظُهُ إلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إلَيْهِ ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إلَى الْجَنَّةِ فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا. وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي سَمِعْت النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْته فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ ذَلِكَ وَعَلَى ذَلِكَ حَيِيت وَعَلَيْهِ مُتّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِرْزَبَّةٍ مِنْ حَدِيدٍ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ إلَّا الْإِنْسَانُ}. إلى آخر ما قال من كلام نفيس، فليراجع.

فَصْلٌ:
فِي انقِسَامِ التَّوحِيدِ إلى نَوْعَيْنِ، وَبَيَانِ النَّوْعِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ تَوْحِيدُ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِثْبَاتِ.

٢٤. أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبِيدِ | مَعْرِفَةُ «الرَّحْمَنِ» بِالتَّوْحِيدِ
٢٥. إِذْ هُوَ مِنْ كُلِّ الأَوَامِرِ أَعْظَمُ | وَهُوَ نَوْعَانِ أَيَا مَنْ يَفْهَمُ:
٢٦. إِثْبَاتُ ذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلاَ | أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى صِفَاتِهِ الْعُلَى

التوحيد: مصدر وحد يوحد توحيدا "بمعنى: جعله واحدا".
وهو: إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

- **أهمية التوحيد.**

الْقُرْآنُ كُلُّهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ فِي تَقْرِيرِ هَذَا التَّوْحِيد لِأَنَّهُ إِمَّا خَبَرٌ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُوصَفَ بِهِ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُنَزَّهَ عَنْهُ وَهُوَ التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبَرِيُّ الِاعْتِقَادِيُّ.
وَإِمَّا دَعْوَةٌ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَخَلْعِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ فَهُوَ التَّوْحِيدُ الطَّلَبِيُّ الْإِرَادِيُّ.
وَإِمَّا أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَإِلْزَامٌ بِطَاعَتِهِ فَذَلِكَ مِنْ حُقُوقِ التَّوْحِيدِ وَمُكَمِّلَاتِهِ.
وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ إِكْرَامِهِ لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ جَزَاءُ تَوْحِيدِهِ.
وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ أَهْلِ الشِّرْكِ وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ وَمَا يَفْعَلُ بِهِمْ فِي الْعُقْبَى مِنَ الْعَذَابِ فَهُوَ جَزَاءُ مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ تَوْحِيدِهِ.
فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي التَّوْحِيدِ وَحُقُوقِهِ وَجَزَائِهِ وَفِي شَأْنِ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ وَجَزَائِهِمْ.
اقْرَأْ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ التَّوْحِيدَيْنِ: {طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٣) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعلي (٤) الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٨)} (سورة: طه)، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَغَيْرَهَا مِنَ الْقُرْآنِ، وَاقْرَأْ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} (الْحَشْر: ٧)، وَاقْرَأْ فِي إِكْرَامِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} (غَافِر: ٥١)، وَاقْرَأْ فِي إِخْزَاءِ أَهْلِ الشِّرْكِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: {وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ (٤١) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢)} (سورة: الْقَصَص).

١٥. أقسام التوحيد.

والعلماء يقسمون التوحيد إلى أقسام:
١. **فبعض العلماء** قال: أنه قسمان.

٢. **والبعض الآخر** قال: ثلاثة.

فالذين قسموه إلى قسمين ومنهم الناظم - رحمه الله- قسموه إلى:

١- توحيد المعرفة والإثبات. ٢- توحيد الطلب والقصد.

توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات = هما توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد الألوهية = هو توحيد الطلب والقصد.

وفريق آخر قسموه أيضا إلى قسمين، وهما:

١- توحيد الله. ٢- وتوحيد الاتباع "اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم".

والفريق الثالث الذين قسموه ثلاثة، وهي:

١- توحيد الألوهية. ٢- توحيد الربوبية. ٣- توحيد الأسماء والصفات.

وكل هذه التقاسيم ليس بينها اختلاف، بل هي دالة على مقصود واحد .

وقال بعضهم: يوجد قسم رابع، يسمى توحيد الحاكمية " إفراد الله بالحكم"، وهذا كلام فيه نظر لأن هذا القسم داخل في توحيد الربوبية = من جهة إفراد الله بالحكم، وفي توحيد الألوهية = من جهة أخري وهي إفراد الله بالتحاكم إلى شرعه ودينه، وفي توحيد الأسماء والصفات = فإن الله هو الحكيم .

بعض الآيات التي جمعت أقسام التوحيد:

قال تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)} (سورة: الإخلاص)، وقال: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} (البقرة: ٢٥٥)، وقال تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧)} (سورة: طه).

قال رحمه الله:

٢٤. أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبِيدِ — مَعْرِفَةُ ((الرَّحْمَنِ)) بِالتَّوْحِيدِ

٢٥. إِذْ هُوَ مِنْ كُلِّ الأَوَامِرِ أَعْظَمُ — وَهُوَ نَوْعَانِ أَيَا مَنْ يَفْهَمُ:

٢٦. إِثْبَاتُ ذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلاَ — أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى صِفَاتِهِ الْعُلَى

ذكر رحمه الله تعالى أول نوع من أنواع التوحيد، وهو توحيد المعرفه والإثبات وتوحيد المعرفه والإثبات يشتمل على قسمين:

١. توحيد الربوبية.

٢. توحيد الأسماء والصفات.

إثبات ذات الرب؛ أي:: وجوده، فبدأ بالكلام عن توحيد الربوبية.

وفيه مسائل:

• المسألة الأولى: تعريف توحيد الربوبية.

أخصر تعريف له: توحيد الله بأفعال الله.

أو: إفراد الله تعالى بما له من الخلق والرزق والملك والتدبير.

• المسألة الثانيه: أسماء توحيد الربوبية.

ويسمى بتوحيد الربوبية، والتوحيد العلمي، والتوحيد الخبري، والمعرفة والإثبات، ويسمى بالتوحيد الاعتقادي.

• معنى الرب في اللغه .

١. المربي.

٢. السيد.

قال تعالى عن يوسف: {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} (يوسف: ٤٢)، وقال تعالى عنه أيضا: {أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا} (يوسف: ٤١). فهذا دليل على أن الرب يأتى بمعنى السيد.

٣. المالك، ومن ذلك قول عبد المطلب " أنا رب الإبل ".

ولا تطلق الرب هكذا بالتعريف على غير الله إلا مضافة، مثل: أنا رب الكتاب أي: مالكه، لكن لا يصح أن يقال: فلان رب، عياذاً بالله لذلك لما قال فرعون كما حكى الله عنه: {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى} (النازعات: ٢٤).

يَقُوْل بَعْض الْعُلَمَاء:

قَرِيْب مُحِيْط مَالِك وَمُدبّر — مُرَب كَثِيْر الْخَيْر وَالْمول لِلْنّعَم

و خَالِقُنَا الْمَعْبُوْد جَابر كَسْرنا — وَمُصْلحنا الصاحِب الثّابت الْقدَم

وَجَامِعنا وَالْسيد احْفَظ فَهَذِه — مَعَان أَتَت لِلرب فَادْعُ لِمَن نظم

• المسألة الثالثة: كيف نستدل على توحيد الربوبية ؟

نستدل على وجود الله عزوجل أولًا:

بالفطرة، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أَنَّ الْإِقْرَارَ بِالصَّانِعِ فِطْرِيٌّ ضَرُورِيٌّ مَغْرُوزٌ فِي الْجِبِلَّةِ.

كذلك نستدل: بالآيات الشرعية وهى الكتاب المسطور، والآيات الكونية هي الكتاب المنظور المشاهد.

نستدل بالكتاب المسطور: فمن قرأ في القرآن عرف الله عزوجل: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)} (سورة: الإخلاص)، {إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (غافر: ٢٠)، {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى} (الأنعام: ٩٥)، {إِنَّ اللَّهَ عليمٌ حَكِيمٌ} (التوبة: ٢٨)، {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (المائدة: ٨).

ونستدل أيضا بالكتاب المنظور:

قال ابن أبي العز في الطحاوية: وَيُحْكَى عَن أَبِي حَنِيْفَة رَحِمَه الْلّه: أَن قَوْما أَرَادُوْا الْبَحْث مَعَه فِي تَقْرِيْر تَوْحِيْد الرُّبُوْبِيَّة. فَقَال لَهُم: أَخْبِرُوْنِي قَبْل أَن نَتَكَلّم فِي هَذِه الْمَسْأَلَة عَن سَفِيْنَة فِي دِجْلَة، تَذْهَب، فَتَمْتَلِئ مِن الْطَّعَام وَالْمَتَاع

وَغَيْره بنَفْسهَا، وَتَعُوْد بنَفْسهَا، فَتَرْسُو بِنَفْسِهَا، وَتُفرغ وَتَرْجع، كُل ذَلِكَ مِن غَيْر أَن يُدَبِّرَهَا أَحَد ؟! فقَالُوا: هَذَا مُحَال لَا يُمْكِن أَبَدا ! فقَال لَهُم: إذَا كَان هَذَا مُحَالا فِي سَفِيْنَة، فَكَيْف فِي هَذَا الْعَالَم كُلّه عُلْوه وَسُفْلِه !! وَتُحْكَى هَذِه الْحِكَايَة أَيْضا عَن غَيْر أَبِي حَنِيْفَة.

ومن ذلك ما يذكر عن أحد هؤلاء –الملاحدة– في عصرنا أنه قال لتلاميذه:

هل ترون الكرسي؟ قالوا: نعم، قال: إذا الكرسي موجود، ثم قال: هل ترون الكتاب؟ قالوا: نعم، قال: إذا الكتاب موجود، ثم قال: هل ترون الساعة؟ قالوا: نعم، قال: إذا الساعة موجودة، ثم قال: هل ترون الله؟ قالوا:لا قال: إذا فالله غير موجود.

فقام له بعض التلاميذ ثم قال لزملائه: هل ترون الكرسي؟ قالوا: نعم، قال: إذا الكرسي موجود، ثم قال: هل ترون الكتاب؟ قالوا: نعم، قال إذا الكتاب موجود، ثم قال: هل ترون الساعة؟ قالوا: نعم، قال: إذا الساعة موجودة، ثم قال: هل ترون عقل الأستاذ؟ قالوا: لا، قال إذا عقل الأستاذ غير موجود.

ففطرة الإنسان تدل على الله عزوجل، وكذلك ملكوت الله وما فيه يدل عليه سبحانه وتعالى، وكذلك رسل الله وكتبه التي أنزلها إلى الخلق تدل على الله عزوجل.

وقال أبو نواس:

تَأَمَّلْ فِي رِيَاضِ الْأَرْضِ وَانْظُرْ ... إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكُ
عُيُونٌ مِنْ لجين شاخصات ... بأحداق هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ
عَلَى قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ ... بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ وَيُرْوَي لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ ... وَفِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

وَسُئِلَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ عَنْ هَذَا وَمَا الدَّلِيلُ عَلَى وُجُودِ الرَّبِّ تَعَالَى فَقَالَ: يَا سُبْحَانَ اللَّهِ إِنَّ الْبَعْرَ لَيَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ وَإِنَّ أَثَرَ الْأَقْدَامِ لَيَدُلُّ عَلَى الْمَسِيرِ فَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ وَأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ وَبِحَارٌ ذَاتُ أَمْوَاجٍ أَلَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى وُجُودِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ؟!

وَمِنْ خُطَبِ قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيِّ وَكَانَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: أَيُّهَا النَّاسُ اجْتَمِعُوا فَاسْمَعُوا, وَإِذَا سَمِعْتُمْ فَعُوا وَإِذَا وَعَيْتُمْ فَانْتَفِعُوا وَقُولُوا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاصْدُقُوا, مَنْ عَاشَ مَاتَ وَمَنْ مَاتَ فَاتَ وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ مَطَرٌ وَنَبَاتٌ وَأَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتٌ لَيْلٌ دَاجٍ وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ وَنُجُومٌ تُزْهِرُ وَبِحَارٌ تَزْخَرُ وَضَوْءٌ وَظَلَامٌ وَلَيْلٌ وَأَيَّامٌ وَبِرٌّ وَآثَامٌ إِنْ فِي السَّمَاءِ خَبَرًا وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ عِبَرًا يَحَارُ فِيهِنَّ الْبَصَرُ, مِهَادٌ مَوْضُوعٌ وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ وَنُجُومٌ تَغُورُ وَبِحَارٌ لَا تَفُورُ وَمَنَايَا دَوَانٍ وَدَهْرٌ خَوَّانٌ كَحَدِّ النِسْطَاسِ وَوَزْنِ الْقِسْطَاسِ. أَقْسَمَ قُسٌّ قَسَمًا لَا كَاذِبًا فِيهِ وَلَا آثِمًا لَئِنْ كَانَ فِي هَذَا

الْأَمْرِ رِضًى لَيَكُونَنَّ سُخْطٌ, ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِلَّهِ دِينًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ دِينِكُمْ هَذَا الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ, وَهَذَا زَمَانُهُ وَأَوَانُهُ, ثم قال: ما لي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ فَلَا يَرْجِعُونَ أَرَضُوا بِالْمُقَامِ فَأَقَامُوا أَمْ تُرِكُوا فَنَامُوا, وَفِي بَعْضِ أَلْفَاظِهَا قَالَ: شَرْقٌ وَغَرْبٌ وَيُتْمٌ وَحِزْبٌ وَسِلْمٌ وَحَرْبٌ وَيَابِسٌ وَرَطْبٌ وَأُجَاجٌ وَعَذْبٌ وَشُمُوسٌ وَأَقْمَارٌ وَرِيَاحٌ وَأَمْطَارٌ وَلَيْلٌ وَنَهَارٌ وَإِنَاثٌ وَذُكُورٌ وَبِرَارٌ وَبُحُورٌ وَحَبٌّ وَنَبَاتٌ وَآبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ وَجَمْعٌ وَأَشْتَاتٌ وَآيَاتٌ فِي إِثْرِهَا آيَاتٌ ونور وظلام ويسر وَإِعْدَامٌ, وَرَبٌّ وَأَصْنَامٌ لَقَدْ ضَلَّ الْأَنَامُ نَشْوُ مَوْلُودٍ وَوَأْدُ مَفْقُودٍ وَتَرْبِيَةُ مَحْصُودٍ, وَفَقِيرٌ وغني ومحسن ومسي تَبًّا لِأَرْبَابِ الْغَفْلَةِ, لِيُصْلِحَنَّ الْعَامِلُ عَمَلَهُ وَلَيَفْقِدَنَّ الْآمِلُ أَمَلَهُ كَلَّا بَلْ هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَا وَالِدٍ أَعَادَ وَأَبْدَى, وَأَمَاتَ وَأَحْيَا وَخَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى رَبُّ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى, أَمَّا بَعْدُ فَيَا مَعْشَرَ إِيَادٍ أَيْنَ ثَمُودُ وَعَادٌ وَأَيْنَ الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ وَأَيْنَ الْعَلِيلُ وَالْعُوَّادُ كُلٌّ لَهُ مَعَادٌ. يُقْسِمُ قُسٌّ برب العباد وساطع الْمِهَادِ لَتُحْشَرُنَّ عَلَى الِانْفِرَادِ فِي يَوْمِ التَّنَادِ وَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ وَنُقِرَ فِي النَّاقُورِ وَوَعَظَ الْوَاعِظُ فَانْتَبَذَ الْقَانِطُ وَأَبْصَرَ اللَّاحِظُ فَوَيْلٌ لِمَنْ صَدَفَ عَنِ الْحَقِّ الْأَشْهَرِ وَالنُّورِ الْأَزْهَرِ وَالْعَرْضِ الْأَكْبَرِ فِي يَوْمِ الْفَصْلِ وَمِيزَانِ الْعَدْلِ إِذَا حَكَمَ الْقَدِيرُ, وَشَهِدَ النَّذِيرُ وَبَعُدَ النَّصِيرُ وَظَهَرَ التَّقْصِيرُ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ.

- **ربوبية الله عزوجل لخلقه وانقسامها لربوبية عامة وربوبية خاصة.**

فمن معاني الرب المربي، وتربية الله لعباده نوعان:

١. تربية عامة.

٢. وتربية خاصة، والفرق بين التربيتين:

أن التربية العامة هي تربية الله عزوجل لكل المخلوقات، قال تعالى: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)} (سورة: مريم)، وقال الله عزوجل: {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِليه يُرْجَعُونَ} (آل عمران: ٨٣)، وقال سبحانه: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} (الرعد: ١٥). حتى الظلال مربوبة لله عزوجل، فالكافر لا يستطيع أن يحرك ساكنا إلا بأمر الله سبحانه وتعالى ومع أنه كافر لكن الله ربه قهرا.

أما المسلم فالله ربه الربوبية الخاصة، والتربية الخاصة تربيته أوليائه.

وانظر إلى قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ} (البقرة: ١٢٦)، ولم يقل إلهي.

وقال تعالى: {ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤)} (سورة: مريم).

وكذلك في قصه موسى عليه السلام نجد أن حياة موسى عليه السلام عبارة عن مراحل حتى في خوفه.

نجد أن أول مرة خاف فيها موسى عليه السلام هي عندما قتل المصري، فماذا فعل؟ حينها ترك البلاد وخرج منها قال تعالى: {فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (القصص: ٢١).

هذا أول موضع من مواضع خوف موسى عليه السلام ترك البلاد.

الموضع الثاني: حينما رأى الحية، قال تعالى: {وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ} (النمل: ١٠)، أخذ يجرى ولكنه لم يخرج من البلد.

المرحلة الثالثة: حينما أرسل إلى فرعون، قال تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ} (الشعراء: ١٢)، ولم يقل لا أقدر أولا أستطيع نلاحظ أن الخوف قل {قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي} (سورة: الشعراء)، يريد معينا {فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ} (الشعراء: ١٣)، يريد أن ينقذه بهارون.

المرحلة الرابعة: عندما ألقى السحرة حبالهم وعصياهم قال تعالى: {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى} (طه: ٦٧)، ولم يطلب هارون ولم ينادى على هارون وإنما في نفسه فقط.

المرحلة الخامسة والأخيرة: حينما كانوا أمام النهر قال تعالى: {قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢)} (سورة: الشعراء).

نجد أن خوفه انتهى وأن الخوف قد زال.

فنجد أن حياة موسى عليه السلام مراحل في أول حياته ذكره الله بالربوبية قال تعالى: {قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠)} (سورة: طه)، قبلها بقليل قال الله عزوجل له: {اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ علينا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إلينا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠)} (سورة: طه).

انظر إلى لفظة. ربنا، ربك، ربكما، ربنا، انظر إلى الربوبية كيف تسير معه.

لذلك انظر له عليه السلام عندما كان أمام البحر: {قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} (الشعراء: ٦٢)، إذا فتربية الله لعباده على ضربين: تربية خاصة للمؤمنين وأهل الإيمان أولياؤه.

وتربية عامة لكل الخلق لكل المخلوقات كل العالمين برهم وفاجرهم صالحهم وطالحهم مسلمهم وكافرهم، حتى البهائم مربوبة بهذه الربوبية.

• هل كان المشركون يؤمنون بالربوبية أم لا ؟

الجواب: نعم، ولكنه لم يكن إيمانًا بالربوبية على وجه الكمال، إذ لو فعلوا لاستلزم ذلك الإيمان بالألوهية وهم كفروا بها .

والدليل قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفي} (الزمر: ٣)، وقوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} (العنكبوت: ٦١)، وقوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (لقمان: ٢٥)، وقوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} (الزمر: ٣٨)، وقوله تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ العليم} (الزخرف: ٩)، وقوله تعالى: {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عليه إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩)} (سورة: المؤمنون).

إلى آخر الآيات التي تدل على أن الكفار كانوا يؤمنون بتوحيد الربوبية، وإنما كفروا بتوحيد الألوهية.

• هناك من أنكر توحيد الربوبية، الذى كان المشركون يقرون به.

مثل فرعون، ولكنه كان يقر به قال تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} (النمل: ١٤)، وهناك أناس انحرفوا في باب الربوبية، كالمجوس القائلين بالأصلين، يقصدون بذلك وجود أصلين، أصل النور وأصل الظلمة، والظلمة حادثة والنور أزلى قديم وأن هذين الأصلين هما الذين خلقا العالم، فكفروا بذلك بتوحيد الربوبية .

وممن كفر بتوحيد الربوبية أيضا: النصارى لأنهم ادعوا أن الله ثالث ثلاثة – تعالى عن قولهم- .

وكذلك ممن كفروا به: عباد الأصنام.

والقدرية لأنهم ادعوا أن العبد يخلق أفعاله فهذا كفر بتوحيد الربوبية.

ومنهم كذلك غلاة الصوفية القائلين أن الكون يصرفه خمسة أشخاص.

ويزعمون أن هؤلاء الخمسة جعلهم الله تعالى يتصرفون في أحوال الكون، فأشركوا بذلك في توحيد الربوبية، لأن المتصرف في الكون هو الله عزوجل.

ومنهم أيضا بعض الروافض لأنهم يدعون أن الولى يملك الدنيا والآخرة.

• معرفة الله.

ومن لوازم إثبات ذات الرب سبحانه وتعالى معرفة الله عزوجل، ومعرفة الله من مفردات توحيد الربوبية، ومعرفة الله على نوعين:

النوع الأول: معرفة الإقرار، ويشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر إلا من أنكر الربوبية.

هؤلاء كلهم مقرون بالله فيجوز أن يقال أنهم يعرفون الله بالمعرفة العامة التى هي معرفة الإقرار.

وهناك معرفة خاصة، وهى معرفة توجب الحياء منه والمحبة له وتعلق القلب به والشوق إلى لقائه وخشيته والإنابة إليه سبحانه وتعالى.

وقد تقدم أن معرفة الله تكون بالنظر في الكتاب المسطور وهو الوحي = قرآنا وسنة، وتكون بالنظر إلى الكتاب المنظور (الكون).

• الآثار المترتبه على الإيمان بتوحيد الربوبية:

١. **معرفه عظمة الله تعالى**، فانظر كيف حال قلبك عند قراءة قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ العليم (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨)} (سورة: الأنعام).

وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} (فاطر: ٤١).

٢. **استشعار نعمة الله ومنته**، فالله عزوجل أنعم على عباده وهذه النعم من مفردات الربوبية لأنها ناشئة عن أفعال الله، حينما تشاهد أفعال الله عزوجل تعلم يقينا أن هذا الفعل فعل الله، فإذا علمت يقينا أن هذا الفعل فعل الله تعالى

استشعرت منة الله تعالى عليك ونعمته، لِذَلِك كَان النّبي صلّي اللّه عليه وَسَلّم يُصَلّي حتى تَتَورّم قَدَمَاه، وَفِي رِوَايَة حَتّى تَفطّرَت قَدَمَاه، وَفِي رِوَايَة حتى تَشَقّقَت قَدَمَاه، وَفِي رِوَايَة حتى تَرمت قَدَمَاه - عليه الْصلاة وَالْسلام-، تَقُوْل لَه عَائِشَة رَضِي الْلّه عَنْهَا لَم تفعل ذَلِك يَا رَسُوْل الْلّه قَد غَفَر الْلّه لَك قَال: أَفَلَا أَكُوْن عَبْدا شَكُوْرا.

فالإنسان إذا استحضر نعمة الله عليه لا يكفر بهذه النعمةبل = يستعملها في الحلال وليس في الحرام لأنه استشعر نعمة الله عليه.

٣. **التوكل على الله والثقة بجنابه سبحانه وتعالى.**

فالإنسان إذا اعتقد أن الله تعالى هو ربه وهو خالقه وهو رازقه وهو المتصرف في أمره، إذا اعتقد هذه الأمور توكل على الله عزوجل.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ:" يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عليك، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ ".

ومما يدل على حقارة الدنيا وأنه شيء ينبغى للعبد أن لا يتعلق به، ولا يتشبث به، ولا يملأ قلبه به، ما وقع بين السماك وهارون الرشيد الخليفة العباسي المعروف، دخل عليه ابن السماك يوما فاستسقى الرشيد فأتي بقلة فيها ماء مبرد، فقال لابن السماك: عظني. فقال: يا أمير المؤمنين، بكم كنت مشتريا هذه الشربة لو منعتها ؟ فقال: بنصف ملكي.

فقال: اشرب هنيئا. فلما شرب قال: أرأيت لو منعت خروجها من بدنك، بكم كنت تشتري ذلك ؟ قال: بنصف ملكي. فقال: إن ملكا قيمته شربة ماء لخليق أن لا يتنافس فيه. فبكى هارون.

والدنيا كلها لا تساوى عند الله جناح بعوضه.

فلأجل ذلك كان أعظم المتوكلين على الله أنبياء الله: {وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} (إبراهيم: ١٢).

وانظر إلى الراهب الذى جاء إلى الملك في قصه البروج، {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} (البروج: ١)، وفي قصة الغلام الرجل: عَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ

كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ ". رواه مسلم.

لذلك فالتوكل على الله سبحانه وتعالى يدفع الإنسان إلى العمل دائما ويدفع الإنسان إلى الخير ويدفع الإنسان إلى الثقة بأن الله تعالى سينصره، ثق أن الله تعالى معك سبحانه وتعالى يؤيدك ما دمت في الخير ولا تهتم بكلام الناس.

طالما سجن علماء كثيرون وحبسوا، شيخ الإسلام سجن ومات في محبسه رحمه الله تعالى، لأجل فتوى وهذه الفتوى هي المعمول بها الآن في معظم ديار الإسلام، لكن رفع الله مناره وأعلى ذكره بتوكله على ربه سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: أن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القاعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة.

أو قال ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله.

وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه.

ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: {فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣)} (سورة: الحديد)، وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها، وَكُل هَذَا مِن تَوَكُّلِه على اللّه.

٤. **معرفه العبد نفسه بالفقر وربه بالغنى والقهر**، فالعبد إذا استشعر نعمة الله لا يتكبر على أحد.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧)} (سورة: فاطر).

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:" الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ".

فالإنسان لا ينبغى له إذا استفاد علما معينا أو حفظ شيئا معينا أو حباه الله بشىء معين أو وضعه في مكانة معينة = أن يتكبر على الخلق ويختال بنفسه ويزهو.

وَانْظُر إلى تَوَاضُعِه صَلّي اللّه عليه وَسَلّم فعَن أَنَس رَضِي اللّه عَنْه قَال:" إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ ".

فعلى أي شيء يتكبر الإنسان، الكبرياء والكبر لله وحده لا شريك له.

وكان النّبي صَلّي اللّه عليه وَسَلّم: إِذَا دَخَل رَجُل لَا يَعْرِفُه لجلوسه بَيْن أَصْحَابه كأنه َواحد مِن بَيْن الْناس لَا يُعْرَف حتى يُسْأَل عَنْه.

وعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ»، فنسب نفسه إلى أمه صلى الله عليه وسلم وفي العادة فإن الفخر يكون بالنسب إلى الآباء فأحب أن يتواضع صلى الله عليه وسلم، قال: [إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ]، يقول: هي امرأة مثل بقية النساء وأنا رجل مثل بقية الرجال صلى الله عليه وسلم مع أنه فضل عليهم بالرساله ونهاهم الله أن يخاطبوه كما يخاطب بعضهم بعضا.

قال تعالى: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} (النور: ٦٣)، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} (الحجرات: ٢)، ومع ذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم مثال التواضع.

فلابد للإنسان أن يعرف قدر نفسه وألا يتكبر على أحد.

محمد بن واسع رحمه الله كان كما يقول بعض العلماء عنه إذا نظرت إلى وجهه ظننت أنه وجه ثكلى من شدة البكاء، وكان بعض الناس يذهب إليه ينظر في وجهه ليرق قلبه، ماذا كان يقول؟ " لو كان للذنوب ريح لما استطاع أحد أن يجلس إلى جواري ".

وكان بعض العلماء يقول إذا رأيت من هو أكبر منك فقل هذا خير مني لأنه عرف الله قبلي، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل هذا خير مني لأني عصيت الله قبله.

٥. **انتظام العبد مع سائر المخلوقات في الكون**، الكون كله يعبد الله، فالإنسان يكون في راحه إذا عبد الله.

قَال الناظم رحمه الله تعالى:

٢٦. إِثْبَاتُ ذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلاَ	**أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى صِفَاتِهِ الْعُلَى**
٢٧. وَأَنَّهُ الرَّبُّ الْجَلِيْلُ الأَكْبَرُ	**الْخَالِقُ الْبَارِئُ وَالْمُصَوِّرُ**
٢٨. بَارِي الْبَرَايَا مُنْشِئُ الْخَلاَئِقِ	**مُبْدِعُهُمْ بِلاَ مِثَالٍ سَابِقِ**
٢٩. الأَوَّلُ الْمُبْدِي بِلاَ ابْتِدَاءِ	**وَالآخِرُ الْبَاقِي بِلاَ انْتِهَاءِ**
٣٠. الأَحَدُ الْفَرْدُ الْقَدِيْرُ الأَزَلِيُّ	**الصَّمَدُ الْبَرُّ الْمُهَيْمِنُ الْعَلِيُّ**

• تعريف توحيد الأسماء والصفات.

هو: اعتقاد انفراد الله بالكمال المطلق من جميع الوجوه.

والقاعده الأساسية في توحيد الأسماء والصفات، هي أصول أهل السنة في هذا الباب:

١. الإثبات.

٢. النفي.

٣. التوقف.

فالإثبات: إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

والنفي: نفي ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، ويزيدون في النفي شيئا وهو: أنهم ينفون مع إثبات كمال الضد.

فالعلماء يقولون: النفي المحض تعطيل محض، لذلك: فإن الله إذا نفي عن نفسه شيئا فلا بد أن يثبت له كمال الضد.

قال تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} (البقرة: ٢٥٥).

{لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} نفي، وأثبت الله كمال ضد هذا النفي " كمال الحياة والقيومية ": {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}.

ومن هذا أيضا قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الشورى: ١١).

فالنفي: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، والإثبات قوله: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

وأتى بالسمع والبصر لاشتراك أكثر المخلوقات فيهما ومع اشتراك أكثر المخلوقات في السمع والبصر إلا أن الله يتفرد بسمع وبصر يليقان بجلاله وكماله.

والتوقف: فيما لم يرد فيه نفي ولا إثبات.

فطريقتهم فيما لم يرد نفيه ولا إثباته مما تنازع الناس فيه، كالجسم، والحيز، والجهة ونحو ذلك، فطريقتهم فيه التوقف في لفظه، فلا يثبتونه ولا ينفونه، لعدم وروده، وأما معناه فيستفصلون عنه، فإن أريد به باطل ينزه الله عنه = ردوه، وإن أريد به حق لا يمتنع على الله = قبلوه.

فإذا سأل سائل مثلاً: عن "الجهة" هل تثبت في حق الله أم لا؟ قيل له: أولاً: هذه اللفظة لا نثبتها ولا ننفيها؛ لأنه لم يرد في النصوص الشرعية إثباتها ولا نفيها.

وثانياً: يُقال له: ما مرادك بهذا السؤال؟ فإن قال: أريد أنه تعالى في مكان يحويه. قيل: هذا معنىً باطلٌ ينزه الله عنه، وإن قال: أريد أنه تعالى مباين للمخلوقات فوقها وأنه تعالى في جهة العلو المطلق. قيل: هذا حقٌّ يجب الإيمان به، لكن لفظة "الجهة" لفظة مجملة محدثة، الأَوْلَى تركها.

وإن كان قصد السائل الاسترشاد فحسن، وإن كان قصده رد ما ثبت في النصوص الشرعية الكثيرة من إثبات صفة العلو لله تعالى فهذا خطأ وزلل يجب عليه أن يتوب عنه.

- وهذه الطريقة هي الطريقة الواجبة، وهي القول الوسط بين أهل التعطيل، وأهل التمثيل، وقد دل على وجوبها وصحتها العقل، والسمع:

فأما العقل فوجه دلالته: أن تفصيل القول فيما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى لا يدرك إلا بالسمع، لأنه من أمر الغيب الذي لا يحيط به الإنسان علما فوجب اتباع السمع في ذلك، بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه، والسكوت عما سكت عنه.

وأما السمع: فمن أدلته قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأعراف:١٨٠)، وقوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(الشورى:١١)، وقوله: {وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} (الإسراء:٣٦).

فالآية الأولى: دلت على وجوب الإثبات من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، لأن هذه الأمور الثلاثة من الإلحاد.

والآية الثانية: دلت على وجوب نفي التمثيل مع وجوب الإثبات.

والآية الثالثة: دلت على وجوب نفي التكييف، وعلى وجوب التوقف فيما لم يرد إثباته أو نفيه.

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن أهل السنة والجماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم يؤمنون بأن جميع صفات الله جل وعلا الثابتة في الكتاب والسنة صفات حقيقية، لا مجازية.

• مسألة في تعريف التحريف، والتعطيل، والتكييف والتمثيل.

• أولا: تعريف التحريف:

التحريف: هو التغيير والإمالة.

فالتحريف معناه: تغيير النص لفظاً، أو معنىً، والتغيير اللفظي قد يتغير معه المعنى، وقد لا يتغير. فهذه ثلاثة أقسام:

١- تحريف لفظي يتغير معه المعنى: كتحريف بعضهم قوله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً} بنصب لفظ الجلالة ليكون التكليم من موسى.

٢- وتحريف لفظي لا يتغير معه المعنى: كفتح الدال من قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، وهذا في الغالب لا يقع إلا من جاهل، إذ ليس فيه غرض مقصود لفاعله غالبا.

٣- تحريف معنوي: وهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل، كتحريف معنى اليدين المضافتين إلى الله إلى القوة أو النعمة، وتحريف معنى الاستواء إلى الاستيلاء، وتحريف معنى الضحك إلى الثواب، وغير ذلك، كما فعل الأشاعرة وغيرهم. وهذا من الإلحاد في أسماء الله وآياته، فيتأولون نصوص الصفات على غير تأويلها، ويدَّعون فيها صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بغير دليل، سوى الآراء البشرية والشبه العقلية التي ظنوها بينات، وإنما هي في واقع الأمر شبهات كلامية مبنية على الفلسفة اليونانية، فتأويلهم لنصوص الصفات حقيقته تحريف لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم عن مواضعه، فإن التأويل الصحيح هو الذي يوافق ما جاء في الكتاب والسنة، وما خالف ذلك باطل، فإن كل تأويل لم يدل عليه دليل من السياق ولا معه قرينة تقتضيه فهذا لا يقصده الهادي المبين بكلامه، إذ لو قصده لحفَّ به قرائن تدل على المعنى المخالف لظاهره حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ، فإن الله أنزل كلامه بيانا وهدى، فإذا أراد به خلاف ظاهره ولم يلحق به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحد لم يكن بيانا ولا هدى. فالتأويل إخبار بمراد المتكلم لا إنشاء، فإذا قيل: "معنى اللفظ كذا وكذا" كان إخباراً بالذي عنى المتكلم وأراده بكلامه، فإن لم يكن الخبر مطابقاً كان تفسيراً لكلام المتكلم بغير مراده، وذلك خطأ ظاهر.

• ثانيا: التعطيل.

والفرق بين التحريف والتعطيل:

أن كل محرف معطلا، وليس كل معطل محرفا، فالتحريف تعطيل وزيادة.

مثال التعطيل قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (طه: ٥)، الأول = المحرف: يقول لم يستو فينفي الاستواء = ثم قال استوى بمعنى استولى، أما المعطل: فيقول لم يستو، أو يقول أنا لا أعرف معنى الاستواء وهو التفويض، فالتفويض جزء من التعطيل، فهو بذلك عطل فقط.

والتعطيل لغه: التخليه والترك. قال تعالى: {وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ} (الحج: ٤٥)، أي: أهملها أهلها.

يقول الشاعر:

وَجِيد كَجِيد الرِّئم لَيْس بِفَاحِش ... إِذَا هِي نَصَّته وَلَا بِمُعَطَّل

يصف رقبة محبوبته، إذا هي نصته: أي: أظهرته، ولا بمعطل: أي: ليس بخال عن الحلي.

والمعطلة أقسام: فمنهم معطلة غلاة ينفون النفي والإثبات.

وهناك معطلة ينفون الصفات دون الأسماء.

وهناك من ينفي بعض الصفات ويثبتون البعض مثل الأشاعرة والماتريدية، فبعضهم يثبت سبع صفات وبعضهم ثمانية وبعضهم يزيد وينقص على اختلاف بينهم.

والمعتزلة يثبتون الأسماء دون الصفات وبعضهم يثبت ثلاثة صفات إلى آخر اختلافهم وتناقضهم.

وبالجملة فهو نوعان:

١- تعطيل كلي: كتعطيل الجهمية الذين ينكرون الأسماء والصفات.

٢- تعطيل جزئي: كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات ويؤولونها، ويثبتون بعض الصفات.

وأول من عرف بالتعطيل من هذه الأمة هو الجعد بن درهم، وكل من جاء بعده من المعطلة فهو مقلد له متأس به في كل ما جاء به من التعطيل أو في بعضه.

- **ثالثا: التكييف:** هو حكايه كيفيه الصفه من غير أن يقيدها بمماثل.

كقول القائل: كيفية يد الله كذا وكذا، وكيفية نزوله إلى السماء الدنيا كذا وكذا. وقد يقيد أو يقرن هذه الكيفية بمماثل فيقول مثلاً: نزول الله تعالى كيفيته كنزول المطر، تعالى الله عن ذلك، فيجمع بين التكييف والتمثيل.

هذا هو الفرق بين التمثيل والتكييف، فالتكييف هو أن يحكى كيفية الشيء سواء كانت:

مطلقة، مثل: اشتريت سيارة صفتها كذا وكذا ولكنه لا يذكر مثيلاً لها .

مقيدة بشبيه، أن يقول: اشتريت سيارة مثل هذه السيارة.

أما التمثيل فيكون مقيداً بالمماثل، فيكون التكييف أعم لأن كل ممثل مكيف وليس كل مكيف ممثلاً .

- **رابعا: التمثيل:** هو اعتقاد أن الصفه تماثل صفات المخلوقين.

يقول الأبعد يد الله كيده أو كيد البشر.

فائدة **كيفيه الشيء لا تدرك إلا بثلاثة أمور:**

١. مشاهدته.
٢. مشاهده نظيره.
٣. إخبار الصادق عنه.

وهذا منفي في حق الله – عز وجل–، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « ..... وَأَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا».

وعَن عَائِشَة رَضِي اللّه عَنْهَا أَنهَا قَالَت: "مَن حَدثَكُم أَن مُحَمدا رَأَى رَبه فَقَد أَعْظَم الْفِرْيَة عَلَى اللّه"؛ مُتفَق عليه.

والله عزوجل ليس له نظير، قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الشورى: ١١)، وقوله تعالى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} (الإخلاص: ٤).

و لم يخبر أحد عن كيفيه صفاته، فالرسل أخبرت عن المعنى: أخبرت عن الصفات ومعانيها لكنهم لم يخبروا عن الكيفيه – كيفيه الصفة– .

أصول أهل السنة في الأسماء والصفات:

هناك ثلاثة أصول حتى يكون الإيمان بالأسماء والصفات صحيحا وهي:

الأصل الأول: تنزيه الله أن يشبه أحدًا من المخلوقين.

الأصل الثاني: الإيمان بالأسماء والصفات على الوجه اللائق، وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، ونفي ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل.

الأصل الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية الصفات لأنه ممتنع عن الله، أو لأنه مستحيل.

فائدة

الفرق بين التمثيل والتشبيه:

أن التمثيل = مساواة من جميع الوجوه، أما التشبيه = فمن بعض الوجوه دون بعض، لأجل ذلك عبر القرآن بالتمثيل و لم يعبر بالتشبيه.

- **قواعد مهمة في باب الأسماء والصفات:**

١٦. **القاعدة الأولى:**

أسماء الله كلها حسنى، قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} (الأعراف:١٨٠).

يقول العلماء: أن اللام هنا لام الاستحقاق = أن الأسماء الحسنى مستحقة لله وأن الله مستحق للأسماء الحسنى، والألف واللام للاستغراق فيفيد أن كل الأسماء الحسنى مستحقة لله.

- وسميت الأسماء الحسنى بهذا الاسم:

١. لسلامتها من النقص والعيب، ولاشتمالها على الكمال المطلق لله تبارك وتعالى.
٢. لأنها تشتمل على كل كمال مطلق مستحق لله.
٣. لأنها تنفي عن الله كل نقص وعيب.
٤. لحسنها في الأسماع والقلوب.

مثال: قوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} (الفرقان: ٥٨).

ذكر اسم الحي: لأن الإنسان يحتاج إلى التوكل على الله في كل وقت فلذلك = ناسب أن يأتي بالاسم المصاحب للإنسان في كل حال وهو الحياة، فقال الحي وأكد هذه الحياة فقال: {الَّذِي لَا يَمُوتُ} (الفرقان: ٥٨).

- **القاعدة الثانية:**

أسماء الله تعالى كلها أعلام وأوصاف.

فأسماء الله، وأسماء الأنبياء، وأسماء القران كلها أعلام وأصاف.

يعني: أن الاسم دال على معنى مستحق في المسمى، بخلاف أسماء البشر: فمثلاً تجد من يسمي: عادل وهو ظالم.

لكن أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك القرآن = أعلام وأوصاف مثل: الماحي الذي يمحو الله به الكفر.

والقرآن اسمه " قرءان " لأنه مقروء، واسمه ذكر لأنه يُذكَر به الله، ويذكِّر الناس بالله، وهو ذكر لمن استمسك به: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} (الزخرف: ٤٤)، أي شرف لك ولقومك.

يقول السخاوي:

وَبَعْدُ فَالْقُرآنُ نُورٌ مُشْرِقُ | حَامِلُهُ مُسَدَّدٌ مُوَفَّقُ
وَجَاءَ عَنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ | ذِي الْفَضْلِ وَالْفَخْرِ الرَّسُولِ الْمُرْشِدِ
فِي فَضْلِ حُفَاظِ الْقُرانِ الْمَهَرَةْ | أَنَهُمُ مَعَ الْكِرَامِ السَّفَرَةْ
لأَنَّهُ فِي صُحُفٍ مُطَهَّرَةْ | وَهْيَ بِأَيْدِهِمْ كَمَا قَدْ ذَكَرَهْ
فَالْحَافِظُ الْمُتْقِنُ قَدْ سَاوى الْمَلَكْ | فَاسْتَعْمِلِ الْجِدَّ فَمَنْ جَدَّ مَلَكْ

وكذلك: فإن أسماء الله أعلام وأصاف، فقوله تعالى: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (الفاتحة: ٣)، دال على اسميه الرحمن والرحيم، وعلى اتصافه بصفة هي: الرحمة.

وهي -الأسماء- باعتبار دلالتها على الذات مترادفة، وباعتبار دلالتها على المعنى متباينة، فمعنى العليم غير معنى البصير غير معنى السميع، وهي كلها تدل على ذات الله تعالى.

- **القاعدة الثالثة:**

أسماء الله إن دلت على وصف متعد تضمنت أمورا ثلاثة، وإن دلت على وصف لازم تضمنت أمرين.

فإن دلت على وصف متعدٍ، تضمنت:

١. ثبوت الاسم.
٢. ثبوت الصفة التي يتضمنها الاسم.
٣. ثبوت حكمها ومقتضاها وأثرها.

فمثلاً: السميع: من أسماء الله، وثبت له الصفة وهي = السمع، وكذلك ثبت حكمها ومقتضاها: أن الله تعالى يسمع، كما قال: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} (المجادلة: ١).

وإن دلت على وصف لازم، تضمنت:

١. ثبوت الاسم.
٢. ثبوت الصفة التي يتضمنها الاسم.

فمثلا، العظيم: اسم لازم، فيقتضي: إثبات الاسم = العظيم، والصفة وهي = العظمة.

- **القاعدة الرابعة:**

دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام.

المطابقة: دلالة الشيء على تمام معناه.

والتضمن: دلالة الشيء على جزء من معناه. "وهي لتسهيل المعلومة".

والالتزام: دلالة الشيء على خارج من معناه.

فالاسم من أسماء الله:

يدل بدلالة المطابقة: على الذات والصفة معًا.

ويدل بدلالة التضمن: إما على الذات، وإما على الصفة.

وليس هناك ذات من دون صفات إلا في الذهن، فهذا تقسيم غير موجود في الوقع، وإنما ذكرت لتيسير المعلومة.

ويدل بدلالة الالتزام: على ما لم يشتق من الاسم .

فمثلًا: اسم الله العليم.

فيدل بدلالة المطابقة: على الذات والصفة (العلم).

ويدل بدلالة التضمن: إما على الذات وإما على الصفة.

ويدل بدلالة الالتزام على صفات الحياة، والغنى، والقدرة ....إلخ .

ومن ذلك: "الخالق" يدل على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام.

ولهذا لما ذكر الله خلق السماوات والأرض قال: {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً} .

ودلالة الالتزام مفيدة جدًا لطالب العلم إذا تدبَّر المعنَى، ووفقهُ الله تعالى فهمًا للتلازم، فإنه بذلك يحصل من الدليل الواحد على مسائل كثيرة.

واعلم أن اللازمَ من قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم إذا صح أن يكون لازما فهو حق، وذلك لأن كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم حقٌ، ولازمُ الحق حق، ولأن الله تعالى عالم بما يكون لازما من كلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فيكون مرادًا.

- **القاعدة الخامسة:**

أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها بل النص مقدم على العقل فيها.

قبل أن نورد الأقوال في كون الأسماء توقيفية أم لا نحرر محل التراع وهو:

أ - أن العلماء متفقون على جواز إطلاق الأسماء والصفات إذا ورد بها الإذن من الشارع.

ب - ومتفقون على امتناع تسميته إذا ورد المنع منه.

ج- واختلفوا إذا لم يوجد إذن ولا منع على أقوال هي:

١ - **أن أسماء الله توقيفية** وهو مذهب أهل السنة وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: {ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً} [الإسراء: ٣٦]، وقوله: {قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم يترل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون} [الأعراف: ٣٣]، ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص، وقوله عليه الصلاة

والسلام في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه: (لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) والتسمية من الثناء فدل على أن العقل لا مجال له في باب الأسماء إلا التصديق والوقوف عند النصوص.

ومن الأدلة أيضاً أنه لا يجوز تسمية النبي صلى الله وسلم بما ليس من أسمائه فالباري أولى،

قال السفاريني:

لكنَّها في الحقِّ توقِيفَيَّة　　　لنا بــــذَا أدلةٌ وفيَّة

٢ – قول المعتزلة ومال إليه الباقلاني، وهو أن أسماء الله **ليست توقيفية** أي يجوز أن يسمى الله بكل اسم إذا كان متصفاً بمعناه و لم يوهم نقصاً وان لم يرد توقيف من الشارع.

٣ – **التوقف وعدم الجزم بالتحريم ولا الجواز** وهو قول إمام الحرمين، ونسب الزركشي في شرح جمع الجوامع إلى الباقلاني التوقف أيضاً فلعل له في المسألة قولين.

ويذكر مترجموا أبي الحسن الأشعري أن من أسباب تركه الاعتزال مناظرته لشيخه أبي علي الجبائي في بعض المسائل، ومنها هذه المسألة فقد كان أبو الحسن الأشعري يرى أن أسماء الله توقيفية – بخلاف شيخه الجبائي فمرة دخل رجل على الجبائي، فقال له: هل يجوز أن يسمى الله تعالى عاقلاً

فقال الجبائي: لا لأن العقل مشتق من العقال، وهو المانع، والمنع في حق الله محال، فامتنع الإطلاق.

فقال أبو الحسن الأشعري: فقلت له: فعلى قياسك لا يسمى الله سبحانه حكيماً لأن هذا الاسم مشتق من حكمة اللجام وهي الحديدة المانعة للدابة عن الخروج، ويشهد لذلك قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

فَنَحْكُمُ بِالقَوافِي مَنْ هَجَانَا　　　وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ السُّيوفُ

وقول الآخر:

أَبَنِي حَنِفَيةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكَمْ　　　إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُو أَنْ أَغْضَبَا

أي: نمنع بالقوافي من هجانا، وامنعوا سفهاءكم.

فإذا كان اللفظ مشتقاً من المنع، والمنع على الله محال، لزمك أن تمنع إطلاق (حكيم) على الله سبحانه وتعالى.

قال: فلم يجب الجبائي إلا أنه قال لي: فلم منعت أنت أن يسمى الله سبحانه عاقلاً وأجزت أن يسمى حكيماً؟

قال: فقلت له: لأن طريقي في مأخذ أسماء الله الإذن الشرعي دون القياس اللغوي فأطلقت حكيماً لأن الشرع أطلقه ومنعت عاقلاً لأن الشرع منعه ولو أطلقه الشرع لأطلقته اهـــ .

ومما سبق نستخلص قاعدة أخرى وهي:

إن ما يطلق عليه –سبحانه– في باب الأسماء والصفات توقيفي وما يطلق عليه من الإخبار لا يجب أن يكون توقيفياً كالقديم والشيء الموجود والقائم بنفسه فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه بعض ما لم يرد به السمع.

- **القاعدة السادسة:**

أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين.

قال النبي صلي الله عليه وسلم:" أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ

هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ حُزْنَهُ وَهَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا". فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: "بَلَى يَنْبَغِي لِكُلِّ مَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا ".

ومعنى إحصاء الأسماء الحسنى:

١. إحصاء الألفاظ وعددها.
٢. فهم معانيها ومدلولاتها.
٣. دعائه جل وعلا بها {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} (الأعراف:١٨٠).

- **القاعدة السابعة:**

من أسماء الله ما يطلق عليه منفرداً ومنها ما يطلق عليه مقترناً بغيره، مفرداً فالأول: مثل: الله، الرحمن، الرحيم، السميع، البصير.

مقترناً بغيره مثل: الضار النافع، المعز المذل، الخافض الرافع." إن ثبتت!!!".

- **قواعد في صفات الله عز وجل:**

- **القاعدة الأولى:**

صفات الله كلها حسنى = لا نقص فيها بوجه من الوجوه: قال تعالى: {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (النحل:٦٠).

- **القاعدة الثانية:**

باب الصفات أوسع من باب الأسماء، لأن كل اسم له صفة وليس كل صفة لها اسم، فمثلا المجيء صفة من صفات الله قال تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} (الفجر: ٢٢)، وليس من أسمائه الجائي.

- **القاعدة الثالثة:**

صفات الله تنقسم إلى قسمين: (ثبوتية، وسلبية).

فالثبوتية: هي صفات الكمال التي لا نقص فيها في وجه من الوجوه، مثل: الاستواء، العلم، الحكم، الملك.

والسلبية: هي ما نفاه الله عن نفسه، مثل: الصمم، واللغوب.

و الأكثر في القرآن الإثبات لأن صفات السلب ليس فيها كمال إلا مع إثبات كمال الضد.

والصفات الثبوتية: تنقسم إلى قسمين" ذاتية، فعلية " .

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال الله متصف بها. مثل العلم، السمع، البصر، العزة، الحكمة، القدرة.

والفعلية: هي الصفات التابعة للمشيئة، مثل النزول إلى السماء الدنيا، والمجيء، والإتيان.

وهناك صفات ذاتيه فعلية، مثل: الكلام فهو من حيث أصله = ذاتي، ومن حيث آحاده = فعلي.

- **القاعدة الرابعة:**

صفات الله تعالى توقيفية لا تثبت إلا بالنص، والصفة في القران والسنة تأتى على أضرب ثلاثة:

١- التصريح بالصفة: مثل {إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ العليم} (يونس: ٦٥)، {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} (الذاريات: ٥٨).

٢- تضمن الاسم لها: مثل العزيز الغفور، {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} (الملك: ٢).

٣- التصريح بفعل أو صفة دالة عليه، مثل {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (طه: ٥)، {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} (الفجر: ٢٢).

- **القاعدة الخامسة:**

المضافات إلى الله إن كانت أعياناً فهي من جملة المخلوقات، وإن كانت أوصافاً فهي من صفات الله.

وبيان ذلك أن المضافات إلى الله على نوعين:

أ- أعيان قائمة بذاتها مثل: عبد الله، ناقة الله، فهذه من جملة المخلوقات، وإضافتها إلى الله من باب إضافة المخلوق لخالقه، وقد تقتضي تشريفاً مثل: بيت الله، وناقة الله، وقد لا تقتضي تشريفاً مثل: أرض الله، سماء الله.

ب- أن يكون المضاف أوصافاً غير قائمة بذاتها مثل: سَمْع الله، قدرة الله، بصر الله، فهذه الإضافة تقتضي أن هذه الصفة قائمة بالله، وأن الله متصف بها، وهذا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

- **القاعدة السادسة:**

القول في بعض الصفات كالقول في بعض.

وشرحها: أن القول في بعض صفات الله من حيث الإثبات والنفي كالقول في البعض الآخر وهذه القاعدة يخاطب بها من يثبت بعض الصفات وينكر البعض الآخر.

فإذا كان الرجل يثبت بعض الصفات كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها ويجعل ذلك كله حقيقة ثم ينازع في صفة المحبة والرضا والغضب وغيرها، ويجعل ذلك مجازًا فيقال له: لا فرق بين ما أثبته وبين ما نفيته فالقول في أحدهما كالقول في الآخر.

فإن كنت تثبت له حياة وعلمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا لا تشبه ما يثبت للمخلوقين الذين يتصفون بهذه الصفات فكذلك يلزمك أن تثبت له محبة ورضًا وغضبًا كما أخبر هو عن نفسه من غير مشابهة للمخلوقين وإلا وقعت في التناقض.

- **القاعدة السابعة:**

القول في الصفات كالقول في الذات.

فكما أن ذات الله غير مخلوقة = فصفات الله غير مخلوقة.

وبيانها: أن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله. فإذا كان لله ذات حقيقية لا تماثل الذوات بلا خلاف فكذلك الصفات الثابتة له في الكتاب والسنة، هي صفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات فالقول في الذات والصفات من باب واحد.

وهذه قاعدة عظيمة يناقش بها من ينكر الصفات مع إثباته الذات فإن إثبات الذات للرب عز وجل محل إجماع الأمة.

فإذا قال قائل: لا أثبت الصفات لأن في إثباتها تشبيهًا لله بخلقه.

يقال له: أنت تثبت لله ذاتًا حقيقية وتثبت للمخلوقين ذواتًا أفليس هذا تشبيهًا على قولك!! فإن قال: إنما أثبت ذاتًا لله لا تشبه الذوات ولا يسعه غير هذا. قيل له يلزمك هذا في باب الصفات فإن كانت الذات لا تشبه الذوات وهو حق

فكذلك صفات الذات الإلهية لا تشبه الصفات. فإن قال: كيف أثبت صفة لا أعلم كيفيتها. قلنا: له كما تثبت ذاتًا لا تعلم كيفيتها.

** الفرق بين الأسماء والصفات:

سُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية عن الفرق بين الاسم والصفة؟

فأجابت بما يلي:

((أسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به؛ مثل: القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير؛ فإن هذه الأسماء دلَّت على ذات الله، وعلى ما قام بها من العلم والحكمة والسمع والبصر، أما الصفات؛ فهي نعوت الكمال القائمة بالذات؛ كالعلم والحكمة والسمع والبصر؛ فالاسم دل على أمرين، والصفة دلت على أمر واحد، ويقال: الاسم متضمن للصفة، والصفة مستلزمة للاسم ...)) ا.هـ .

ولمعرفة ما يُميِّز الاسم عن الصفة، والصفة عن الاسم أمور، منها:

أولاً: ((أن الأسماء يشتق منها صفات، أما الصفات؛ فلا يشتق منها أسماء، فنشتق من أسماء الله الرحيم والقادر والعظيم، صفات الرحمة والقدرة والعظمة، لكن لا نشتق من صفات الإرادة والمجيء والمكر اسم المريد والجائي والماكر))، فأسماؤه سبحانه وتعالى أعلام أوصاف؛ كما قال ابن القيم في ((النونية)):

أسماؤُهُ أوْصافُ مَدْحٍ كُلُّها ... مُشْتَقَّةٌ قَدْ حُمِّلَتْ لِمَعان

ثانياً: ((أن الاسم لا يُشتق من أفعال الله؛ فلا نشتق من كونه يحب ويكره ويغضب اسم المحب والكاره والغاضب، أما صفاته؛ فتشتق من أفعاله فنثبت له صفة المحبة والكره والغضب ونحوها من تلك الأفعال، لذلك قيل: باب الصفات أوسع من باب الأسماء)) .

ثالثاً: أن أسماء الله عَزَّ وجَلَّ وصفاته تشترك في الاستعاذة بها والحلف بها، لكن تختلف في التعبد والدعاء، فيتعبد الله بأسمائه، فنقول: عبد الكريم، وعبد الرحمن، وعبد العزيز، لكن لا يُتعبد بصفاته؛ فلا نقول: عبد الكرم، وعبد الرحمة، وعبد العزة؛ كما أنه يُدعى اللهُ بأسمائه، فنقول: يا رحيم! ارحمنا، ويا كريم! أكرمنا، ويا لطيف! الطف بنا، لكن لا ندعو صفاته فنقول: يا رحمة الله! ارحمينا، أو: يا كرم الله! أو:يا لطف الله! ذلك أن الصفة ليست هي الموصوف؛ فالرحمة ليست هي الله، بل هي صفةٌ لله، وكذلك العزة، وغيرها؛ فهذه صفات لله، وليست هي الله، ولا يجوز التعبد إلا لله، ولا يجوز دعاء إلا الله؛ لقوله تعالى: {يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} (النور: ٥٥)، وقوله تعالى {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} (غافر:٦٠)، وغيرها من الآيات .

وقد نسب هذا القول لشيخ الإسلام ابن تيمية، لكن ينبغي هنا أن نفرق بين دعاء الصفة كما سبق وبين دعاء الله بصفة من صفاته؛ كأن تقول: اللهم ارحمنا برحمتك، فهذا لا بأس به. والله أعلم.أ.هـ .

وقال الشيخ - الغنيمان:

((والفرق بين الاسم والصفة: أن الاسم يدل على الذات، فمثلاً: الرب يدل على ذاته المقدسة والله كذلك، والرحمان والرحيم.

أما الصفة فهي المعنى الذي يقوم بالذات، مثل الرحمة، فالرحمة معنى قائم بالله جل وعلا دل عليها الاسم الذي هو الرحمن أو الرحيم.

هذا الفرق الأول.

الفرق الثاني: وذكر الفرق الأول فيما سبق . أ.هـــ.

تحديد ضابط الأسماء الحسنى:

لعل أنسب تعريف للأسماء الحسنى هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية فيها: ((الأسماء الحسنى المعروفة: هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها)).

وهذا التعريف هو أصلح وأفضل تعريف للأسماء الحسنى وذلك:

أولاً: لموافقته للنص الشرعي، ولعل شيخ الإسلام ابن تيمية استقاه من قوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) } (سورة: الأعراف).

فقوله في التعريف: (هي التي يدعى بها) مأخوذ من قوله تعالى: {فَادْعُوهُ بِهَا}.

وقوله: (هي التي وردت في الكتاب والسنة) مأخوذ من قوله: {الْأَسْمَاءُ} (فالألف واللام هنا للعهد، فالأسماء بـــذلك تكون معهودة ولا معروف في ذلك إلا ما نص الله عليه في كتابه أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقوله (وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها) مأخوذ من قوله تعالى: {الحسنى} فالحسنى تأنيث الأحسن، والمعنى أن أسماء الله أحسن الأسماء وأكملها، (فما كان مسماه منقسماً إلى كمال ونقص وخير وشر لم يدخل اسمـــه في الأسمـــاء الحسنى).

وبهذا يتضح لك أن ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريف الأسماء الحسنى هو مطابق لما ذكره الله في كتابه العزيز وهذا وحده يكفي في اختيار هذا التعريف.

ثانيًا: مما يؤكد صحة هذا التعريف اشتماله على شرطين للاسم هما:

الشرط الأول: ورود النص من القرآن أو السنة بذلك الاسم.

والشرط الثاني: صحة الإطلاق وذلك أن يقتضي الاسم المدح والثناء بنفسه.

وهذان الشرطان يحققان للتعريف مقوماته بأن يكون جامعاً لجوانب الشيء ومانعاً من دخول غيره فيه فالشرط الأول يؤكد على كون أسماء الله توقيفية وأنه لا يجوز استعمال القياس فيها.

والشرط الثاني يؤكد على خاصية باب الأسماء وأنه أخص من باب الصفات وباب الإخبار.

يقول الشيخ / صالح آل الشيخ: ((والاسم يكون من أسماء الله الحسنى إذا اجتمعت فيه ثلاثة شروط، أو اجتمعت فيه ثلاثة أمور:

الأول: أن يكون قد جاء في الكتاب والسنة، يعني نُصّ عليه في الكتاب والسنة، نُصّ عليه بالاســـم لا بالفعـــل، ولا بالمصدر، وسيأتي تفصيل لذلك.

الثاني: أن يكون مما يدعى الله جل وعلا به.

الثالث: أن يكون متضمِّنا لمدحٍ كاملٍ مطلقٍ غير مخصوص)) .

الأسماء والصفات يشتركان في:

١. الاستعاذة؛ ومثالها في الصفات، حديث: "أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك"، ومثال الاسم: أعوذ بالله .

٢. الحلف؛ ومثال الحلف بالصفة، قوله تعالى:" فبعزتك"، وكان النبي – صلي الله عليه وسلم يقول – ((لا ومقلب القلوب))، ومثال الاسم: نحو، والله العظيم.

ويفترقان في:

١. التعبيد؛ فتقول: عبد الرحمن، ولا تقول عبد الرحمة ... .

٢. الدعاء؛ فتقول: يا رحيم يا غفار، ولا تقول: يا رحمة الله ويا مغفرة الله .

قال رحمه الله:

٢٧. وَأَنَّــهُ الرَّبُّ الْـجَـلِـيْــلُ الأَكْـبَـرُ الْـخَـالِــقُ الْـبَــارِئُ وَالْـمُـصَـوِّرُ

الرب: اسم من الأسماء الحسنى: قَالَتْ عَائِشَةُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: " السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ"، وقال: "فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ "، وقد سبق معناه .

والجليل: ليس من الأسماء الحسنى والله أعلم .

ومعناه: الْمُتَّصِفُ بِجَمِيعِ نُعُوتِ الْجَلَالِ وَصِفَاتِ الْكَمَالِ، الْمُنَزَّهُ عَنِ النَّقَائِصِ وَالْمُحَالِ، الْمُتعالى عَلَى الْأَشْبَاهِ وَالْأَمْثَالِ، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتُ العلي وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى.

والأكبر: ليس من الأسماء الحسنى والله أعلم.

ومعناه: الذي السموات وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي كَفِّهِ كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ آحَادِ عِبَادِهِ، لَهُ الْعَظَمَةُ وَالْكِبْرِيَاءُ وَهُوَ أَكْبَرُ كُلِّ شَيْءٍ، شَهَادَةً لَا مُنَازِعَ لَهُ فِي عَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ، وَلَا يَنْبَغِي الْعَظَمَةُ وَالْكِبْرِيَاءُ إِلَّا لَهُ، وَمَنْ نَازَعَهُ فِي صِفَةٍ مِنْهُمَا أَذَاقَهُ عَذَابَهُ وَأَحَلَّ عليه غَضَبَهُ وَمَنْ يَحْلِلْ عليه غَضَبُهُ فَقَدْ هَوَى.

والخالق: المقدر والمقلب للشيء بالتدبير أي: الْمُقَدِّرُ وَالْمُقَلِّبُ لِلشَّيْءِ بِالتَّدْبِيرِ إِلَى غَيْرِهِ، كَمَا قَالَ تعالى: {يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ} (الزمر: ٦)، وَقَالَ تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا} (الحج: ٥).

و "**الْبَارِئُ**" أَيِ: الْمُنْشِئُ لِلْأَعْيَانِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ وَالْبَرْءُ هُوَ الْفَرْيُ وَهُوَ التَّنْفِيذُ وَإِبْرَازُ مَا قَدَّرَهُ وَقَرَّرَهُ إِلَى الْوُجُودِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ قَدَّرَ شَيْئًا وَرَتَّبَهُ يَقْدِرُ عَلَى تَنْفِيذِهِ وَإِيجَادِهِ سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

و"**الْمُصَوِّرُ**": الْمُمَثِّلُ لِلْمَخْلُوقَاتِ بِالْعَلَامَاتِ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، أَيِ: الَّذِي يُنَفِّذُ مَا يُرِيدُ إِيجَادَهُ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يُرِيدُهَا، يُقَالُ: هَذِهِ صُورَةُ الْأَمْرِ أَوْ مِثَالُهُ، فَأَوَّلًا يَكُونُ خَلْقًا ثُمَّ بَرْءًا ثُمَّ تَصْوِيرًا {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ} (الحشر: ٢٤).

والفارق بين: الخالق، البارئ، المصور .

أن **الخالق:** هو المقدر لما يوجد. **والبارىء:** الموجد لما قدر. **والمصور:** المميز لما أوجد.

لذلك قال الله: {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ} (الحشر: ٢٤)، وقال الشاعر:

وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ ... وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي

قال رحمه الله:

٢٨. بَارِي الْبَرَايَا مُنْشِئُ الْخَلَائِقِ ... مُبْدِعُهُمْ بِلَا مِثَالٍ سَابِقِ

٢٩. الْأَوَّلُ الْمُبْدِي بِلَا ابْتِدَاءِ ... وَالآخِرُ الْبَاقِي بِلَا انْتِهَاءِ

قوله: **بارى البرايا**: جميع المخلوقات والْمَوْجُودَاتِ، وقوله: **مبدعهم**: خالقهم ومنشأهم.

والأول من الأسماء الحسنى، قال تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عليمٌ} (الحديد: ٣).

والمبدي: أي: الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو ليس من الأسماء.

والآخر: من الأسماء الحسنى، قال تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عليمٌ} (الحديد: ٣).

والباقي ليس من الأسماء، لكن معناه ثابت، قال تعالى: {لِمَنِ الْمُلْكُ اليوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} (غافر: ١٦).

وأسماء الله: الأول، الأخر، الظاهر، الباطن.

العلماء يطلقون عليها " **أركان العلم والمعرفة** "، وتكلم عليها ابن القيم بكلام ماتع في طريق الهجرتين.

قال رحمه الله:

٣٠. الأَحَدُ الْفَرْدُ الْقَدِيرُ الأَزَلِيُّ ... الصَّمَدُ الْبَرُّ الْمُهَيْمِنُ الْعَلِيُّ

من الأسماء "**الْأَحَدُ**" أي: الَّذِي لَا ضِدَّ لَهُ وَلَا نِدَّ لَهُ وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ، وَلَا مُتَصَرِّفَ مَعَهُ فِي ذَرَّةٍ مِنْ مَلَكُوتِهِ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَهُوَ أَحَدٌ فِي إِلَهِيَّتِهِ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ سِوَاهُ وَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا هُوَ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} (الإخلاص: ١).

والفرد: بمعنى الذي لا ضد ولا ند له، وهو ليس من الأسماء، والله أعلم.

والقدير: الذي له مطلق القدرة وكمالها، وهو من الأسماء:

ومعناه: الَّذِي مَا كَانَ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الَّذِي مَا خَلْقُ الْخَلْقِ وَلَا بَعْثُهُمْ فِي كَمَالِ قُدْرَتِهِ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ الَّذِي إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عليه، قال تعالى: {وَهُوَ العليم الْقَدِيرُ} (الروم: ٥٤)، {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا} (النساء: ١٣٣)، وقال: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الملك: ١).

والأزلي: ليس من الأسماء والله أعلم، ويستخدمونه بمعنى الأول، ومثله القديم ليس من الأسماء.

وقوله: **الصمد**، أخذا من قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)} (سورة: الإخلاص).

- ومن معانيه:

١- الذي يصمد إليه الخلائق.
٢- الذي لا جوف له.
٣- النور الذي يتلألأ.
٤- المقصود في الحوائج.
٥- الذي لا زوال له .

وَقَال اَبْن عَبَّاسٍ: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي سُؤْدُدِهِ وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي شَرَفِهِ وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عَظْمَتِهِ وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِلْمِهِ وَالعليم الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدُدِ وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، هَذِهِ صِفَتُهُ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ لَيْسَ لَهُ كُفُؤٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ سُبْحَانَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

وقوله: **البر**: وصفا وفعلاً، وهو: من الأسماء، قال ابن عباس: هو اللطيف {إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} (الطور: ٢٨)، وقال الضحاك: الصادق فيما وعد.

وقوله: **المهيمن**: وهو من الأسماء، وهو الشهيد على عباده بأعمالهم.

وَقَالَ الْحَسَنُ: الْأَمِينُ، وَقَالَ الْخَلِيلُ: هُوَ الرَّقِيبُ الْحَافِظُ، وقال ابن زَيْدٌ: الْمُصَدِّقُ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَالضَّحَّاكُ: الْقَاضِي. وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تعالى فِي الْكُتُبِ، وَاللَّهُ أعلم بِتَأْوِيلِه.

العلي: وهو من الأسماء، {إِنَّهُ على حَكِيمٌ} (الشورى: ٥١).

قال الناظم – رحمه الله –:

٣٠. الأَحَدُ الْفَرْدُ الْقَدِيْرُ الأَزَلِيُّ	الصَّمَدُ الْبَرُّ الْمُهَيْمِنُ الْعَلِيُّ
٣١. عُلُوَّ قَهْرٍ وَعُلُوَّ الشَّانِ	جَلَّ عَنِ الأَضْدَادِ وَالأَعْوَانِ
٣٢. كَذَا لَهُ الْعُلُوُّ وَالْفَوْقِيَّهْ	عَلَى عِبَادِهِ بِلاَ كَيْفِيَّهْ
٣٣. وَمَعْ ذَا مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمُ	بِعِلْمِهِ مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمُ
٣٤. وَذِكْرُهُ لِلْقُرْبِ وَالْمَعِيَّهْ:	لَمْ يَنْفِ لِلْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّهْ
٣٥. فَإِنَّهُ الْعَلِيُّ فِي دُنُوِّهِ	وَهُوَ الْقَرِيْبُ جَلَّ فِي عُلُوِّهِ

العلي: أي من أسماء الله (العلي)، وهو العالي على خلقه، فكل معاني العلو ثابتة لله عز وجل.

- **أقسام العلو:**

والعلو أقسام ثلاثة:

١. علو قهر.
٢. علو شأن.
٣. علو الفوقية (علو الذات).

- **أولا: علو الشأن:**

وهو تعاليه سبحانه عن جميع النقائص، والدليل على أن الله تعالى متره عن جميع النقائص، وأنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته وفي ربوبيته وفي ألوهيته، قوله تعالى: {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (النحل:٦٠).

ومن أدلة هذا العلو قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الشورى: ١١)، وقوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ} (الحشر: ٢٣).

والقدوس: المتطهر عن جميع الأدناس، **والسلام:** السالم من العيوب كلها،

وهو السلام على الحقيقة سالم   من كل ما عيب ومن نقصان

وقال الله عز وجل: {عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (سبأ: ٣).

وقال الله عز وجل: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)} (سورة: غافر).

- **ثانيا: علو القهر:**

فكل شئ تحت قهر الله وسلطانه، والدليل قوله تعالى: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} (الرعد: ١٥).

وقال عز وجل: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} (الأنعام: ١٨)، وقال عز وجل: {قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٦٤)} (سورة: الأنعام).

واعلم أن: علو القهر وعلو الشأن لم ينكرهما أحد من المنتسبين للإسلام، وإنما أقروا لله تعالى بأنه العلي: بمعنى علو الشأن وعلو القهر، لأن الله تعالى نفي عن نفسه النقص وأثبته لغيره، فقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} (فاطر: ١٥).

وقلنا قبل ذلك أن من أهم أبواب زيادة الإيمان تدبر خواتيم الآيات التي ختمت بالأسماء والصفات.

- **فائدة:** علو القهر والشأن يسميها العلماء بعلو الصفة أو علو المعنى .

- **ثالثا: علو الفوقية:**

أي: أن الله تعالى فوق عرشه بائن من خلقه، والأدلة عليه كثيرة جدا، قال بعض السلف: أحفظ ألف دليل على علو الله.

[أدلة صفة العلو]

والعلو يستدل عليه بالكتاب والسنة والإجماع والفطرة والعقل.

- **أولًا:الكتاب:**

فقد جاء في القرآن وصف الله بالعلو وثبت بأنواع كثيرة منها:

أولًا: التصريح بأن الله تعالى مستو على العرش.

قال الله عز وجل: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (طه: ٥)، والاستواء على العرش ورد في القرآن الكريم في سبعة مواضع.

منها، قوله الله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ.....} (الأعراف: ٥٤).

ثانيا: التصريح بفوقية الله عز وجل.

قال سبحانه: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} (الأنعام: ١٨)، وقال سبحانه: {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (النحل:٥٠).

ثالثا: التصريح بأن الله في السماء.

قال تعالى: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عليكم حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧)} (سورة: الملك).

وأخرج ابن أبي شيبة أن حسان قال:

شهدت بإذن الله أن محمدا ... رسول الذي فوق السماوات من عل

وأن أخي الأحقاف إذ قام فيهم ... يقوم بذات الله فيهم ويعدل

وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما ... له عمل من ربه متقبل

مسألة: معنى قوله تعالى: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} ؟

المتأمل في هذه الآية وأضرابها يجد أن العلماء وأهل الإثبات من المفسرين لهم في هذه الآية قولان؛

الأول: أن (في) هنا بمعنى على واستدلوا بأن هذا من التناوب بين الحروف وقد جاء في اللغة كثيراً، بل في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ} (الأنعام:١١)، فليس المعنى أنهم يدخلون في جوف الأرض، بل المراد السير عليها، وكقوله تعالى في قصة موسى ـــ عليه السلام ـــ: {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} (طه:٧١)، ومعلوم أنه لن يدخلهم في الجذوع، وإنما يصلبهم عليها، إلى غير ذلك، ((وهذا القول مبني علي القول بتناوب حرف الجر)) .

الثاني: أن السماء يقصد بها العلو، ((وليست السماء المبنية))، وقالوا هذا جاء في القرآن أيضا، ومنه قوله تعالى: {أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا} فالمراد العلو لأن الماء يترل من السحاب لا من السماء التي هي السقف المحفوظ .

والمتأمل في كلام شيخ الإسلام ـــ رحمه الله تعالي ـــ يجد أنه لم يذكر في الآية ((من رأيه)) علي حد بحثي إلا القول الثاني: (أن السماء بمعني العلو)، وهذا والله أعلم يرجع إلي أن شيخ الإسلام لا يؤيد ((فكرة التناوب المطلق -هكذا- في اللغة)) كما ذكر ذلك في مقدمته فقال "" وَالْعَرَبُ تُضَمِّنُ الْفِعْلَ مَعْنَى الْفِعْلِ وَتُعَدِّيهِ تَعْدِيَتَهُ وَمِنْ هُنَا غَلِطَ مَنْ جَعَلَ بَعْضَ الْحُرُوفِ تَقُومُ مَقَامَ بَعْضٍ كَمَا يَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ أَيْ مَعَ نِعَاجِهِ و﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أَيْ مَعَ اللَّهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ وَالتَّحْقِيقُ مَا قَالَهُ نُحَاةُ الْبَصْرَةِ مِنْ التَّضْمِينِ فَسُؤَالُ النَّعْجَةِ يَتَضَمَّنُ جَمْعَهَا وَضَمَّهَا إِلَى نِعَاجِهِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ضُمِّنَ مَعْنَى يُزِيغُونَك وَيَصُدُّونَك وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ ضُمِّنَ مَعْنَى نَجَّيْنَاهُ وَخَلَّصْنَاهُ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ ضُمِّنَ يُرْوَى بِهَا وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ ".

رابعًا: نزول الملائكة من عند الله.

قال الله عز وجل: {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} (النحل: ٢)، وقال الله عز وجل عن فرعون: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعلى أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ

السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا} (غافر: ٣٦- ٣٧)، ففرعون يعتقد أن إله موسى في العلو، والذي عرفه ذلك الفطرة، والرسالات السابقة أخبرتهم بذلك.

- **ثانيا:السنة:**

أولًا: السنة القولية:

وهي كثيرة منها: عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- يَقُولُ:" لَمَّا فَرَغَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ ".

وقال النبي صلى الله عليه وسلم، في حديث أنس في فضل يوم الجمعة، قال:" وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي اسْتَوَى فِيهِ رَبُّكُمْ عَلَى الْعَرْشِ".

وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم:" أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً ".

وفي الحديث المشهور:" ارحموا من فِي الأَرْض يَرْحَمكُمْ من فِي السَّمَاء " وهوحديث حسن صحيح كما قال الترمذي.

ثانيا: السنة الفعلية:

الدعاء لأن الإنسان يرفع يديه عند الدعاء، ولو كان الله في كل مكان لما رفعها، فهذا يدل على أن الله في العلو المطلق، والرفع ثبت عن النبي صلي الله عليه وسلم بالتواتر المعنوي.

ثالثا: السنة التقريرية:

فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ قَالَ: وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجُوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّئْبُ قَدْ ذَهَبَ بشاة من غنمها، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنْ صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- فَعَظَّمَ ذَلِكَ على قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا قَالَ: "ائْتِنِي بِهَا" فَأَتَيْتُهُ بها فَقَالَ لَهَا: "أَيْنَ اللَّهُ" قَالَتْ فِي السَّمَاءِ قَالَ: "مَنْ أَنَا" قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- قَالَ:" أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ ".

- **ثالثا: الإجماع:**

أجمعت الأمة الإسلامية أن الله في العلو، والآثار في ذلك عن الصحابة كثيرة منها:

روى الإِمَام اللالكائي الْحَافِظ فِي السّنة من طَرِيق قُرَّة ابْن خَالِد عَن الْحسن عَن أمه عَن أم سَلمَة رَضِي الله عَنْهَا فِي قَوْله تعالى: {الرَّحْمَن على الْعَرْش اسْتَوَى} (طه: ٥)، قَالَت: الإستواء مَعْلُوم والكيف مَجْهُول وَالْإِيمَان بِهِ وَاجِب وَالسُّؤَال عَنهُ بِدعَة والبحث عَنهُ كفر".

وأجمع أئمة الإسلام على أن الله تعالى فوق عرشه، وأن من قال أن الله تعالى ليس على عرشه فهو كافر.

- **رابعا: الفطرة:**

فإنك لو سألت أي أحد ولو طفلا صغيرا، أين الله؟ لقال: في السماء.

- **خامسا: العقل:**

أن الله تعالى إن لم يكن في جهة العلو، فسيكون في جهة الدنو، والله تعالى مستحيل أن يكون في جهة الدنو، فثبت كونه في جهة علو.

مسألة: ما الفرق بين الاستواء والعلو ؟

١. الاستواء خاص بالعرش، فالله تعالى لم يستو إلا على العرش، أما العلو: فالله عال على جميع المخلوقات.

٢. والعلو صفة ذاتية أي أن الله سبحانه لم يزل ولا يزال متصفا به، أما الفعلية: فهي التابعة للمشيئة، والاستواء: فصفة فعلية.

مسألة: ما الآثار الإيمانية التي تعود على العبد من الإيمان بعلو الله ؟

١. تحصيل الذلة والخشوع لله عز وجل.

٢. عدم التكبر على خلق الله عز وجل، قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} (الحجرات: ١٣)، وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: يا ابن ادم علام تتكبر، وأولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت بينهما تحمل العذرة.

٣. ترك المعاصي جملة إذا علمت أن الله في العلو مطلع عليك.

ثم قال – رحمه الله تعالى –:

٣٣. وَمَعْ ذَا مُطَّلِعٌ إِلَيْهِمُ	**بِعِلْمِهِ مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمُ**
٣٤. وَذِكْرُهُ لِلْقُرْبِ وَالْمَعِيَّهْ:	**لَمْ يَنْفِ لِلْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّهْ**
٣٥. فَإِنَّهُ الْعَلِيُّ فِي دُنُوِّهِ	**وَهُوَ الْقَرِيبُ جَلَّ فِي عُلُوِّهِ**

بعد أن ذكر العلو **ذكر القرب والمعية.**

قال: **وذكره للقرب:** أي أن الله تعالى قريب، قرب يقتضي: إجابته لمن دعاه وإثابته له، قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (البقرة: ١٨٦)، وعَن أَبِي هُرَيْرَة رَضِي الله عَنهُ أَن رَسُول الله" صلى الله عليه وَسلم " قَالَ:" أقرب مَا يكون العَبْد من ربه وَهُوَ ساجد، فَأَكْثرُوا الدُّعَاء "، وقال الله عز وجل: {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} (العلق: ١٩).

- **تعريف المعية:**

المعية في الأصل المصاحبة.

وهي معية حقيقية لا تقتضى المماسة.

فمعية الله تعالى معية تقتضي الإحاطة والتأييد والنصرة، وهي حق بدون تكييف.

- **أقسام المعية:**

١. **معية عامة:** لكل الخلق، قال الله عز وجل: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (الحديد٤)، وقوله تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)} (سورة: غافر).

والمعية العامة: بمعني العلم والرؤية والتدبير، والإحاطة.

٢. **المعية الخاصة:** وتقتضي النصر والتأييد، وهي إما خاصة بوصف، أو خاصة بشخص.

فالخاصة بوصف: كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} (النحل: ١٢٨)، فالله مع المتقين بالنصر والتأييد.

والمعية **الخاصة بشخص:** كقوله تعالى: {قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} عن موسى وهارون – عليهما السلام– (طه: ٤٦).

- **مسألة: ما الثمرات التي تعود على الإنسان إن آمن بمعية الله عز وجل:**

١. أن تؤمن أن الله محيط بكل شيء.

٢. مراقبة الله عز وجل.

قال الناظم – رحمه الله تعالى –:

٣٦. حَيٌّ وَقَيُّومٌ فَلاَ يَنَامُ ... وَجَلَّ أَنْ يُشْبِهُهُ الأَنَامُ

٣٧. لاَ تَبْلُغُ الأَوْهَامُ كُنْهَ ذَاتِهِ ... وَلاَ يُكَيِّفُ الْحِجَا صِفَاتِهِ

٣٨. بَاقٍ فَلاَ يَفْنَى وَلاَ يَبِيْدُ ... وَلاَ يَكُونُ غَيْرَ مَا يُرِيْدُ

فذكر اسمين من أسمائه تعالى، متضمنين لصفتين هما: الحياة والقيومية .

- **أولا: الحياة.**

اسم الله: الحي له معان ثلاثة متقاربة فقال بعض العلماء:

١. الحي الذي له الحياة الدائمة.

٢. وقال بعضهم الحي الذي لا يموت ولا يبيد.

٣. وقال بعضهم الحي الذي يفيد دوام الوجود.

فوصف الله بالحي، أي: الذي له الحياة الدائمة الكاملة التي لا يعتريها نقص بوجه من الوجوه، قال تعالى: {هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (غافر: ٦٥).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- كَانَ يَقُولُ:" أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ ".

- **ثانيا: القيومية:**

القيوم: فمعناه القائم الدائم الذي لا يزول .

وقيل القيوم من قوله عز وجل: {أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} (الرعد: ٣٣) أي: يحفظ عليها أعمالها ويجازيها ويحاسبها.

وفي هذا يقول ابن القيم:

وله الحياة كمالها فلأجل ذا ... ما للممات عليه من سلطان

وكذلك القيّوم من أوصافه ... ما للمنام لديه من غشيان

وكذاك أوصاف الكمال جميعها ... ثبتت له ومدارها الوصفان

وقال:

هـــذا ومن أوصافه القـــيوم	والـــقيوم في أوصافه أمران
إحـــــداهما القيوم قام بنفسه	والكون قام به هما الأمران
فالأول استغناؤه عن غـــــيره	والفقر من كل إليـــه الثاني
والوصف بالقيوم ذو شأن كذا	موصوفه أيضا عظيم الشان
والحي يتلوه فأوصاف الكمال	هـــا لأفـــق سمائها قطبان
فالحي والقيوم لن تتخلف الـــ	أوصاف أصلا عنهما ببيان

أي: أن كل الأسماء الحسني راجعة إلى معاني هذين الاسمين، حتى قال بعض العلماء أن هذين الاســـين هـــا الاســـم الأعظم، ولذلك جمع الله بينهما في ثلاثة مواضع في القرآن:

١. {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} (البقرة: ٢٥٥).

٢. {الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢)} (سورة: آل عمران).

٣. {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ} (طه: ١١١).

وَرَوَى ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ مَرْفُوعًا قَالَ: "اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ فِي ثَلَاثِ سُـــوَرٍ: ســـورة: الْبَقَرَةِ وَآل عمران وَطه".

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٣٦. حَـــيٌّ وَقَيُّـــومٌ فَــلاَ يَــنَامُ	**وَجَـــلَّ أَنْ يُـشْـبِـهُـهُ الأَنَـــامُ**
٣٧. لاَ تَـبْـلُـغُ الأَوْهَـامُ كُـنْـهَ ذَاتِـهِ	**وَلاَ يُـكَـيِّـفُ الْـحِـجَـا صِـفَـاتِـهِ**

قوله: (**ولا ينام**) دل عليه قوله تعالى: {لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} (البقرة: ٢٥٥)، وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- "إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَـــعُ إليه عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأحرقت سبحات وجه مَا انْتَهَى إليه بَصَـــرُهُ مِنْ خَلْقِهِ".

- **قوله: وَجَلَّ أَنْ يُشْبِهَهُ الْأَنَامُ.**

دل عليه قول الله عز وجل: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الشورى: ١١).

- **قوله:**

٣٧. لاَ تَـبْـلُـغُ الأَوْهَـامُ كُـنْـهَ ذَاتِـهِ	**وَلاَ يُـكَـيِّـفُ الْـحِـجَـا صِـفَـاتِـهِ**

أي: لا تحيط الأوهام والخيالات بكيفية ذاته وحقيقتها، كما قال الله عز وجل: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} (طه: ١١٠)، وقال: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} (البقرة: ٢٥٥).

ولا يكيف الحجا: العقل، فلا يعلم كيف هو إلا هو.

وسبق أن: الأصل الثاني من أصول السلامة في باب الأسماء والصفات: " قطع عن إدراك الكيفية ".

لأن الشيء لا تدرك كيفيته إلا بأحد أمور ثلاثة:

١. رؤيته.

٢. أو رؤية مشابه أو مماثل له.

٣. أو إخبار الصادق عنه.

والله عز وجل لم يره أحد، قال النبي صلي الله عليه وسلم:" وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حتى تَمُوتُوا "، والله عز وجل ليس له شبيه ولا مثيل، قال الله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الشورى: ١١)، وقال: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} (الإخلاص: ٤)، والله تعالى: لم يخبرنا أحد بكيفية صفاته، وإنما أخبرنا عن الصفات ومعانيها.

قال الناظم – رحمه الله–:

٣٨. بَاقٍ فَلاَ يَفْنَى وَلاَ يَبِيْدُ	**وَلاَ يَكُونُ غَيْرَ مَا يُرِيْدُ**
٣٩. مُنْفَرِدٌ بِالْخَلْقِ وَالإِرَادَهْ	**وَحَاكِمٌ جَلَّ بِمَا أَرَادَهْ**
٤٠. فَمَنْ يَشَأْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ	**وَمَنْ يَشَأْ أَضَلَّهُ بِعَدْلِهِ**
٤١. فَمِنْهُمُ الشَّقِيُّ وَالسَّعِيْدُ	**وَذَا مُقَرَّبٌ وَذَا طَرِيْدُ**
٤٢. لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ قَضَاهَا	**يَسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ عَلَى اقْتِضَاهَا**

- تنبيه: " الباقي" ليس من أسماء الله.

تكلم في هذه الأبيات عن صفات الخلق، والإرادة والمشيئة، وانفراد الله بالحكم، واتصاف الله بالحكمة:-

- **أولا: الانفراد بالخلق.**

والدليل على أن الله خلقنا هو السمع والعقل .

أما السمع فآياته كثيرة كقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات: ٥٦)، وقوله تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} (الرعد: ١٦)، أما العقل فقد دل عليه قول الله تعالى في سورة الطور: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} (الطور: ٣٥)، ففي هذه الآية دليل عقلي على أنه لابد من خالق، وأنه لم يوجد هذا الكون صدفة؛ لأن القسمة العقلية تقتضي ثلاثة أمور لا رابع لها:

الأمر الأول: إما أننا خلقنا بدون خالق، وهذا لا يمكن؛ لأن الخلق لابد أن يتعلق بخالق كالتحريك يتعلق بمحرك، فلا يمكن للشيء أن يتحرك من مكانه إلا بوجود محرك له، وهذا أمر ضروري يعرفه العقلاء، فكوننا خلقنا بدون خالق هذا لا يمكن، والناس بمقتضى عقولهم – حتى المعاندون منهم– يعرفون هذا، فلو قيل لشخص: إن هناك قصراً من القصور الذي جهز بكل ما تشتهيه الأنفس وتتمناه، ولكن هذا القصر وجد صدفة بدون بناء ولا إعداد لبادر الناس إلى التكذيب، وقالوا: هذا لا يمكن؛ لأن القصر يحتاج إلى بناء، وما فيه يحتاج إلى إعداد، فلابد من عمال وصُناع.

الأمر الثاني: أننا خلقنا أنفسنا، وهذا أشد فساداً مما قبله؛ لأننا معدومون، والمعدوم لا يمكن أن يكون قادراً على إيجاد نفسه؛ لأن العدم نقص، والخلق كمال، فكيف يكون الناقص كاملاً، هذا لا يمكن .

فيتعين **الأمر الثالث:** وهو أنه لابد لنا من خالق وهو الرب القادر، ولهذا قال تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ} (الطور: ٣٥) يعني: هل هم خلقوا هكذا دون خالق؟ هذا الأمر الأول، أم هم الخالقون؟ يعني لأنفسهم هذا الأمر الثاني، والأمر الثالث لم تذكره الآية؛ لأنه إذا امتنع الأمر الأول والثاني يتعين الأمر الثالث.

وقد ورد في الحديث عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:" سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧)} (سورة: الطور) قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ " وفي رواية:" وَذَلِكَ أَوَّلُ مَا وَقَرَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِي "؛ لأنه من أهل اللسن والفصاحة والبلاغة، فعرف الآية ومعناها وما تدل عليه فوقر الإيمان في قلبه.

- **ثانيا: الانفراد بالحكم:**

أي انه لا معقب لحكمه ولا راد لإرادته، ولا مناقض لقضائه وقدره، قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عليما قَدِيرًا} (فاطر: ٤٤)، وقوله تعالى: {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ} (البروج: ١٦).

فمن الصفات المثبتة لله سبحانه وتعالى صفة الحكم، فقد أثبتها لنفسه في كثير من الآيات، وإثباتها في القرآن جاء بصيغة الفعل، وجاء بصيغة الاسم بالحصر: فصيغة الاسم مثل قول الله تعالى على لسان يعقوب ويوسف عليهما السلام: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ}، فيعقوب عليه السلام يقول: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عليه تَوَكَّلْتُ وَعليه فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} (يوسف: ٦٧)، ويوسف عليه السلام يقول: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} (يوسف: ٤٠)، وكذلك قول الله تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} (الشورى: ١٠).

وبالفعل مثل قوله تعالى: {فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} (البقرة: ١١٣)، ونحو هذا من الآيات التي فيها الإثبات بالفعل.

- **ثالثا: صفة الإرادة.**

والحديث عن هذه الصفة يتضمن أمرين:

الأول: إثبات صفة الإرادة له تعالى.

والثاني: أنه لا يكون إلا ما يريد، فهو سبحانه منفرد بالإرادة، فلا مشيئة ولا إرادة بعد مشيئته، والمراد بالإرادة هنا الإرادة الكونية القدرية.

فمن أدلة الأول قوله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عليكم وَاللَّهُ عليمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عليكم وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٨)} (النساء)، وقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ} (البقرة: ٢٢٠)، وقوله تعالى: {نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ} (يوسف: ٥٦).... وغير ذلك من الآيات.

ومن أدلة الثاني قوله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} (الإنسان: ٣٠)، وقوله: {وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} (المدثر: ٥٦) فَلَا مُرَادَ لِأَحَدٍ مَعَهُ وَلَا إِرَادَةَ لِأَحَدٍ إلا بعد إرادته عز وجل أي الكونية، فالإرادة المثبتة لله تعالى قسمان، كونية لا يمكن أن يحدث خلافها، وشرعية جعل للعبد فيها اختياراً، فهو سبحانه أراد الفسق كوناً وقدراً لم يرده شرعاً، أما الخير فأراده كوناً وشرعاً.

- **أقسام الإرادة:**

١. إرادة كونية.

٢. إرادة شرعية.

أولا: الإرادة الكونية القدرية: وهي التي يلزم فيها وقوع المراد، وتتعلق بما يحبه وما لا يحبه الله.

قال تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عليها الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} (الإسراء: ١٦).

ثانيا: الإرادة الشرعية: وتتعلق بما يحبه الله، ولا يلزم فيها وقوع المراد، كالصلاة = يحبها الله، وليس كل الناس يصلون .

فائدة

والإرادة الكونية والشرعية تجتمع في العبد إذا أطاع الله، لأن الله قدر له كونا إقامة الصلاة، وأراد منه شرعا إقامة الصلاة، فاجتمعت فيه الإرادتان.

- كذلك من الألفاظ الواردة في هذا الباب لفظ المشيئة، كقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} (الأنعام: ١١٢)، وقوله: {وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إليكَ} (الإسراء: ٨٦)، والمشيئة ترادف الإرادة الكونية، وقال الله تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} (الإنسان: ٣٠)، وقال تعالى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} (الكهف: ٢٣- ٢٤).

- **ما الثمرات التي تحصل بالإيمان بالإرادة ؟**

١. أن نعلق رجائنا وخوفنا بالله عز وجل، لان كل شئ تحت إرادته سبحانه وتعالى.

٢. أن نفعل ما يحبه الله وما يريده شرعا.

قال رحمه الله تعالى:

٤٠. فَمَنْ يَشَأْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ   وَمَنْ يَشَأْ أَضَلَّهُ بِعَدْلِهِ

قال تعالى: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} (الكهف: ١٧).

فمن انفراده تعالى بالإرادة أن يهدي من يريد ويضل من يريد، ولكنه سبحانه لا يظلم أحداً، فهدايته للعبد وإسعاده فضل ورحمة وإضلاله وإبعاده عدل وحكمة، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ مَحَلُّ الْهِدَايَةِ فَيَهْدِيهِ وَمَنْ هُوَ مَحَلُّ الْإِضْلَالِ فَيُضِلُّهُ وَهُوَ أَحْكَمُ الحاكمين.

قال – رحمه الله–:

٤١. فَمِنْهُمُ الشَّقِيُّ وَالسَّعِيدُ   وَذَا مُقَرَّبٌ وَذَا طَرِيدُ

٤٢. لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ قَضَاهَا   يَسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ عَلَى اقْتِضَاهَا

لأن الله عز وجل هو العليم الحكيم، فيضع كل شئ في موضعه؛ فإذا أراد عز وجل هداية شخص هداه لأنه أهل للهداية، وإذا أراد إضلال شخص أضله لأنه أهل للضلال، وللهداية شروط:

قال الله عز وجل: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} (محمد: ١٧)، وقال عز وجل: {قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ} (آل عمران: ٧٣).

فيجب على الإنسان أن يحمد الله على نعمة، ولو على المرض لأن النبي " صلي الله عليه وسلم " قال:" يبتلى المرء عَلَى قدر دينه، فأشد النَّاس بلاءً الأَنْبِيَاء، ثُمَّ الأمثل فالأمثل ".

[وصف الله تعالى بالحكمة]

والْحِكْمَةُ: صفةٌ ذاتيةٌ فعلية ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ، و(الحكيم) من أسمائه تعالى، وهو ثابتٌ بالكتاب والسنة.
قال تعالى: {وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} (الأنعام: ١٨).
قال ابن القيم في ((النونية)):

وهو الحكيمُ وذَاكَ من أوْصَافِه — نَوْعَانِ أيْضاً مَا هُمَا عَدَمَانِ
حُكْمٌ وإحْـكَامٌ فَكُلٌّ مِنْهُمَا — نَوْعَـانِ أيْضاً ثَابِتا البُرْهَانِ

قال الهرَّاس: ((ومن أسمائه الحسنى سبحانه: (الحكيم)، وهو إما فعيل بمعنى فاعل؛ أي: ذو الحكم، وهو القضاء على الشيء بأنه كذا أو ليس كذا، أو فعيل بمعنى مفعل، وهو الذي يُحكِم الأشياء ويتقنها، وقيل:
الحكيم ذو الحكمة، وهي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم)) .

قال رحمه الله تعالى:

٤٣. وَهُـوَ الَّـذِي يَـرَى دَبِـيْـبَ الـذَرِّ — فِـي الظُّـلُمَـاتِ فَـوْقَ صُـمِّ الصَّـخْـرِ
٤٤. وَسَـامِـعٌ لِلْـجَـهْـرِ وَالإِخْـفَـاتِ — بِـسَـمْـعِـهِ الْـوَاسِـعِ لِلأَصْـوَاتِ

أولًا: صفة السمع:

وهي صفة ثابتة لله تعالى: قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} (النساء: ٥٨)، وَقَالَ تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الشورى: ١١)، وقال تعالى: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} (طه: ٤٦)، وقال عز وجل: {قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ} (الشعراء: ١٥)، وَقَالَ تعالى: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} (الزخرف: ٨٠).
وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} (النساء: ٥٨) إِلَى قَوْلِهِ تعالى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} (النساء: ٥٨) قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ، قَالَ أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يقرأها ويضع إصبعيه.
قال أبو داود رحمه الله: وهذا رد على الجهمية.
قال ابن حجر رحمه الله: (أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم).
وقال: قال البيهقي: وأراد بهذه الإشارة تحقيق إثبات السمع والبصر لله ببيان محلهما من الإنسان، يريد أن له سمعاً وبصراً لا أن المراد يرد بذلك الجارحة فإن الله تعالى متره عن مشابهة المخلوقين.

- **وسمع الله عز وجل يأتي على نوعين:**

١. سمع يراد به إدراك الصوت ويتعلق بالمسموعات.

٢. سمع بمعني الاستجابة وهو إجابة الله لمن دعاه.

والسمع بمعني إدراك الصوت ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١. قسم يراد به التهديد: مثل قوله تعالى: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} (الزخرف: ٨٠).

٢. قسم يراد به التأييد: كقوله تعالى: {قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} (طه: ٤٦).

٣. قسم يراد به الإحاطة: كقوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (المجادلة: ١)، وقوله تعالى: {قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ} (الشعراء: ١٥).

- **ثانيا: البصر:**

أما البصر فيأتي بمعنيين:

١. البصر بمعني المدرك لجميع المبصرات.

٢. ذو البصيرة بالأشياء.

- **أقسام البصر:**

١. بصر رؤية.

٢. بصر علم.

أولا: بصر الرؤيه: كقول النبي صلي الله عليه وسلم:" حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأحرقت سبحات وجه مَا انْتَهَى إليه بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ" وسبحات وجهه، أي: جلاله وبهاؤه.

ثانيا: بصر العلم: كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عليمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (المائدة: ٧).

وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عليمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}، تجمع قسمي البصر، أي أن الله بصير بهم، عليم بأعمالهم، لأن بعض الناس ينكرون البصر ويؤولونه بالعلم.

لذلك قال البخاري في صحيحه: باب إن الله كان سميعا بصيرا.

قال ابن بطال – رحمه الله تعالى –، ونقله ابن حجر: أن البخاري – رحمه الله تعالى – أورد هذا الباب لكي يرد على الجهمية القائلين = أن السمع والبصر بمعني العلم.

- **مسألة: بعض الناس يقول أن الله عز وجل سميع بلا سمع بصير بلا بصر، فكيف نرد عليهم ؟**

الجواب: أن الله تعالى لما ذكر عن إبراهيم كفره بالأصنام، قال تعالى: {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} (مريم: ٤٢).

فإن كان إبراهيم يعبد إلها لا يسمع ولا يبصر، فلماذا ينهى أباه عن عبادة من لا يسمع ولا يبصر، إذا فالذي يعبده إبراهيم يسمع ويبصر.

قال الناظم – رحمه الله–:

٤٥. وَعِلْمُـهُ بِمَـا بَـدَا وَمَـا خَـفِـي أَحَـاطَ عِـلْـمـاً بِالْـجَـلِـيِّ وَالْخَـفِي

- **هذا البيت فيه وصف الله تعالى بالعلم:**

قَالَ اللَّهُ تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}(البقرة: ٢٣٥)، وَقَالَ تعالى: {وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ} (البقرة: ١٩٧)، وَقَالَ تعالى: {وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عليم} (البقرة: ٢١٥)، وَقَالَ تعالى: {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ} (البقرة: ٢٨٤)، وَقَالَ تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفي عليه شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} (آل عمران: ٥).

وَقَالَ تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (الأنعام: ٥٩).

قال النبي صلى الله عليه وسلم:" من دُعَاءُ الْكَرْبِ " لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العليم الْحَلِيمُ ".

وَفِي الصحيحين في حَدِيثِ قِصَّةِ مُوسَى وَالْخَضِرِ "إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا فَعَتَبَ اللَّهُ عليه، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ" وَفِي رِوَايَةٍ "إليه" وَفِيهِ قَوْلُ الْخَضِرِ عليه السَّلَامُ:" يَا مُوسَى إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ وَأَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لَا تَعْلَمُهُ" إِلَى أَنْ قَالَ:" فَرَكِبَا فِي السَّفِينَةِ قَالَ: وَوَقَعَ عُصْفُورٌ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَغَمَسَ مِنْقَارَهُ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى: مَا عِلْمُكَ وَعِلْمِي وَعِلْمُ الْخَلَائِقِ فِي عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِقْدَارُ مَا غَمَسَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْقَارَهُ" وَفِي رواية:" إلا مثل مَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ".

وَفِيهِمَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي".

- **الله عز وجل يعلم الممكنات التي وجدت:**

والدليل على أن الله يعلم الممكنات التي وجدت قَوله تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (الأنعام: ٥٩).

- **ويعلم الممكنات التي لم توجد وهي غير مستحيلة:**

{وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عليه مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عليهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (٩)} (سورة: الأنعام)، وَقَالَ تعالى: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} (فصلت: ٤٤).

وَقَالَ تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بها قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠)} (الأنعام).

- **ويعلم المستحيلات:**

{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} (الأنبياء: ٢٢)، وَقَالَ تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)} (سورة: المؤمنون)، وَقَالَ تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا} (الإسراء: ٤٢).

قال الناظم رحمه الله:

٤٦. وَهُوَ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ تَعَالَى شَانُهُ
٤٧. وَكُلُّ شَيْءٍ رِزْقُهُ عَلَيْهِ وَكُلُّنَا مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ

وفي البيتين، وصف الله بصفتين:

- **أولًا: وصفه – تعالى– بالغني:**

"**وَهُوَ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ**" فَلَهُ الْغِنَى الْمُطْلَقُ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ "**سُبْحَانَهُ**":

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧)} (سورة: فاطر)، وَقَالَ تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)} (سورة: الذاريات)، وقال: {وَقَالَتِ اليهود يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} (المائدة: ٦٤).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ– قَالَ: "يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لَا تُغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَفَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ رَبُّكُمْ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يُغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ" وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُ فَسَلُونِي الْهُدَى أَهْدِكُمْ، وَكُلُّكُمْ فَقِيرٌ إِلَّا مَنْ أَغْنَيْتُ فَسَلُونِي أَرْزُقْكُمْ، وَكُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَافَيْتُ، فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى الْمَغْفِرَةِ فَاسْتَغْفَرَنِي غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أُبَالِي، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمُ اجْتَمَعُوا عَلَى أَشْقَى قَلْبِ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَجِنَّكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمُ اجْتَمَعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُهُ فَأَعْطَيْتُ كُلَّ سَائِلٍ مِنْكُمْ مَا سَأَلَ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي إِلَّا كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِالْبَحْرِ فَغَمَسَ فِيهِ إِبْرَةً ثُمَّ رَفَعَهَا إليه، ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ وَاجِدٌ مَاجِدٌ أَفْعَلُ مَا أُرِيدُ، عَطَائِي كَلَامٌ وعذابي كلام، إما أَمْرِي لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْتُهُ أَنْ أَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

فَسُبْحَانَ مَنْ وَسِعَ خَلْقَهُ بِغِنَاهُ، وَافْتَقَرَ كُلُّ شَيْءٍ إليه وَهُوَ الْغَنِيُّ عَمَّا سِوَاهُ {وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} (لقمان: ١٢).

- **ثانيًا: وصفه – تعالى– بالرَّزْق:**

قال تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} (الذاريات: ٢٢)، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} (الذاريات: ٥٨)، وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (آل عمران: ٣٧) إلى غير ذلك من الآيات.

والرزق: اسم لما يسوقه الله إلى الحيوان فيأكله، قال في "القاموس": الرزق – بالكسر-: ما ينتفع به كل مرتزق.

والرزق نوعان:

١- **خاص**: وهو الرزق الحلال للمؤمنين. وهذا هو الرزق النافع الذي لا تبعة فيه إذا كان عوناً على طاعة الله تعالى، قال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ} (الأعراف: ٣٢).

٢- **عام**: وهو ما به قوام سواء كان حلالاً أو حراماً، وسواء كان المرزوق مسلماً أو كافراً، قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} (هود: ٦).

قال الناظم رحمه الله:

٤٨. كَلَّمَ «مُوْسَى» عَبْدَهُ تَكْلِيْمَا ... وَلَمْ يَزَلْ بِخَلْقِهِ عَلِيْمَا
٤٩. كَلاَمُهُ جَلَّ عَنِ الإِحْصَاءِ ... وَالْحَصْرِ وَالنَّفَادِ وَالْفَنَاءِ
٥٠. لَوْ صَارَ أَقْلاَماً جَمِيْعُ الشَّجَرِ ... وَالْبَحْرُ تُلْقَى فِيْهِ سَبْعَةُ أَبْحُرِ
٥١. وَالْخَلْقُ تَكْتُبُهُ بِكُلِّ آنِ: ... فَنَتْ وَلَيْسَ الْقَوْلُ مِنْهُ فَانِ
٥٢. وَالْقُوْلُ فِي «كِتَابِهِ» الْمُفَصَّلْ ... بِأَنَّهُ: كَلاَمُهُ الْمُنَزَّلْ
٥٣. عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى ... لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلاَ بِمُفْتَرَى
٥٤. يُحْفَظُ بِالْقَلْبِ وَبِاللِّسَانِ ... يُتْلَى، كَمَا يُسْمَعُ بِالآذَانِ
٥٥. كَذَا بِالأَبْصَارِ إِلَيْهِ يُنْظَرُ ... وَبِالأَيَادِي خَطُّهُ يُسَطَّرُ
٥٦. وَكُلُّ ذِي مَخْلُوقَةٌ حَقِيْقَهْ ... دُونَ كَلاَمِ بَارِيءِ الْخَلِيْقَةْ
٥٧. جَلَّتْ صِفَاتُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ ... عَنْ وَصْفِهَا بِالْخَلْقِ وَالْحَدَثَانِ
٥٨. فَالصَّوْتُ وَالأَلْحَانُ: صَوْتُ الْقَارِي ... لَكِنَّمَا «الْمَتْلُوُّ» قَوْلُ الْبَارِي
٥٩. مَا قَالَهُ لاَ يَقْبَلُ التَّبْدِيْلاَ ... كَلَّا وَلاَ أَصْدَقُ مِنْهُ قِيْلاَ

بدأ المصنف رحمه الله يتكلم عن وصف الله تعالى بالكلام، فالله تعالى لم يزل متكلماً بمشيئته وإرادته بما شاء وكيف شاء بكلام حقيقي – كما سيأتي في الحديث أنه ينادي بصوت – ويسمعه من يشاء من خلقه، فكلامه عز وجل قول حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، وكلامه تعالى صفة من لوازم ذاته أزلية بأزليته، باقية ببقائه ـــ ولا تنفد صفة كان متصفاً بها. فكلماته تعالى لا تنفد، وقد دلت على هذه الصفة أدلة كثيرة، منها:

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سورة: الْبَقَرَةِ: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ} (البقرة: ٢٥٣)، وَقَالَ فِي سورة: النِّسَاءِ: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} (النساء: ١٦٤)، وَقَالَ: {وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١)} (سورة: الشعراء).

وفي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ عليه السَّلَامُ:" وَلَكِنْ عليكم بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ ".

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- قَالَ: "إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: الْحَقَّ، وَهُوَ العلي الْكَبِيرُ".

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- قَالَ:" قَالَ اللَّهُ تعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ".

- **وكلام الله تعالى بحرف وصوت.**

أما بحرف فأشهر من أن يذكر، أما بصوت:

فالدليل: عَنْ جَابِرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ".

وآيات المناداة إذ: المناداة لا تكون إلا بصوت.

والفرق بينها وبين المناجاة: أن المناجاة بصوت خفيض، أما المناداة فبصوت مرتفع.

- **والكلام من حيث أصله صفة ذاتية، ومن حيث آحاده صفة فعلية.**
- كلام الله حقيقة في اللفظ والمعني:

بعض الناس قالوا أن كلام الله باللفظ لكنه لم يتكلم بالمعنى، والبعض قال أن الله تكلم بالمعنى والذي عبر عنه جبريل، لذلك يقولون هو عبارة عن كلام الله، وهذا خطأ.

لذلك في بعض الإجازات يقولون عن رسول الله عن جبريل عن اللوح المحفوظ لنفي كون جبريل سمع القران من الله عز وجل.

وأهل السنة يقولون أن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه.

قال رحمه الله:

٤٩. كَلامُهُ جَلَّ عَنِ الإِحْصَاءِ وَالْحَصْرِ وَالنَّفَادِ وَالْفَنَاءِ
٥٠. لَوْ صَارَ أَقْلاماً جَمِيْعُ الشَّجَرِ وَالْبَحْرُ تُلْقَى فِيْهِ سَبْعَةُ أَبْحُرِ
٥١. وَالْخَلْقُ تَكْتُبُهُ بِكُلِّ آنِ: فَنَتْ وَلَيْسَ الْقَوْلُ مِنْهُ فَانِ

والدليل على ذلك:

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} (الكهف: ١٠٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: فَقَدْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَجَعَلْتُ أَطْلُبُهُ بِيَدَيَّ فَوَقَعَتْ يَدَيَّ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، يَقُولُ: أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لا أحصي ثناءاً عليك أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ "، والثناء من الله عز وجل.

٥٢. وَالْقَوْلُ فِي «كِتَابِهِ» الْمُفَصَّلْ	بِأَنَّهُ: كَلاَمُهُ الْمُنَزَّلْ
٥٣. عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى	لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلاَ بِمُفْتَرَى
٥٤. يُحْفَظُ بِالْقَلْبِ وَبِاللِّسَانِ	يُتْلَى، كَمَا يُسْمَعُ بِالآذَانِ
٥٥. كَذَا بِالأَبْصَارِ إِلَيْهِ يُنْظَرُ	وَبِالأَيَادِي خَطُّهُ يُسَطَّرُ
٥٦. وَكُلُّ ذِي مَخْلُوقَةٌ حَقِيقَةْ	دُونَ كَلاَمِ بَارِيءِ الْخَلِيقَةْ
٥٧. جَلَّتْ صِفَاتُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ	عَنْ وَصْفِهَا بِالْخَلْقِ وَالْحَدَثَانِ
٥٨. فَالصَّوْتُ وَالأَلْحَانُ: صَوْتُ الْقَارِي	لَكِنَّمَا «الْمَتْلُوُّ» قَوْلُ الْبَارِي
٥٩. مَا قَالَهُ لاَ يَقْبَلُ التَّبْدِيلاَ	كَلَّا وَلاَ أَصْدَقُ مِنْهُ قِيلاَ

المعنى: والقول في كتابه وهو القرآن المجيد: بِأَنَّهُ كَلَامُهُ" حَقِيقَةً حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ لَيْسَ كَلَامُهُ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي وَلَا الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ قَالَ اللَّهُ تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حتى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} (التوبة: ٦).

وَقَالَ خَبَّابٌ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ-: تَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّكَ لَنْ تَقرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إليه مِنْ كَلَامِهِ".

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، فَمَنْ رَدَّ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَرُدُّ عَلَى اللَّهِ.

- **عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى**" مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ-:

وَقَالَ تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عليك الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (آل عمران: ٧)، وَقَالَ تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إليك الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ} (النساء: ١٠٥).

- **مسألة: ما الدليل على أن القران الكريم ليس بمخلوق؟**

قَالَ تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} (الأعراف: ٥٤) فرق الله بين الخلق والأمر والقرآن من الأمر، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إليك رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} (الشورى: ٥٢).

وَأَعْلَمَنَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ أَنَّهُ يَخْلُقُ الْخَلْقَ بِكَلَامِهِ وَقَوْلِهِ: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (النحل:٤٠) فَأَعْلَمَنَا جَلَّ وَعَلَا أَنَّهُ يُكَوِّنُ كُلَّ مُكَوَّنٍ مِنْ خَلْقِهِ بِقَوْلِهِ كُنْ فَيَكُونُ، وَقَوْلُهُ {كُنْ} هُوَ كَلَامُهُ الَّذِي بِهِ يَكُونُ الْخَلْقُ، وَكَلَامُهُ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي بِهِ يَكُونُ الْخَلْقُ غَيْرَ الْخَلْقِ، الَّذِي يَكُونُ مُكَوَّنًا بِكَلَامِهِ.

والأدلة على هذا الأصل كثيرة.

منها: {الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣)} (سورة: الرحمن)، {قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ} (سبأ: ٢٣)، {لِمَنِ الْمُلْكُ اليوم} (غافر: ١٦)، {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} (آل عمران: ٦١) مع {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} (البقرة: ١٤٥).

[وَلَا بِمُفْتَرَى] أَيْ: وَلَيْسَ الْقُرْآنُ بِمُفْتَرًى كَمَا قَالَهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ تعالى حَيْثُ قَالُوا فِيهِ: {إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ} (المدثر: ٢٤) وَقَالُوا: {إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ} (الفرقان: ٤).

فَقَالَ تعالى لِمَنْ قَالَ: {إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)} (المدثر)، قَالَ اللَّهُ تعالى: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عليها تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)} (سورة: المدثر) إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ. وَقَالَ تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عليه قَوْمٌ آخَرُونَ} (الفرقان: ٤)، فَرَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ عليهمْ بِقَوْلِهِ: {فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا} (الفرقان: ٤)، {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عليه بُكْرَةً وَأَصِيلًا} (الفرقان: ٥) فَرَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ عليهمْ بِقَوْلِهِ تعالى: {قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا} (الفرقان: ٦)، وَقَالَ تعالى وَتَقَدَّسَ: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤)} (سورة: هود).

- **يُحْفَظُ أَي: الْقُرْآنُ "بِالْقَلْب" كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتعالى:** {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥)} (سورة: الشعراء)، وَقَالَ تعالى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ} (العنكبوت: ٤٩).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرَابِ ".

- **وباللسان يتلي:** وَقَالَ تعالى: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} (الإسراء: ١٠٦).

وَقَالَ تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا} (الإسراء: ٤٥)، وَقَالَ تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ} (فاطر: ٢٩- ٣٠) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، وَقَالَ تعالى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ علينا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ علينا بَيَانَهُ (١٩)} (سورة: القيامة)، وَقَالَ تعالى: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} (المزمل: ٤)، وَقَالَ تعالى: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} (الإسراء: ١١٠).

- **كَمَا يُسْمَعُ بِالْآذَانِ" قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتعالى:** {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حتى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}

(التوبة: ٦)، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتعالى: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ} (المائدة: ٨٣)، وَقَالَ تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأعراف: ٢٠٤)، وَقَالَ تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إليك نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠)} (سورة: الأحقاف) الْآيَاتِ، وَقَالَ تعالى: {قُلْ أُوحِيَ إِلَى أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)} (سورة: الجن).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" اقْرَأْ على الْقُرْآنَ" قُلْتُ: أَقْرَأُ عليك وَعليك أُنْزِلَ؟ قَالَ:" إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي ".

- **كَذَا بِالْأَبْصَارِ إليه مُتَعَلِّقَانِ بِـــ"يُنْظَرُ" أَيْ: إِلَى الْقُرْآنِ فِي الْمُصْحَفِ وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ وَأَجَلِّهَا.**

وَرَوَى أَبُو عُبَيْدٍ بِإِسْنَادٍ فِيهِ ضَعْفٌ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ– قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ– "فَضْلُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ نَظَرًا على من يقرأه ظَهْرًا كَفَضْلِ الْفَرِيضَةِ عَلَى النَّافِلَةِ ".

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَدِيمُوا النَّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ نَشَرَ الْمُصْحَفَ فَقَرَأَ فِيهِ.

- **وَكُلُّ ذِي" الْمَذْكُورَاتِ مِنَ الْقَلْبِ وَحَافِظَتِهِ وَذَاكِرَتِهِ وَاللِّسَانِ وَحَرَكَتِهِ وَالْآذَانِ وَأَسْمَاعِهَا وَالْأَبْصَارِ** وَنَظَرِهَا وَالْأَيَادِي وَكِتَابَتِهَا وَأَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ مِنْ أَوْرَاقٍ وَأَقْلَامٍ وَمِدَادٍ، كُلُّهَا "مَخْلُوقَةٌ حَقِيقَةً" لَيْسَ فِي ذَلِكَ تَوَقُّفٌ، "**دُونَ**" الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ "**كَلَامُ**" اللَّهِ تعالى "**بَارِئِ الْخَلِيقَةِ**".

فَالصَّوْتُ" مِنْ جَهْوَرِيٍّ وَخَفِيٍّ "**وَالْأَلْحَانُ**" مِنْ حَسَنٍ وَغَيْرِهِ "**صَوْتُ الْقَارِي لَكِنَّمَا الْمَتْلُوُّ**" الْمُؤَدَّى بِذَلِكَ الصَّوْتِ هُوَ "**قَوْلُ الْبَارِي**" جَلَّ وَعَلَا.

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: يَتَوَجَّهُ الْعَبْدُ لِلَّهِ تعالى بالقرآن بخمسة أَوْجُهٍ وَهُوَ فِيهَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ: حِفْظٌ بِقَلْبٍ وَتِلَاوَةٌ بِلِسَانٍ وَسَمْعٌ بِأُذُنٍ وَنَظْرَةٌ بِبَصَرٍ وَخَطٌّ بِيَدٍ. فَالْقَلْبُ مَخْلُوقٌ وَالْمَحْفُوظُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَالتِّلَاوَةُ مَخْلُوقَةٌ وَالْمَتْلُوُّ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَالسَّمْعُ مَخْلُوقٌ وَالْمَسْمُوعُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَالنَّظَرُ مَخْلُوقٌ وَالْمَنْظُورُ إليه غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَالْكِتَابَةُ مَخْلُوقَةٌ وَالْمَكْتُوبُ غير مخلوق. ا. هـ. فَأَعْمَالُ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ وَالْقُرْآنُ حَيْثُمَا تَصَرَّفَ وَأَيْنَ كُتِبَ وَحَيْثُ تُلِيَ كَلَامُ اللَّهِ تعالى غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

مَا قَالَهُ لَا يَقْبَلُ التَّبْدِيلَا" قَالَ اللَّهُ تعالى: {مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ} (ق: ٢٩)، وَقَالَ تعالى: {وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إليك مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} (الكهف: ٢٧)، وَقَالَ تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العليم} (الأنعام: ١١٥)، وَقَالَ تعالى: {لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} (يونس: ٦٤)، {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} (النساء: ١٢٢).

- **تلخيص عقيدة أهل السنة والجماعة في كلامه تعالى:**

عقيدتهم في ذلك أنه عز وجل لم يزل متكلماً بحرف وصوت إذا شاء، فكلامه بمشيئته من لوازم ذاته المقدسة من لوازم ذاته المقدسة، ويُسمَع كلامه منه سبحانه تارة بلا واسطة كما سمعه جبريل وموسى – عليها السلام–، وكما يكلم عباده يوم القيامة وكما يكلم أهل الجنة، ويُسمَع تارة عن الْمُبَلِّغِ عَنْهُ، كَمَا سَمِعَ الْأَنْبِيَاءُ الْوَحْيَ مِنْ جبريل عليه السلام تبليغاً عن الحق تبارك وتعالى، وَكَمَا سَمِعَ الصَّحَابَةُ الْقُرْآنَ مِنَ الرَّسُولِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – عَنِ اللَّهِ فَسَمِعُوا كَلَامَ اللَّهِ بِوَاسِطَةِ الْمُبَلِّغِ وَكَذَلِكَ نَسْمَعُ نَحْنُ بِوَاسِطَةِ التالي، فَإِذَا قِيلَ: الْمَسْمُوعُ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟ قِيلَ: إِنْ أَرَدْتَ الْمَسْمُوعَ عَنِ اللَّهِ تعالى فَهُوَ كَلَامُهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَإِنْ أَرَدْتَ الْمَسْمُوعَ مِنَ الْمُبَلِّغِ فَفِيهِ تَفْصِيلٌ: إِنْ سَأَلْتَ عَنِ الصَّوْتِ الَّذِي رُوِيَ بِهِ كَلَامُ اللَّهِ فهو مخلوق، وإن سألت عن الكلام المروي بذلك الصوت فهو غير مخلوق، فالتلفظ الذي هو فعل العبد مخلوق، والملفوظ به كلام الله عز وجل منزل غير مخلوق والله تعالى أعلم.

قال رحمه الله:

٦٠. وَقَدْ رَوَى الثِّقَـاتُ عَنْ خَيْـرِ الْمَـلاَ:	بِـأَنَّـــهُ عَـــزَّ وَجَـــلَّ وَعَــــلاَ
٦١. فِـي ثُلُـثِ اللَّيْـلِ الأَخِيْـرِ يَـنْـزِلُ	يَقُـولُ: هَـلْ مِـنْ تَـائِـبٍ فَـيُـقْـبَـلُ
٦٢. هَـلْ مِـنْ مُسِـيْءٍ طَالِـبٍ لِلْمَغْفِـرَهْ	يَجِـدْ كَـرِيْـمـاً قَـابِـلاً لِلْـمَـعْـذِرَهْ
٦٣. يَـمُـنُّ بِالْـخَـيْـرَاتِ وَالْفَضَـائِـلْ	وَيَسْتُـرُ الْـعَـيْـبَ وَيُـعْـطِـي السَّائِـلْ

- **هذه صفة من صفات الله عز وجل: وهي صفة النزول، وهي صفة فعلية، وثبتت بالتواتر:**

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- قَالَ:" يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ" أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "يَنْزِلُ اللَّهُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ".

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- قَالَ:" يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ ".

و نزوله يليق بجلاله: فكل ما دار ببالك فالله بخلاف ذلك.

- **مسألة: ما ثمرات الإيمان بنزول الله عز وجل؟**

١. الإقبال على الله في الثلث الأخير من الليل صلاه ودعاء قال النبي صلى الله عليه وسلم "وأعلم أن شرف المؤمن في قيام الليل وعزه استغنائه عما في أيدى الناس".

٢. استحضار قرب الله من العبد وان الله يجيب من دعاه، لذلك فقد كانوا يحثون على تنسم نسائم الأسحار:

قال الحفظي رحمه الله:

والجنيد يقول طاحتْ	كـــل عِلْمٍ وإشارهْ
ورســوماتٌ تلاشتْ	وانمحت تلك العبارهْ
وركيعــات تــوالتْ	سحــرًا فيها البشارهْ
ورأيـــنا في المــآل	ذلك الكـــنز الدّفينا
فاز من قام اللـــيالى	بصـــلاة الخاشعيـــنا

قال رحمه الله:

٦٤. وَأَنَّـهُ يَـجِـيءُ يَـــوْمَ الْـفَـصْـلِ	كَـمَـا يَـشَـاءُ لِلْـقَـضَـاءِ الْـعَـدْلِ

- والكلام هنا عن صفة المجيء والإتيان، والراجح من كلام أهل العلم أنهما بمعنى واحد:

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} (البقرة: ٢١٠)، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} (الأنعام: ١٥٨)، وَقَالَ تعالى: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا}

(الفرقان: ٢٥)، وَقَالَ تعالى: {كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢)} (سورة: الفجر)، وَقَالَ تعالى: {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا} (الزمر: ٦٩).

- **مسألة: ما الثمرة من الإيمان بصفة المجيء:**

١. الاستعداد للقاء الله عز وجل.

٢. مراقبة الله تعالى.

٣. سؤال الله الستر في الدنيا والآخرة.

قال رحمه الله:

[رُؤْيَةُ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]:

٦٥. وَأَنَّهُ يُرَى بِلاَ إِنْكَارِ	**فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ بِالأَبْصَارِ**
٦٦. كُلٌّ يَرَاهُ رُؤْيَةَ الْعِيَانِ	**كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْقُرآنِ**
٦٧. وَفِي حَدِيْثِ سَيِّدِ الأَنَامِ	**مِنْ غَيْرِ مَا شَكٍّ وَلاَ إِبْهَامِ**
٦٨. رُؤْيَةَ حَقٍّ لَيْسَ يَمْتَرُونَهَا	**كَالشَّمْسِ صَحْوًا لاَ سَحَابَ دُونَهَا**
٦٩.وَخُصَّ بِالرُّؤْيَةِ أَوْلِيَاؤُهُ	**فَضِيْلَةً، وَحُجِبُوا أَعْدَاؤُهُ**

الله تبارك وتعالى ينعم على أوليائه برؤيته في الآخرة:

قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)} (سورة: القيامة)، وَقَالَ تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} (يونس: ٢٦) والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم.

وهي الزيادة قد أتت في يونس — تفسير من قد جاء بالقرآن

فعَنْ صُهَيْبٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللَّهُ عز وجل: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا، أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنْجنا مِنَ النَّارِ؟) قَالَ: " فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إليهم مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ " ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ " لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ".

- **فائدة: النظر في القرآن والسنة على ثلاث مراتب:**

١. إن عُدي بنفسه دون حرف جر فيقتضى التوقف، والانتظار ومنه: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ} (الحديد: ١٣)، أي: انتظرونا.

٢. إن عُدي "بفي" فمعناه التفكر والاعتبار، ومنه: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (يونس: ١٠١).

٣. إن عُدي بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار، {انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ} (الأنعام: ٩٩).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟" قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "هَلْ

تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟" قَالُوا: لَا، قَالَ: "فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ......... إلى آخر الحديث.

- **مسألة: ما ثمرات الإيمان بالرؤية:**

١- الشوق إلى لقاء الله. ٢- سؤال الله " لذة النظر إلى وجهه ".

٣- الازدياد من العمل، إذ على قدره تكون الرؤية.

قال رحمه الله:

٧٠. وَكُلُّ مَا لَهُ مِنَ ((الصِّفَاتِ)) أَثْبَتَهَا فِي مُحْكَمِ الآيَاتِ
٧١. أَوْ صَحَّ فِيمَا قَالَهُ الرَّسُولُ: فَحَقُّهُ التَّسْلِيمُ وَالْقَبُولُ
٧٢. نُمِرُّهَا صَرِيحَةً كَمَا أَتَتْ مَعَ اعْتِقَادِنَا لِمَا لَهُ اقْتَضَتْ
٧٣. مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلِ وَغَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلِ
٧٤. بَلْ قَوْلُنَا قَوْلُ أَئِمَّةُ الْهُدَى طُوبَى لِمَنْ بِهَدْيِهِمْ قَدْ اهْتَدَى

أَيْ: جَمِيعُ الْآيَاتِ وَالصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا "**نُمِرُّهَا صَرِيحَةً**" أَيْ: عَلَى ظَوَاهِرِهَا "**كَمَا أَتَتْ**" عَنِ اللَّهِ تعالى، وَعَنْ رَسُولِهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ مُتَّصِلًا إلينا كَالشَّمْسِ فِي وَقْتِ الظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ،"**مَعَ اعْتِقَادِنَا**" إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا "**لِمَا لَهُ اقْتَضَتْ**" مِنْ أَسْمَاءِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتعالى وَصِفَاتِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ كَمَا يَلِيقُ بِعَظَمَتِهِ وَعَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرَهُ وَأَرَادَهُ "**مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ**" لِأَلْفَاظِهَا وَ"**مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ**" لِمَعَانِيهَا..... إلى آخر ما قال.

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ اللَّهِ، وَآمَنَّا بِرَسُولِ اللَّهِ وَبِمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ.
وَقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: لِلَّهِ تعالى أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ جَاءَ بِهَا كِتَابُهُ وَأَخْبَرَ بها نَبِيُّهُ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- أُمَّتَهُ لا يسع أحد مِنْ خَلْقِ اللَّهِ قَامَتْ عليه الْحُجَّةُ رَدُّهَا؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِهَا وَصَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- الْقَوْلُ بِهَا فِيمَا رَوَى عَنْهُ الْعُدُولُ فَإِنْ خَالَفَ ذَلِكَ بَعْدَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عليه فَهُوَ كَافِرٌ، أَمَّا قَبْلَ ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عليه فَمَعْذُورٌ بِالْجَهْلِ؛ لِأَنَّ عِلْمَ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ بِالْعَقْلِ وَلَا بِالرُّؤْيَةِ وَالْفِكْرِ وَلَا يَكْفُرُ بِالْجَهْلِ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا بَعْدَ انْتِهَاءِ الْخَبَرِ إليه بِهَا وَنُثْبِتُ هَذِهِ الصِّفَاتُ وَيَنْفِي عَنْهَا التَّشْبِيهَ كَمَا نَفي التَّشْبِيهَ عَنْ نَفْسِهِ تعالى فَقَالَ سُبْحَانَهُ: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الشورى: ١١).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، قَدْ أَجْمَلَ اللَّهُ الصِّفَةَ فَحَدَّ لِنَفْسِهِ صِفَةً: لَيْسَ يُشْبِهُهُ شَيْءٌ. وَصِفَاتُهُ غَيْرُ مَحْدُودَةٍ وَلَا مَعْلُومَةٍ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ. قَالَ فَهُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ بِلَا حَدٍّ وَلَا تَقْدِيرٍ،

وَلَا يَبْلُغُ الْوَاصِفُونَ صِفَتَهُ، وَلَا نَتَعَدَّى الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، فَنَقُولُ كَمَا قَالَ وَنَصِفُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا نَتَعَدَّى ذَلِكَ وَلَا يَبْلُغُ صِفَتَهُ الْوَاصِفُونَ، نُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ مُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ بِشَنَاعَةٍ شُنِّعَتْ.

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ كَلَامٍ وَنُزُولٍ وَخَلْوَةٍ بِعَبْدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَضْعِهِ كَنَفَهُ عليه، فَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتعالى يُرَى فِي الْآخِرَةِ، وَالتَّحْدِيدُ فِي هَذَا كُلِّهِ بِدْعَةٌ، وَالتَّسْلِيمُ فِيهِ بِغَيْرِ صِفَةٍ وَلَا حَدٍّ إِلَّا مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ: سَمِيعٌ بَصِيرٌ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا، عَالِمًا غَفُورًا عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ عَلَّامَ الْغُيُوبِ. فَهَذِهِ صِفَاتٌ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ لَا تُدْفَعُ وَلَا تُرَدُّ، وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ بِلَا حَدٍّ كَمَا قَالَ تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} (يونس:٣) كَيْفَ شَاءَ الْمَشِيئَةَ إليه وَالِاسْتِطَاعَةَ إليه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ بِلَا حَدٍّ وَلَا تَقْدِيرٍ، لَا نَتَعَدَّى الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ، تعالى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُشَبِّهَةُ. قُلْتُ لَهُ: وَالْمُشَبِّهُ مَا يَقُولُ؟ قَالَ مَنْ قَالَ بَصَرٌ كَبَصَرِي، وَيَدٌ كَيَدِي، وَقَدَمٌ كَقَدَمِي فَقَدْ شَبَّهَ اللَّهَ تعالى بخلقه ا.هـ.

- **وللإيمان بالأسماء والصفات عموما ثمرات من أهمها ما يلي:**

أعظم ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات:

١. تنزيه الله تعالى عن النقائص والعيوب، ووصفه بصفات الكمال اللائقة بجلاله، ونفي مماثلتها لصفات المخلوق الضعيف، وإثبات الأسماء الحسنى له جل وعلا.

٢. أن مَنْ آمن بأن من أسماء الله تعالى العفو والغفور والرحيم، وأن من صفاته المغفرة للمذنبين والرحمة والعفو دعاه ذلك إلى عدم اليأس من روح الله، وإلى عدم القنوط من رحمته، بل ينشرح صدره لما يرجو من رحمة ربه ومغفرته.

٣. أن من عرف أن من صفات الله تعالى أنه شديد العقاب، والغيرة إذا انتهكت محارمه، والغضب، وأنه ذو انتقام ممن عصاه حمله ذلك على الخوف من الله تعالى والبعد عن معصيته.

٤. أن المؤمن إذا أيقن أن من أسماء الله تعالى: القوي، والقادر، والعزيز، وأنه تعالى يتولى المؤمنين أكسبه ذلك عظمة التوكل على الله، والوثوق بنصره، وعدم الهلع من أعدائه، فيعيش قرير العين، واثقا بحفظ الله وتأييده ونصره.

٥. أن من استقر في قلبه أن من أسماء الله تعالى البصير وأنه تعالى يرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء، وكذلك إذا علم أن من أسماء الله تعالى الرقيب، والعليم، وأنه تعالى يعلم نيات العباد وخلجات نفوسهم، حمله ذلك على البعد عن معصية الله، وألا يراه الله حيث نهاه، وعلى مراقبته سبحانه في كل ما يأتي وما يذر.

٦. أن من آمن بصفات الله واستعاذ بها أعاذه الله مما يخاف منه.

٧. أن من علم أسماء الله وصفاته وتوسل إلى الله تعالى بها استجاب الله دعاءه، فحصل له ما يرجوه من مرغوب، واندفع عنه ما يخافه من مرهوب.

وهذا كله قطرة من بحر من ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات.

قال رحمه الله تعالى:

٧٥. وَسَمِّ ذَا النَّوْعِ مِنَ التَّوْحِيدِ: ... ((تَوْحِيدَ إِثْبَاتٍ)) بِلاَ تَرْدِيدِ

٧٦. قَدْ أَفْصَحَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ عَنْهُ ... فَالْتَمِسِ الْهُدَى الْمُنِيرَ مِنْهُ

٧٧. لاَ تَـتَّـبِـعْ أَقْـوَالَ كُـلِّ مَـارِدِ غَـــاوٍ مُـضِـلٍّ مَـــارِقٍ مُـعَـــانِـدِ
٧٨. فَلَيْـــسَ بَـعْـدَ رَدِّ ذَا الـتِّـبْـيَــانِ: مِـثْـقَـــالُ ذَرَّةٍ مِـــنَ الإيْـــمَـــانِ

الفصل الثاني توحيد الطلب والقصد:

فَصْلٌ فِي بَيَانِ النَّوْعِ الثَّانِي مِنْ نَوْعَيِ التَّوْحِيدِ وَهُوَ تَوْحِيدُ الطَّلَبِ وَالْقَصْدِ وَأَنَّهُ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

٧٩. هَــذَا وَثَــانِــي نَــوْعَــي التَّوْحِـيْـــدِ: إِفْــــرَادُ رَبِّ الْـعَـــرْشِ عَـــنْ نَـدِيْـــدِ
٨٠. أَنْ تَــعْـبُــدَ اللَّـــهَ إِلَــهَـــاً وَاحِــدَا مُـعْـتَـرِفَـاً بِـحَـقِّـهِ، لاَ جَــاحِــدَا

"**هَذَا**" أَي: الْأَمْرُ وَالْإِشَارَةُ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ تَحْقِيقِ النَّوْعِ الْأَوَّلِ مِنْ نَوْعَيِ التَّوْحِيدِ "**وَثَانِي نَوْعَيِ التَّوْحِيدِ**" هُوَ "**إِفْـــرَادُ رَبِّ الْعَرْشِ عَنْ نَدِيدٍ**" شَرِيكٍ مُسَاوٍ، وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ هُوَ "**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ**" سُبْحَانَهُ وَتعالى "**إِلَهًا**" حَالٌ مِنْ لَفْظِ الْجَلَالَـــةِ، "**وَاحِدًا**" لَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ كَمَا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَإِنَّ تَوْحِيدَ الْإِثْبَاتِ هُوَ أَعْظَمُ حُجَّـــةٍ عَلَى تَوْحِيدِ الطَّلَبِ وَالْقَصْدِ الَّذِي هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ.

- **تعريف توحيد الألوهية: إفراد الله تعالى بأفعال العباد.**
- **أسماؤه، وفضله:**

ويسمى باعتبار إضافته إلى الله تعالى بـــ " توحيد الألوهية "، ويسمى باعتبار إضافته إلى الخلق بـــ "توحيد العبـــادة"، و"توحيد العبودية" و"توحيد الله بأفعال العباد"، و"توحيد العمل"، و"توحيد القصد"، و"توحيد الإرادة والطلب"، لأنه مبني على إخلاص القصد في جميع العبادات، بإرادة وجه الله تعالى.

وهذا التوحيد من أجله خلق الله الجن والإنس، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (الذاريات: ٥٦).

وقَالَ تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} (السجدة: ٤)، وَقَالَ تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (الروم: ٤٠)، وَقَالَ تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} (الزخرف: ٨٧).

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ- عَنِ اتِّفَاقِ دَعْوَةِ رُسُلِهِ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا، فَقَالَ تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِـــهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إليك وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} (الشـــورى: ١٣)، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ: نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- وَكَذَلِكَ بَقِيَّةُ الرُّسُلِ. وَقَالَ تعالى: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَـــدُونَ} (الزخـــرف: ٤٥)، وَقَالَ تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إليه أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} (الأنبياء: ٢٥)، وَقَـــالَ تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} (النحل: ٣٦)، وَقَالَ تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَـــا إليك كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَـــاطِ وَعِيسَـــى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عليك مِـــنْ قَبْـــلُ وَرُسُـــلًا لَـــمْ

نَقْصُصْهُمْ عليك وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)} (سورة: النساء).

قال رحمه الله:

٨١. وَهُــوَ الَّــذِي بِــهِ الإِلَــهُ أَرْسَــلاَ ... رُسْـــلَـــهُ، يَـدْعُــونَ إِلَـيْـهِ أَوَّلاَ
٨٢. وَأَنْــزَلَ الْكِـتَـابَ وَالـتِّـبْـيَـانَـا ... مِــنْ أَجْـلِـهِ وَفَــرَقَ الْـفُـرْقَـانَـا
٨٣. وَكَلَّــفَ اللَّــهُ الرَّسُــولَ الْمُجْـتَـبَـى ... قِـــتَـــالَ مَــنْ عَــنْــهُ تَــوَلَّـى وَأَبَـى
٨٤. حَتَّــى يَكُــونَ الــدِّيْــنُ خَالِصــاً لَــهُ ... سِــــرًّا وَجَـــهْـــرًا دِقَّـــهُ وَجِــلَّـــهُ
٨٥. وَهَـــكَـــذَا أُمَّـــتُــهُ قَـــدْ كُـــلِّـــفُــوا ... بِــذَا، وَفِـي نَـصِّ الْكِـتَـابِ وُصِـفُـوا

"**وَكَلَّفَ اللَّهُ**" تعالى أَيْ: أَمَرَ أَمْرَ افْتِرَاضٍ "الرَّسُولَ المجتبى" نبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ "قِتَالَ" مَفْعُولُ كَلَّفَ الثَّانِي "مَنْ عَنْهُ" عَنِ التَّوْحِيدِ "تَوَلَّى وَأَبَى" أَيْ: أَعْرَضَ وَامْتَنَعَ "حتى" غَايَةً لِلْقِتَالِ "يَكُونَ الدِّينُ خَالِصًا لَهُ" أَيِ: لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ "سِرًّا وَجَهْرًا" لَا مُعَارِضَ لَهُ وَلَا مُشَاقَّ "دِقُّهُ وَجُلُّهُ" أَيْ: قَلِيلُ الْعِبَادَةِ وَكَثِيرُهَا، وَصَغِيرُهَا وَكَبِيرُهَا. قَالَ اللَّــهُ تَبَــارَكَ وَتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عليهِمْ} (التوبة: ٧٣)، وَقَالَ تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَــا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًــا} (النســاء: ٨٤)، وَقَالَ تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حتى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّــالِمِينَ (١٩٣)} (سورة: النساء). وَهَكَذَا" كَمَا كُلِّفَ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ "أُمَّتُهُ" الْمُسْتَجِيبُونَ لَهُ "قَدْ كُلِّفُوا بِذَا" أَيِ: الَّذِي كُلِّفَ بِهِ "وَفِي نَصِّ الْكِتَابِ" الْقُرْآنِ "وُصِفُوا" أَيْ: بِذَلِكَ كَمَا قَالَ تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّــذِينَ مَعَــهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا} (الفتح: ٢٩) الْآيَةَ. وَقَالَ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَــدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} (المائدة: ٥٤).

قال رحمه الله تعالى:

٨٦. وَقَــدْ حَوَتْــهُ لَــفْـظَــةُ «الشَّهَــادَهْ» ... فَــهِــيَ سَــبِـيْــلُ الْـفَـوْزِ وَالسَّــعَــادَهْ
٨٧. مَــنْ قَالَهَــا مُــعْــتَــقِــدًا مَعْــنَــاهَــا ... وَكَــــانَ عَــامِــلاً بِــمُــقْــتَــضَــاهَــا
٨٨. فِي الْقَـــولِ وَالْفِعْـــلِ وَمَــاتَ مُؤْمِنَــا: ... يُـــبْـــعَـــثُ يَــوْمَ الْحَــشْــرِ نَــاجٍ آمِــنَــا

"**وَقَدْ حَوَتْهُ**" أَيْ: جَمَعَتْهُ وَاشْتَمَلَتْ عليه "لَفْظَةُ الشَّهَادَةِ" أَيْ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ "فَهِيَ" أَيْ: هَذِهِ الْكَلِمَةُ "سَبِيلُ الْفَوْزِ" بِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّــةَ فَقَــدْ فَــازَ} (آل عمران: ١٨٥).

"وَ" هِيَ سَبِيلُ "السَّعَادَةِ" فِي الدَّارَيْنِ أَيْ: طَرِيقُهُمَا لا وصول إليها إِلَّا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، فَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَرْسَلَ اللَّهُ بِهَا رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ بِهَا كُتُبَهُ، وَلِأَجْلِهَا خُلِقَتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَفِي شَأْنِهَا تَكُونُ الشَّقَاوَةُ والسعادة، وبها تؤخذ الْكُتُبُ باليمين أو الشمال، ويقل الْمِيزَانُ أَوْ يَخِفُّ، وَبِهَا النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ بَعْدَ الْوُرُودِ، وَبِعَدَمِ الْتِزَامِهَا الْبَقَاءُ فِي النَّارِ، وَبِهَا أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ، وَعليها الْجزاءُ وَالْمُحَاسَبَةُ، وَعَنْهَا السُّؤَالُ يَوْمَ التَّلَاقِ، إِذْ يَقُولُ تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣)} (سورة: الحجر).

- **لذا فقد اجتمعت لهذه الكلمة العظيمة كثير من الفضائل:**

١. فهي أَعْظَمُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بها عَلَى عِبَادِهِ أَنْ هَدَاهُمْ إليها، وَلِهَذَا ذَكَرَهَا فِي سورة: النَّحْلِ الَّتِي هِيَ سورة: النِّعَمِ فَقَدَّمَهَا أَوَّلًا قَبْلَ كُلِّ نِعْمَةٍ، فَقَالَ تعالى: {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} (النحل: ٢).

٢. وهي العروة الوثقى: قال تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا} (البقرة: ٢٥٦). قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَالضَّحَّاكُ.

٣. وَهِيَ الْعَهْدُ الذي ذكره اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ يَقُولُ: {لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا} (مريم: ٨٧). قال ابن عباس رضي الله عنهما: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِاللَّهِ وَأَنْ لَا يَرْجُوَ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

٤. وهي القول الثابت الذي ذكره تعالى في قوله: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} (إبراهيم: ٢٧) وقد ثبت ذلك في الصحيحين عن البراء عن النبي – صلى الله عليه وسلم – .

٥. وهي كلمة التقوى التي ذكرها تعالى في قوله: {وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا} (الفتح: ٢٦) رواه ابْنُ جَرِيرٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيُّ.

٦. وهي سبب النجاة من النار، كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – سَمِعَ مُؤَذِّنًا يَقُولُ: أَشْهَدُ أن لا إله إلا الله، فقال:"خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ". وَفِيهِ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – يَقُولُ:" مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عليه النَّارَ " وفي حديث الشفاعة:" أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من إيمان ".

٧. وهي سبب دخول الجنة، ففي الصحيح أنه – صلى الله عليه وسلم – قَالَ:" أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ".

٨. ويكفي في فضلها إِخْبَارُ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – أَنَّهَا على جَمِيعِ شُعَبِ الْإِيمَانِ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –:" الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عن الطريق " وهذا لفظ مسلم.

قال:

٨٩. فَإِنَّ مَعْنَاهَا الَّذِي عَلَيْهِ … دَلَّتْ يَقِينًا وَهَدَتْ إِلَيْهِ:
٩٠. أَنْ لَيْسَ بِالْحَقِّ إِلَهٌ يُعْبَدُ … إِلاَّ الإِلَهُ الْوَاحِدُ الْمُنْفَرِدُ
٩١. بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَبِالتَّدْبِيرِ … جَلَّ عَنِ الشَّرِيكِ وَالنَّظِيرِ

- **فَمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللَّهُ.**

"**إِلَّا الْإِلَهُ الْوَاحِدُ الْمُنْفَرِدُ. بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَبِالتَّدْبِيرِ... إِلَخْ**" وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتعالى أَيْ: هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ، فَكَمَا تَفَرَّدَ تعالى بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ وَالْإِيجَادِ وَالْإِعْدَامِ وَالنَّفْعِ وَالضَّرِّ وَالْإِعْزَازِ وَالْإِذْلَالِ وَالْهِدَايَةِ وَالْإِضْلَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ، فَكَذَلِكَ تَفرَّدَ سُبْحَانَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ حَقًّا، فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِيهَا: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ العلي الْكَبِيرُ} (لقمان: ٣٠)، {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)} (سورة: المؤمنون)، {أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)} (سورة: الأنبياء)، {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَانَهُ وَتعالى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)} (سورة: الإسراء)، {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} (آل عمران: ٦٤).

قال رحمه الله تعالى:

٩٢. وَبِشُرُوطٍ «سَبْعَةٍ» قَدْ قُيِّدَتْ	**وَفِي نُصُوصِ الْوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ**
٩٣. فَإِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلُهَا	**بِالنُّطْقِ، إِلاَّ حَيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا:**
٩٤. الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ وَالْقَبُولُ	**وَالانْقِيَادُ، فَادْرِ مَا أَقُولُ**
٩٥. وَالصِّدْقُ وَالإِخْلَاصُ وَالْمَحَبَّةْ	**وَفَّقَكَ اللَّهُ لِمَا أَحَبَّهْ**

"وَبِشُرُوطٍ سَبْعَةٍ" مُتَعَلِّقٌ بِقُيِّدَتْ "قَدْ قُيِّدَتْ" أَيْ: قُيِّدَ بِهَا انْتِفَاعُ قَائِلِهَا بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ، وهذه الشروط أخذها العلماء بالاستقراء والتتبع.

- **وشروط كلمة التوحيد كالتالي:**

* **الْأَوَّلُ**: "الْعِلْمُ" بِمَعْنَاهَا الْمُرَادِ مِنْهَا نَفْيًا وَإِثْبَاتًا الْمُنَافِي لِلْجَهْلِ بِذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} (محمد: ١٩)، وَقَالَ تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (فاطر: ٢٨)، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:"مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ".

* **الثاني**: "وَاليَقِينُ" أَيْ: اليَقِينُ الْمُنَافِي لِلشَّكِّ بِأَنْ يَكُونَ قَائِلُهَا مُسْتَيْقِنًا بِمَدْلُولِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ يَقِينًا جَازِمًا، فَإِنَّ الْإِيمَانَ لَا يُغْنِي فِيهِ إِلَّا عِلْمُ اليَقِينِ لَا عِلْمُ الظَّنِّ، فَكَيْفَ إِذَا دَخَلَهُ الشَّكُّ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (الحجرات: ١٥). فَاشْتَرَطَ فِي صِدْقِ إِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ كَوْنَهُمْ لَمْ يَرْتَابُوا أَيْ: لَمْ يَشُكُّوا، فَأَمَّا الْمُرْتَابُ فَهُوَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، الَّذِينَ

قَالَ اللَّهُ تعالى فِيهِمْ: {إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَاليوم الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} (التوبة: ٤٥)، وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهَ بهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ"، وَفِي رِوَايَةٍ: "لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا فَيُحْجَبُ عَنِ الْجَنَّةِ ". وَفِيهِ عَنْهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- مِنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- بَعَثَهُ بنَعليه فَقَالَ:" مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ ".

* **الثالث**: "الْقَبُولُ" لِمَا اقْتَضَتْهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَقَدْ قَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ علينا مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ مِنْ إِنْجَاءِ مَنْ قَبِلَهَا وَانْتِقَامِهِ مِمَّنْ رَدَّهَا وَأَبَاهَا كَمَا قَالَ تعالى: {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عليه آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥)} (سورة: الزخرف).

فالقبول في كلمه التوحيد يكون بشيئين:

١- يكون بالقلب. ٢- ويكون باللسان.

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عليه آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥)} (سورة: الزخرف)، فهم هنا رفضوا كلمه التوحيد.

وقال تعالى: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ اليوم مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليمين (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عليكم مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ علينا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (٣٦)} (سورة: الصافات)، فجعل الله تعالى علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله.

* **الرَّابِعُ**: "الِانْقِيَادُ" لِمَا دَلَّتْ عليه الْمُنَافِي لِتَرْكِ ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ} (الزمر٥٤)، وَقَالَ تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ} (النساء: ١٢٥). وَقَالَ تعالى: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} (لقمان: ٢٢) أَيْ: بلَا إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ " وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ " وَمَعْنَى يُسْلِمُ وَجْهَهُ أَيْ: يَنْقَادُ وَهُوَ مُحْسِنٌ مُوَحِّدٌ، وَمَنْ لَمْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَلَمْ يَكُ مُحْسِنًا فَإِنَّهُ لَمْ يَسْتَمْسِكْ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَهو الْمَعْنِيُّ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ: {وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلينا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عليم بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤)} (سورة: لقمان).

والقبول والانقياد شرطان متلازمان، إذ لا يصح قبول بدون انقياد ولا يصح انقياد بدون قبول: "فالإنسان لا يكون قابلا إلا إذا كان منقاداً، ولا يكون منقاداً إلا إذا كان قابلاً" .

- **والفرق بين القبول والانقياد:**

أن القبول يكون = بالقلب واللسان، والانقياد يكون = بالجوارح.
قال تعالى: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ} (الزمر: ٥٤)، وقال سبحانه: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ} (النساء: ١٢٥)، وقال عز وجل: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} (لقمان: ٢٢).

* **الْخَامِسُ**: "الصِّدْقُ" الْمُنَافِي لِلْكَذِبِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَهَا صِدْقًا من قلبه يواطئ قَلْبه لِسَانَهُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)} (سورة: العنكبوت). إلى آخر الآيات. وَقَالَ تعالى فِي شَأْنِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ قَالُوهَا كَذِبًا: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَباليوم الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)} (سورة: البقرة).
وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ".

* **السَّادِسُ**: "الْإِخْلَاصُ" وَهُوَ تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ بِصَالِحِ النِّيَّةِ عَنْ جَمِيعِ شَوَائِبِ الشِّرْكِ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} (الزمر: ٣). وَقَالَ تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ} (البينة: ٥) الْآيَةَ، وَقَالَ تعالى: {فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} (الزمر: ٢)، وَقَالَ تعالى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} (الزمر: ١١)، {قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} (الزمر: ١٤). وَقَالَ تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} (النساء: ١٤٥- ١٤٦).
وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- قَالَ:" إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ".
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا، إلا فتحت لها أَبْوَابُ السَّمَاءِ حتى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ".

* **السَّابِعُ**: "الْمَحَبَّةُ":
١.لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ.

٢. وَلِمَا اقْتَضَتْهُ وَدَلَّتْ عليه.

٣. وَلِأَهْلِهَا الْعَامِلِينَ بِهَا الْمُلْتَزِمِينَ لِشُرُوطِهَا.

٤. وَبُغْضِ مَا نَاقَضَ ذَلِكَ.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} (البقرة: ١٦٥)، وَقَالَ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} (المائدة: ٥٤)، وَقَالَ تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} (الجاثية: ٢٣).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليه مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ".

- **وهذه المحبة لها علامات:**

١. تقديم محاب الله وإن خالفت هوى الإنسان.

بمعنى أن يكون الإنسان يُحب شيئا، والله عز وجل يحب ضد هذا الشيء، فالإنسان الذي يؤمن بلا إله إلا الله يُقدم محبة الله عز وجل على محبة نفسه.

وكذلك محبة النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يحبون النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من أنفسهم.

وسُئل علي بن أبي طالب كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ.

فكانوا يُفدون النبي صلى الله عليه وسلم بالنفس والنفيس، والغالي والرخيص.

فعن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبيه قال: بعثني النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم أحد أطلب سعد بن الربيع، فقال لي: إن رأيته، فأقره مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله: كيف تجدك ؟ فطفت بين القتلى، فأصبته وهو في آخر رمق، وبه سبعون ضربة، فأخبرته، فقال: على رسول الله السلام وعليك، قل له: يا رسول الله، أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفيكم شفر يطرف، قال: وفاضت نفسه، – رضي الله عنه ".

وقال الله عزوجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عليم} (المائدة: ٥٤).

وقَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليه مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْعَبْدَ لا يُحِبُّهُ إلا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَرْجِعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ ".

٢. من علامات المحبة، بُغض ما يُبغض ربه سبحانه وتعالى.

٣. موالاة من والى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤. معاداة من عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو من عادى الله عز وجل

قال رحمه الله:

[[الفصل الثالث في تعريف العبادة وذكر بعض أنواعها وأن من صرف منها شيئا لغير الله فقد أشرك]]

٩٦. ثُــمَّ الْعِـبَــادَةُ هِــيَ: اسْـمٌ جَـامِـعُ　　　لِــكُــلِّ مَــا يَــرْضَــى الإِلَــهُ الــسَّــامِـعُ

- **تعريف العبادة:**

عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية "هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا" يُحِبُّ وَ"يَرْضَى مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

وتعرف عند أهل الأصول: ما أمر به من غير اقتضاء عقلي، ولا اطراد عرفي.

وَمَنَاطُ الْعِبَادَةِ هِيَ غَايَةُ الْحُبِّ مَعَ غَايَةِ الذُّلِّ وَلَا تَنْفَعُ عِبَادَةٌ بِوَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ دُونَ الْآخَرِ؛ وَلِذَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنَ السَّلَفِ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِالْحُبِّ وَحْدَهُ فَهُوَ زِنْدِيقٌ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ فَهُوَ مُرْجِئٌ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْخَوْفِ وَحْدَهُ فَهُوَ حَرُورِيٌّ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ فَهُوَ مؤمن موحد. ا. هـــ.

وَلِلْعِبَادَةِ رُكْنَانِ لَا قِوَامَ لَهَا إِلَّا بِهِمَا وَهُمَا: الْإِخْلَاصُ وَالصِّدْقُ.

١. وَحَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ أَنْ يَكُونَ قَصْدُ الْعَبْدِ جه اللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ– وَالدَّارَ الْآخِرَةَ كَمَا قَالَ تعالى: {وَسَيُجَنَّبُهَا الْــأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)} (سورة: الليل)، وَقَالَ تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَــهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْــكُورًا (١٩)} (سورة: الإسراء).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ– يَقُــولُ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى؛ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إليه".

٢. وَأَمَّا الصِّدْقُ فَهُوَ بَذْلُ الْعَبْدِ جُهْدَهُ فِي امْتِثَالِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِلِقَاءِ اللَّهِ، وَتَرْكُ الْعَجْزِ وَتَرْكُ التَّكَاسُلِ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَإِمْسَاكُ النَّفْسِ بِلِجَامِ التَّقْوَى عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَطَرْدُ الشَّيْطَانِ عَنْــهُ بِالْمُدَاوَمَــةِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ، وَالِاسْتِقَامَةُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ مَا اسْتَطَاعَ، قَالَ اللَّهُ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّــهَ وَكُونُــوا مَــعَ الصَّادِقِينَ} (التوبة: ١١٩)، وَقَالَ تعالى: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عليه} (الأحزاب: ٢٣) الْآيَةَ.

وَإِذَا اجْتَمَعَتِ النِّيَّةُ الصَّالِحَةُ وَالْعَزِيمَةُ الصَّادِقَةُ فِي هَذَا الْعَبْدِ قَامَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٣. ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ ذَلِكَ إِلَّا بِمُتَابَعَتِهِ الرَّسُولَ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ– فَيَعْبُدُ اللَّهَ تعالى بِوَفْقِ مَا شَرَعَ، وَهُــوَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ تعالى مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ، كَمَا قَالَ تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي

الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (آل عمران: ٨٥)، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ ".

فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَرْكَانِ شُرُوطٌ فِي الْعِبَادَةِ لَا قِوَامَ لَهَا إِلَّا بها؛ فَالْعَزِيمَةُ الصَّادِقَةُ شَرْطٌ فِي صُدُورِهَا، وَالنِّيَّةُ الْخَالِصَةُ، وَمُوَافَقَةُ السُّنَّةِ شَرْطٌ فِي قَبُولِهَا، فَلَا تَكُونُ عِبَادَةً مَقْبُولَةً إِلَّا باجْتِمَاعِهَا، فَإِخْلَاصُ النِّيَّةِ بدُونِ صِدْق الْعَزِيمَةِ هَوَسٌ وَتَطْوِيلُ أَمَلٍ وَتَمَنٍّ عَلَى اللَّهِ وَتَسْوِيفٌ فِي الْعَمَلِ وَتَفْرِيطٌ فِيهِ، وَصِدْقُ الْعَزِيمَةِ بدُونِ إِخْلَاصٍ فِيهِ يَكُونُ شِرْكًا أَكْبَرَ أَوْ أَصْغَرَ بحَسَبِ مَا نَقَصَ مِنَ الْإِخْلَاصِ. فَإِنْ كَانَ الْبَاعِثُ عَلَى الْعَمَلِ مِنْ أَصْلِهِ هُوَ إِرَادَةَ غَيْرِ اللَّهِ فنفَاقٌ، وَإِنْ كَانَ دَخَلَ الرِّيَاءُ فِي تَزْيِينِ الْعَمَلِ وَكَانَ الْبَاعِثُ عليه أَوَّلًا إِرَادَةَ اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ كَانَ شِرْكًا أَصْغَرَ بحَسَبِهِ حتى إِذَا غَلَبَ عليه الْتحقَ بالْأَكْبَر. وَإِخْلَاصُ النِّيَّةِ مَعَ صِدْق الْعَزِيمَةِ إِنْ لَمْ يَكُنِ الْعَمَلُ عَلَى وَفْقِ السُّنَّةِ كَانَ بدْعَةً وَحَدَثًا فِي الدِّينِ وَشَرْعَ مَا لَمْ يَأْذَنِ اللَّهُ بهِ، فَيَكُونُ رَدًّا عَلَى صَاحِبهِ وَوَبَالًا عليه وَالْعِيَاذُ باللَّهِ، فَلَا يَصْدُرُ الْعَمَلُ مِنَ الْعَبْدِ إِلَّا بصِدْق الْعَزِيمَةِ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ ذَلِكَ إِلَّا بإِخْلَاصِ النِّيَّةِ وَإِتْبَاعِ السُّنَّةِ؛ وَلِذَا قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ فِي قَوْلِهِ تعالى: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} (الملك: ٢)، قَالَ: أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُه، يَعْنِي: خَالِصًا مِنْ شَوَائِبِ الشِّرْكِ، مُوَافِقًا لِلسُّنَّةِ.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فَصْلٌ: فِي تَعْرِيفِ الْعِبَادَةِ، وَذِكْرِ بَعْضِ أَنْوَاعِهَا،وَأَنَّ مَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ.

٩٦. ثُمَّ الْعِبَادَةُ هِيَ: اسْمٌ جَامِعُ ... لِكُلِّ مَا يَرْضَى الإِلَهُ السَّامِعُ

٩٧. وَفِي الْحَدِيْثِ: «مُخُّهَا الدُّعَاءُ» ... خَوْفٌ تَوَكُّلٌ، كَذَا الرَّجَاءُ

والدعاء من أهم العبادات، وأفضل القربات، قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} (غافر:٦٠)، وقال سبحانه: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} (البقرة: ١٨٦).
عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قَالَ:" الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ "،وعن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:" إِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ "، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عليه".

- **والدعاء ينقسم إلى قسمين:**

١. دعاء مدح وثناء." وهو أن تتعبد لله عز وجل بالثناء عليه، أو بالتعبد كأن تصلى، تقوم الليل، تقرأ في القرآن، وأنت تريد شيئاً، وهذا أكمل أنواع الدعاء ".
قال صلى الله عليه وسلم:" أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي:" لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ"، وعَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعًا:" أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ"، فتجد هذا مدح وثناء لله عز وجل.

ولذلك تجد في دعاء الكرب فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ:" لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العليم الْحَلِيمُ. لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ".

وكان بعض العلماء يستشكل مثل هذا فكان يقول، كيف يسمي دعاءا ؟

فقال له سفيان الثوري رحمه الله: ألم ترى إلى قول أميه بن السلط:

أأذكرُ حاجتي أمْ قد كفاني ... حَيَاؤُك إنّ شيمتَك الحياءُ

إذا أثـنى عليك المرءُ يوماً ... كفـاه مِن تعرُّضِه الثَّناءُ

٢. دعاء مسألة وطلب." وهو الدعاء المعروف: أن تطلب من الله عز وجل"، مثل "يا رب اغفر لي، ويا رب ارحمني". وهكذا.

وفي الجملة: فإن دعاء المدح والثناء أفضل النوعين، ولكن:

وربما يعرض للمفوق ما ... يجعله مساويا أو قدما

فائدة

١. الطلب من الأسفل للأعلى يسمى دعاءً.
٢. ومن الأعلى للأسفل يسمى أمرًا.
٣. الطلب من المساوي للمساوي يسمى رجاءً.

قال رحمه الله: [**خَوْفٌ تَوَكُّلٌ كَذَا الرَّجَاءُ**].

- تعريف "لبعض المصطلحات" التي سترد في النظم:

١. **الخوف:** فرض على جميع المؤمنين.

٢. **الخشية:** خاصة بالعلماء، {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (فاطر: ٢٨)، لأن الخشية خوف مقرون بعلم.

٣. **الرهبة:** ضد الرغبة، والرهبة: هي الإمعان في البعد عن المكروه، وهي الخوف المثمر للهروب من المخوف، فهي خوف مقرون بعمل .

٤. **الوجل:** رجفان القلب والضراعة لذكر" أي لذكر الإنسان" من يخاف سلطانه أو عقوبته أو لرؤيته، قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} (المؤمنون: ٦٠)، " وَجِلَةٌ، أي مُضطربة".

٥. **الهيبة:** خوف مقرون بالتعظيم والإجلال.

فإنه يوجد فرق بين أن تخاف شخصاً وبين أن تهابه، فيوجد إنسان إذا رأيته تهابه، كالصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا يهابونه صلى الله عليه وسلم، وأما الخوف قد يكون من محبة وقد يكون من غير محبة.

٦. **الإجلال:** تعظيم مقرون بالمحبة.

والخوف من العبادات الجليلة لله عز وجل، وهو فرض على جميع المؤمنين، قال سبحانه: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} (الرحمن: ٤٦).

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبُهَا، وَلَا مِثْلَ الْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا".

قال تعالى: {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (آل عمران: ١٧٥)، وقال تبارك وتعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} (المؤمنون: ٦٠)، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} (الإسراء: ٥٧)، وقال سبحانه: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} (الزمر٩).

- **والخوف أنواع:**

فأما النوع الأول: فالخوف الطبيعي، كالخوف من عدو أو سبع أو حية فهذا ليس بعبادة، ولا ينافي الإيمان؛ لأنه قد يوجد في المؤمن كما قال تعالى عن موسى عليه السلام {فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} (القصص: ١٨)، هذا الخوف لا يلام عليه الإنسان إذا انعقدت أسبابه أما إذا كان وهمياً أوله سبب ضعيف فهو مذموم لأن صاحبه جبان.

والنوع الثاني: خوف "السر"، وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو ولي من الأولياء بعيداً عنه أن يصيب بمكروه وهذا الخوف هو الواقع بين عباد القبور والمتعلقين بالأولياء، قال تعالى عن قوم هود: {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} (هود: ٥٤). فهم يتصورون أن الآلهة يخاف منها لأنها قد تعتري الإنسان بسوء، ومعنى هذا في نظرهم أنها إذا كانت تنفع فإنه يتصور أنها تضر فهذا يطلق عليه خوف السر.

النوع الثالث: أن يترك الإنسان ما يجب خوفاً من الناس كأن يترك الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر خوفاً من الناس فهذا خوف محرم ومذموم.

النوع الرابع: خوف تعبد وتعلق هو أن يخاف أحداً يتعبد بالخوف له فيدعوه الخوف لطاعته، وهذا النوع هو خوف التعبد والتأله الذي يحمل على الطاعة والبعد عن المعصية وهذا خاص بالله تعالى. وتعلقه به من أعظم واجبات الدين ومقتضيات الإيمان، وتعلقه بغير الله تعالى من الشرك الأكبر؛ لأن الخوف من أعظم واجبات القلب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" الإنسان إذا لم يخف من الله اتبع هواه ولاسيما إذا كان طالباً ما لم يحصل له، فإن نفسه تبقى طالبة لما تستريح به، وتدفع به الغم والحزن عنها، وليس عندها من ذكر الله وعبادته ما تستريح إليه وبه، فيستريح إلى المحرمات من فعل الفواحش وشرب المحرمات وقول الزور... ".

- **والخوف من الله تعالى ينشأ ويعظم عند العبد من عدة أمور، أهمها:**

١. معرفته بالله تعالى وبصفاته، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف.
٢. تصديقه بأن الله تعالى توعد من عصاه بترك الواجبات أو بفعل المحرمات بالعقوبة.
٣. معرفته لشدة عقوبة الله تعالى لمن عصاه، وأن العبد لا يستطيع تحمل عقوبته تعالى، وهذا يحصل بمطالعة الآيات والأحاديث الواردة في الوعيد والزجر، والعرض والحساب، وعذاب القبر وعذاب النار.

٤. تذكر العبد لمعصيته لله تعالى فيما سبق من عمره.

٥. خوفه أن يُحال بينه وبين التوبة، بسبب ارتكابه للذنب، أو أن يختم له بخاتمة سيئة بسبب إصراره على معصية الله تعالى.

وكلما قوي إيمان العبد وتصديقه بعذاب الله تعالى ومعرفته بشدة عذابه تعالى لمن عصاه اشتد خوفه من عذاب الله، ولذلك قال بعض العلماء " من كان بالله أعرف كان منه أخوف"، والخوف المحمود الصادق هو ما حال بين العبد وبين معصية الله تعالى.

- **وقسيم الخوف الرجاء: وهو من العبادات الجليلة لله عز وجل.**

* تعريفه: والرجاء: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجوا ثواب الله.

قال تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (الكهف: ١١٠)، وقال سبحانه: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ العليم} (العنكبوت: ٥).

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:" أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي. فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ ".

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ فِي دُعَاءِ الْمَكْرُوبِ:" اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ".

- **والرجاء ثلاثة أنواع: "اثنان محمودان، والثالث مذموم"، وهي:**

١. رجاء من أطاع الله في أن يتقبل الله عمله، وأن يثيبه عليه بالفوز بالجنة والنجاة من النار.

٢. رجاء من أذنب ذنوباً ثم تاب منها في أن يغفر الله ذنوبه وأن يعفو عنها.

٣. رجاء من هو متماد في التفريط في الواجبات واقع في المحرمات، مصر عليها، ومع ذلك يرجو رحمة الله، فهذا هو "الغرور" و"التمني" و"الرجاء الكاذب".

قال أبوعثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاوة أن تعصي وترجو أن تنجو.

- **مسألة: أيهما نقدم الخوف أم الرجاء ؟**

العلماء رحمهم الله اختلفوا في هذه المسألة:

والراجح أن الإنسان حال حياته ووفور صحته، وريعان شبابه = يُقدم الخوف "لكن لا يقدمه بحيث ييئس من رحمة الله، فإذا وصل إلى مرحله اليأس يُغلب جانب الرجاء" لأن الخوف حال الحياة يبعثه على العمل، أما عند الموت فيُقدم الرجاء.

لذلك بعض السلف كانوا يحثون أولادهم أن يقرأوا عليهم أحاديث الرجاء وهم يموتون.

فالإنسان يغلب جانب الخوف على الرجاء إلى أن يعتدل كل منهما، حتى يصير الإنسان سائر إلى الله عز وجل بالخوف والرجاء.

- **التوكل: وهو اعتماد القلب على الله وثقته به سبحانه وتعالى.**

قال تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (المائدة: ٢٣)، وقال سبحانه: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (المائدة: ١١)، وقال عز وجل: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عليه تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} (التوبة: ١٢٩).

وعن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، يَقُولُ:" لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا ".

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ".

- **والتوكل على الله تعالى نوعان:**

أحدهما: توكل عليه في تحصيل حظ العبد من الرزق والعافية وغيرهما.

وثانيهما: توكل عليه في تحصيل مرضاته.

فأما النوع الأول: فغايته المطلوبة وإن لم تكن عبادة؛ لأنها محض حظ العبد، فالتوكل على الله في حصوله عبادة، فهو منشأ لمصلحة دينه ودنياه.

وأما النوع الثاني: فغايته عبادة، وهو في نفسه عبادة، فلا علة فيه بوجه فإنه استعانة بالله على ما يرضيه. فصاحبه متحقق بـ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (الفاتحة: ٥).

- **وأما التوكل على غير الله تعالى فأنواع:**

النوع الأول: التوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من جلب المنافع ودفع المضار، وهذا شرك أكبر لأنه إذا كان التوكل على الله من تمام الإيمان، فالتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه غير الله من الشرك الأكبر، وهذا النوع هو المراد بقوله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (المائدة: ٢٣)، وقال تعالى: {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عليه} (هود: ١٢٣)، وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عليهمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)} (سورة: الأنفال).

النوع الثاني: أن يتوكل على حي حاضر من ملك أو وزير أو مسؤول فيما أقدره الله عليه من زرق أو دفع أذى، وهذا شرك أصغر، بسبب قوة تعلق القلب بهذا الإنسان واعتماده عليه. أما إذا اعتقد أن هذا الإنسان سبب، وأن الله تعالى هو الذي أقدره على هذا الشيء وأجراه على يديه فهذا لا بأس به إذا كان لهذا الإنسان أثر صحيح في حصول المراد. لكن كثيراً من الناس قد لا يمر على باله هذا المعنى، ويكاد يعتمد على هذا الإنسان في حصول مراده.

أما الاعتماد على الغير في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه فهذا جائز دل عليه الكتاب والسنة والإجماع. لكن لا يعتمد عليه في حصول ما وكل فيه بل يتوكل على الله سبحانه وتعالى في تيسير أمره الذي يطلبه إما بنفسه أو بنائبه ولهذا لا تقول: توكلت على فلان إنما تقول: وكلت فلاناً، وقد وكل النبي صلى الله عليه وسلم عليا في ذبح بقية بدنه في حجة الوداع، ووكل أبا هريرة رضي الله عنه على الصدقة، ووكل عروة بن الجعد أن يشتري له أضحية.

قال رحمه الله:

٩٨. وَرَغْـبَـةٌ وَرَهْـبَـةٌ خُـشُـوعُ وَخَـشْـيَـةٌ إِنَـابَـةٌ خُـضُـوعُ

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله:" الخوف والخشية والخشوع والإخبات والوجل معانيها متقاربة، فالخوف يمنع العبد عن محارم الله، وتشاركه الخشية في ذلك، وتزيد أن الخوف مقرون بمعرفة الله. وأما الخشوع والإخبات والوجل فإنها تنشأ عن الخوف والخشية لله، فيخضع العبد لله ويخبت إلى ربه منيباً إليه بقلبه ويحدث له الوجل. وأما الخشوع فهو حضور القلب وقت تلبسه بطاعة الله وسكون ظاهرة وباطنة فهذا خشوع خاص. وأما الخشوع الدائم الذي هو وصف خواص المؤمنين فينشأ من كمال معرفة العبد بربه ومراقبته فيستولي ذلك على القلب كما تستولي المحبة ".

وهذه جملة من العبادات، قال تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} (الأنبياء: ٩٠)، وقال سبحانه: {وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا} (الإسراء: ١٠٩).

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ:" عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أَنْ أَقُولَ إِذَا أَخَذْتُ مَضْجَعِي عِنْدَ النَّوْمِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إليك، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إليك، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إليك، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إليك، رَهْبَةً مِنْكَ وَرَغْبَةً إليك، لَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إليك، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ....".

وفي الخشية يقول سبحانه: {فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي} (البقرة: ١٥٠)، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ} (المؤمنون: ٥٧).

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضى اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قَالَ:" لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةِ دُمُوعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةِ دَمٍ تُهْرَاقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَأَمَّا الْأَثَرَانِ فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثَرُ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ تعالى: "لذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم:" أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ".

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:......... وذكر منهم" وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ".

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، قَالَ: " لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تعالى، حتى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ نَارِ جَهَنَّمَ ".

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَقُولُ:" عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهما النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ باتت تَحْرُسُ في سبيل الله".

فخشية الله أثر من آثار العلم، فكلما ازداد المرء بالله علما ازداد منه خشيه، وعلى قدر علمك بالله تكون خشيتك من الله.

لذلك فإن الإنسان يحتاج دائما إلى العلم، العلم الذي يوصله إلى الله، وليس العلم الذي هو المعلومات رغم أن هذا مهم لأنك بهذا تحفظ على الناس دينهم وهذه هي الآلة التي تمكنك من فهم الكتاب والسنة، لكن العلم حقاً أن تخشي الله، فانظر مقدار خشيتك من الله عز وجل، هذا المقدار هو الذي يحدد نصيبك من العلم، فإذا كان نصيبك من الخشية كثيرا كان نصيبك من العلم كثيرا، إذا كان نصيبك من الخشية قليلا إذا نصيبك من العلم لا شيء.

لذلك كان يقول بعض العلماء: نحن إلى قليل من الأدب أحوج منه إلى كثير من العلم.

وكان بعضهم يقول: اجعل العلم كملح والأدب كدقيق.

لذلك يقول ابن عمر: تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن.

فإذا دخل العلم على الإيمان ينفع صاحبه، وإذا دخل العلم قبل الإيمان فهذا هلاك الإنسان.

لأنه لا ينفع صاحبه، فتجده يعلم الأدلة ولا يعمل بها، يعلم أدله قيام الليل ولا يقوم رغم أن هذا هو الذي سينجيه وليس علمه.

يقول سفيان الثورى رحمه الله: كل عبادة ظهرت لا أعد لها ثوابا لأن قلوبنا أضعف من أن تخلص لله.

فلابد أن تحرص على معرفة أثر العلم في قلبه.

- **ذكر ابن القيم رحمه الله أن الإنابة إلى الله إنابتان:**

١. **إنابة لربوبيته:** وهي إنابة المخلوقات كلها يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر، قال الله تعالى: {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إليه} (الروم: ٣٣)، فهذا عام في حق كل داع أصابه ضر كما هو الواقع. وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام بل تجامع الشرك والكفر، كما قال تعالى في حق هؤلاء: {ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} (الروم: ٣٣).

٢. **إنابة لإلهيته:** وهي إنابة أوليائه، إنابة عبودية ومحبة، وتتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه.

فالمنيب إلى الله: المسرع إلى مرضاته الراجع إليه كل وقت المتقدم إلى محابه؛ لأن لفظ "الإنابة" فيه معنى الإسراع والرجوع والتقدم.

والإنابة: مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَهِيَ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ، وَالرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ تعالى، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ} (الزمر: ٥٤)، وَقَالَ تعالى فِي ذِكْرِ شُعَيْب: {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عليه تَوَكَّلْتُ وَإليه أُنِيبُ} (هود: ٨٨)، وَقَالَ تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عليه تَوَكَّلْتُ وَإليه أُنِيبُ} (الشورى: ١٠)، وَقَالَ تعالى عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ: {رَبَّنَا عليك تَوَكَّلْنَا وَإليك أَنَبْنَا وَإليك الْمَصِيرُ} (الممتحنة: ٤)، وَقَالَ تعالى فِي شَأْنِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ} (الزمر: ١٧)، وَقَالَ عَنْ عَبْدِهِ دَاوُدَ عليه السَّلَامُ: {فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ} (ص: ٢٤).

- كلام نفيس جدًا:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

فَصْلٌ: وَلَا بُدَّ مِنْ التَّنْبِيهِ عَلَى قَاعِدَةِ تَحَرُّكِ الْقُلُوب إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَتَعْتَصِمُ بِهِ فَتَقِلُّ آفَاتُهَا أَوْ تَذْهَبُ عَنْهَا بِالْكُلِّيَّةِ بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ. فَنَقُولُ اعْلَمْ أَنَّ مُحَرِّكَاتِ الْقُلُوب إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةٌ: الْمَحَبَّةُ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ. وَأَقْوَاهَا الْمَحَبَّةُ وَهِيَ مَقْصُودَةٌ تُرَادُ لِذَاتِهَا لِأَنَّهَا تُرَادُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِخِلَافِ الْخَوْفِ فَإِنَّهُ يَزُولُ فِي الْآخِرَةِ قَالَ اللَّهُ تعالى:

{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عليهمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (يونس: ٦٢). وَالْخَوْفُ الْمَقْصُودُ مِنْهُ الزَّجْرُ وَالْمَنْعُ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْ الطَّرِيقِ فَالْمَحَبَّةُ تَلْقَى الْعَبْدَ فِي السَّيْرِ إِلَى مَحْبُوبِهِ وَعَلَى قَدْرِ ضَعْفِهَا وَقُوَّتِهَا يَكُونُ سَيْرُهُ إليه وَالْخَوْفُ يَمْنَعُهُ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ طَرِيقِ الْمَحْبُوبِ وَالرَّجَاءُ يَقُودُهُ فَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ يَجِبُ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَنْ يَتَنَبَّهَ لَهُ فَإِنَّهُ لَا تَحْصُلُ لَهُ الْعُبُودِيَّةُ بِدُونِهِ وَكُلُّ أَحَدٍ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ لَا لِغَيْرِهِ. فَإِنْ قِيلَ فَالْعَبْدُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ قَدْ لَا يَكُونُ عِنْدَهُ مَحَبَّةٌ تَبْعَثُهُ عَلَى طَلَبِ مَحْبُوبِهِ فَأَيُّ شَيْءٍ يُحَرِّكُ الْقُلُوبَ؟ قُلْنَا يُحَرِّكُهَا شَيْئَانِ - أَحَدُهُمَا كَثْرَةُ الذِّكْرِ لِلْمَحْبُوبِ لِأَنَّ كَثْرَةَ ذِكْرِهِ تُعَلِّقُ الْقُلُوبَ بِهِ وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالذِّكْرِ الْكَثِيرِ فَقَالَ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)} (سورة: الأحزاب).

وَالثَّانِي: مُطَالَعَةُ آلَائِهِ وَنَعْمَائِهِ قَالَ اللَّهُ تعالى: {فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (الأعراف: ٦٩)، وَقَالَ تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} (النحل: ٥٣)، وَقَالَ تعالى: {وَأَسْبَغَ عليكم نعمة ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} (لقمان: ٢٠)، وَقَالَ تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} (النحل: ١٨)، فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عليه مِنْ تَسْخِيرِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنْ الْأَشْجَارِ وَالْحَيَوَانِ وَمَا أَسْبَغَ عليه مِنَ النِّعَمِ الْبَاطِنَةِ مِنْ الْإِيمَانِ وَغَيْرِهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عِنْدَهُ بَاعِثًا وَكَذَلِكَ الْخَوْفُ تُحَرِّكُهُ مُطَالَعَةُ آيَاتِ الْوَعِيدِ وَالزَّجْرِ وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ وَنَحْوِهِ وَكَذَلِكَ الرَّجَاءُ يُحَرِّكُهُ مُطَالَعَةُ الْكَرَمِ وَالْحِلْمِ وَالْعَفْوِ وَمَا وَرَدَ فِي الرَّجَاءِ وَالْكَلَامِ فِي التَّوْحِيدِ وَاسِعٌ. وَإِنَّمَا الْغَرَضُ مَبْلَغُ التَّنْبِيهِ عَلَى تَضَمُّنِهِ الِاسْتِغْنَاءَ بِأَدْنَى إِشَارَةٍ وَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتعالى - أَعْلَم وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وسيأتي إن شاء الله تعالى مزيد بيان لهذه العبادات في شرح كتاب التوحيد، إن يسر الله به.

قال الناظم رحمه الله تعالى:

٩٨. وَرَغْبَةٌ وَرَهْبَةٌ خُشُوعُ	**وَخَشْيَةٌ إِنَابَةٌ خُضُوعُ**
٩٩. وَالِاسْتِعَاذَةُ وَالِاسْتِعَانَهْ	**كَذَا اسْتِغَاثَةٌ بِهِ سُبْحَانَهْ**
١٠٠. وَالذَّبْحُ وَالنَّذْرُ وَغَيْرُ ذَلِكَ	**فَافْهَمْ هُدِيتَ أَوْضَحَ الْمَسَالِكَ**

- **خُضُوعٌ" أَيْ:**

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الْخُضُوعُ وَهُوَ وَالْخُشُوعُ والتذلل بمعنى واحد، وَتَقَدَّمَتِ الْآيَاتُ والأحاديث فيه.

- **الاستعاذة" أَيْ:**

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الِاسْتِعَاذَةُ، وَهِيَ الِامْتِنَاعُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالِالْتِجَاءُ إليه، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} (النحل: ٩٨)، وَقَالَ تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨)} (سورة: المؤمنون)، وَقَالَ تعالى: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عليم} (الأعراف: ٢٠٠)، وَقَالَ عَنْ كَلِيمِهِ مُوسَى عليه السَّلَامُ: {وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ} (غافر: ٢٧)، وَقَالَ تعالى عَنْهُ عليه السَّلَامُ: {وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ} (الدخان: ٢٠)، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَبِسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ

الرَّجِيم. مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ". وَقَالَ:" أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ"، وَقَالَ:" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنْكَ".

- **قال الإمام ابن كثير:**

" وَمِنْ لَطَائِفِ الِاسْتِعَاذَةِ أَنَّهَا طَهَارَةٌ لِلْفَمِ مِمَّا كَانَ يَتَعَاطَاهُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَتَطْيِيبٌ لَهُ وَتَهَيُّؤٌ لِتِلَاوَةِ كَلَامِ اللَّهِ وَهِيَ اسْتِعَانَةٌ بِاللَّهِ وَاعْتِرَافٌ لَهُ بِالْقُدْرَةِ وَلِلْعَبْدِ بِالضَّعْفِ وَالْعَجْزِ عَنْ مُقَاوَمَةِ هَذَا الْعَدُوِّ الْمُبِينِ الْبَاطِنِيِّ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى مَنْعِهِ وَدَفْعِهِ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُ، وَلَا يَقْبَلُ مُصَانَعَةً، وَلَا يُدَارَى بِالْإِحْسَانِ، بِخِلَافِ الْعَدُوِّ مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ فِي ثَلَاثٍ مِنَ الْمَثَانِي، وَقَالَ تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عليهمْ سُلْطَانٌ وَكَفي بِرَبِّكَ وَكِيلًا} (الإسراء: ٦٥)، وَقَدْ نَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمُقَاتَلَةِ الْعَدُوِّ الْبَشَرِيِّ يَوْمَ بَدْرٍ، **وَمَنْ قَتَلَهُ الْعَدُوُّ الْبَشَرِيُّ كَانَ شَهِيدًا، وَمَنْ قَتَلَهُ الْعَدُوُّ الْبَاطِنِيُّ كَانَ طَرِيدًا، وَمَنْ غَلَبَهُ الْعَدُوُّ الظَّاهِرُ كَانَ مَأْجُورًا، وَمَنْ قَهَرَهُ الْعَدُوُّ الْبَاطِنُ كَانَ مَفْتُونًا أَوْ مَوْزُورًا،** وَلَمَّا كَانَ الشَّيْطَانُ يَرَى الْإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُ اسْتَعَاذَ مِنْهُ بِالَّذِي يَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ الشيطان.

فصل: والاستعاذة هِيَ الِالْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ وَالِالْتِصَاقُ بِجَنَابِهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ، وَالْعِيَاذَةُ تَكُونُ لِدَفْعِ الشَّرِّ، وَاللِّيَاذُ يَكُونُ لِطَلَبِ جَلْبِ الْخَيْرِ كَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّي:

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ ... وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّنْ أُحَاذِرُهُ
لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ ... وَلَا يَهِيضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ

- **فَصْلٌ مَعْنَى الِاسْتِعَاذَةِ:**

وَمَعْنَى أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، أَيْ: أَسْتَجِيرُ بِجَنَابِ اللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَنْ يَضُرَّنِي فِي دِينِي أَوْ دُنْيَايَ، أَوْ يَصُدَّنِي عَنْ فِعْلِ مَا أُمِرْتُ بِهِ، أَوْ يَحُثَّنِي عَلَى فِعْلِ مَا نُهِيتُ عَنْهُ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يكفُّه عَنِ الْإِنْسَانِ إِلَّا اللَّهُ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ تعالى بِمُصَانَعَةِ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَمُدَارَاتِهِ بِإِسْدَاءِ الْجَمِيلِ إليه، لِيَرُدَّهُ طَبْعُهُ عمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَذَى، وَأَمَرَ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ شَيْطَانِ الْجِنِّ لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ رَشْوَةً وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ جَمِيلٌ؛ لِأَنَّهُ شِرِّيرٌ بِالطَّبْعِ وَلَا يَكُفُّهُ عَنْكَ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُ، وَهَذَا الْمَعْنَى فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ لَا أَعْلَمُ لَهُنَّ رَابعةً، قَوْلُهُ فِي الأعراف: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} (الأعراف: ١٩٩)، فَهَذَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمُعَامَلَةِ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْبَشَرِ، ثُمَّ قَالَ: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عليم} (الأعراف: ٢٠٠)، وَقَالَ تعالى فِي سورة: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ": {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨)} (سورة: المؤمنون)، وَقَالَ تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العليم (٣٦)} (سورة: فصلت) أ.هـ .

- **تعريف الِاسْتِعَانَة" أَيْ:**

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الِاسْتِعَانَةُ، وَهِيَ طَلَبُ الْعَوْنِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لأن الألف والسين والتاء في اللغة للطلب، فإذا قيل: استعان فمعناه طلب الإعانة، وإذا قيل: استغاث، أي: طلب الغوث. وإذا قيل: استخبر، أي: طلب الخبر.
قَالَ اللَّهُ تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (الفاتحة: ٥). أَيْ: لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ وَلَا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِكَ، وَنَبْرَأُ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ دُونَكَ وَمِنْ عَابِدِيهِ، وَنَبْرَأُ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِكَ، فَلَا حَوْلَ لِأَحَدٍ عَنْ مَعْصِيَتِكَ وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَتِكَ، إِلَّا بِتَوْفِيقِكَ وَمَعُونَتِكَ. وَقَالَ عَنْ نَبِيِّهِ يَعْقُوبَ عليه السَّلَامُ: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} (يوسف: ١٨). وَقَالَ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: {قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} (الأنبياء: ١١٢)، وَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:" إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ" الْحَدِيثَ، وَقَالَ فِيهِ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.
وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وَفِيهِ: "احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ،وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ"، وَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

- **أنواع الاستعانة:**

* **النوع الأول**: الاستعانة بالله، وهي الاستعانة المتضمنة كمال الذل من العبد لربه مع الثقة به والاعتماد عليه، وهذه لا تكون إلا لله فهي تتضمن ثلاثة أشياء:

الأول: الخضوع والتذلل لله تعالى.

الثاني: الثقة بالله جل وعلا.

الثالث: الاعتماد على الله سبحانه وتعالى، وهذه لا تكون إلا لله، فمن استعان بغير الله محققاً هذه المعاني الثلاثة فقد أشرك مع الله غيره.

والعبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل.

وهذا تحقيق معنى قول:[لا حول ولا قوة إلا بالله]، فإن المعنى: لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك إلا بالله تعالى.

* **النوع الثاني**: الاستعانة بالمخلوق على أمر قادر عليه. ومعنى الاستعانة بالمخلوق: أن تطلب منه أن يعينك ويساعدك، وشرط ذلك أن يكون في أمر يقدر عليه، فهذه إن كانت على بر وخير فهي جائزة والمعين مثاب على ذلك لأنه إحسان، قال تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى} (المائدة: ٢)، وإن كانت على إثم فهي حرام، قال تعالى: {وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} (المائدة: ٢).

* **النوع الثالث**: الاستعانة بالأموات أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون عليه فهذا شرك؛ لأنه إذا استعان بالميت أو بحي على أمر بعيد غائب عنه لا يقدر عليه؛ فهذا يدل على أنه يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً في الكون وأن مع الله مدبراً.

* <u>النوع الرابع</u>: الاستعانة بأعمال وأحوال محبوبة شرعاً، فهذا النوع مشروع بدليل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (البقرة: ١٥٣)، فكونك تستعين بالصبر وتستعين بالصلاة على أمورك هذا أمر محبوب.

- **تعريف الاستغاثة:**

كَذَا اسْتِغَاثَةٌ بِهِ سُبْحَانَهُ" أَيْ:

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الِاسْتِغَاثَةُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ طَلَبُ الْغَوْثِ مِنْهُ تعالى، مِنْ جَلْبِ خَيْرٍ أَوْ دَفْعِ شَرٍّ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} (الأنفال: ٩)، وَقَالَ تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} (النمل: ٦٢)، وَقَالَ تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ} (الشورى: ٢٨)، وَمِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ "، وَفِي الطَّبَرَانِيِّ بِإِسْنَادِهِ مِنْ حَدِيثِ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قُومُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ ".

وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الِاسْتِسْقَاءِ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ:" اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا" وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

فهذا استغاثة بالله سبحانه وتعالى.

أما الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين فهذا شرك كما تقدم في الاستعانة. أما الاستغاثة بمخلوق يمكن الغوث به لأنه قادر، فهذا يجوز كما لو هربت من سبع والتجأت إلى شخص آخر يحميك أو هربت من عدو والتجأت إلى شخص آخر يمنعك منه. وقد يكون الالتجاء إلى أمكنة، كأن شجرة أو يدخل في مكان، فمثل هذا لا بأس به.

- **وَالذَّبْحُ" أَيْ:**

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الذَّبْحُ نُسُكًا لِلَّهِ تعالى مِنْ هَدْيٍ وَأُضْحِيَةٍ وَعَقِيقَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} (الكوثر: ٢)، وَقَالَ تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)} (سورة: الأنعام) الْآيَاتِ، وَقَالَ تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عليها صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا} (الحج: ٣٦) الْآيَاتِ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ علي – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ:" لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ ...".

والمراد بالذبح هنا: ذبح القربان والضحايا والهدايا .

<u>**والذبح يقع على وجوه:**</u>

* **الوجه الأول:** يقع عبادة يقصد بها الذابح تعظيم المذبوح له، والتقرب إليه، وهذا لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى، فلو تقرب بالذبح لشخص من سلطان أو غيره لوقع في الشرك. وعلامة ذلك أنه يذبح في وجهه، أي: يريق الدم ساعة حضوره. فهذا معناه التعظيم، ودليل على أنه قصد بهذا التقرب إليه. وكذا لو ذبح للأولياء أو للجن كما يفعله كثير من الجهلة في بعض الجهات فهذا من الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من الملة والعياذة بالله.

* **الوجه الثاني:** وهو الذبح إكراماً للضيف أو لوليمة عرس، فهذا مأمور به في الشرع إما وجوباً أو استحساناً. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:" أولم ولو بشاة"، وفي قصة الأنصاري الذي جاء إليه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فإنه لما ذهب يذبح لهم قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ" فذبح لهم.. فأقره النبي عليه الصلاة والسلام على ذبحه لهم.

* **الوجه الثالث:** أن يكون الذبح للتمتع بالأكل من المذبوح أو الاتجار به فهذا على الأصل في المنافع وهو الإباحة. قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢)} (سورة: يس). فامتن الله علينا بالأكل من هذه الأنعام.

[فائدة، عقدة باب الذبح ونكتته]

والذبح فيه شيئان مهمان، وهما نكتة هذا الباب، وعقدته:

الأول: الذبح باسم الله، أو الذبح بالإهلال باسم ما.

الثاني: أن يذبح متقربا لما يريد أن يتقرب إليه، فإذًا: ثَمَّ التسمية، وثَمَّ القصد، وهما شيئان، أما التسمية، فظاهر: أن ما ذُكر عليه اسم الله فإنه جائز كما قال تعالى: {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ} [الأنعام: ١١٨] [الأنعام: ١١٨] وأن ما لم يذكر اسم الله عليه، فهذا مما أهل لغير الله به كما في قوله تعالى: {وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ} [البقرة: ١٧٣] [البقرة: ١٧٣] وقوله: {وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ} [البقرة: ١٧٣] [المائدة: ٣] .

فالتسمية على الذبيحة من جهة المعنى: استعانة، فإذا سمى الله: فإنه استعان في هذا الذبح بالله – جل وعلا –؛ لأن الباء في قولك: باسم الله، يعني أذبح متبركا، ومستعينا بكل اسم لله – جل وعلا –، أو بالله – جل وعلا – الذي له الأسماء الحسنى، فجهة التسمية إذًا جهة استعانة.

وأما القصد: فهذه جهة عبودية ومقاصد، فمن ذبح باسم الله لله كانت الاستعانة بالله والقصد من الذبح أنه لوجه الله تقربا لله – جل وعلا –، فصارت الأحوال عندنا أربعة:

١ – أن يذبح باسم الله لله، فهذا هو التوحيد.

٢ – أن يذبح باسم الله لغير الله، وهذا شرك في العبادة.

٣ – أن يذبح باسم غير الله لغير الله، وهذا شرك في الاستعانة، وشرك في العبادة أيضا.

٤ – أن يذبح بغير اسم الله ويجعل الذبيحة لله، فهذا شرك في الربوبية.

فإذًا الأحوال عندنا أربعة:

إما أن يكون هناك تسمية بالله مع القصد لله - جل وعلا - وحده، وهذا هو التوحيد، وهو العبادة، فالواجب أن يذبح لله: قصدا تقربا، وأن يسمي الله - جل وعلا - على الذبيحة، فإن لم يسم الله - جل وعلا - وترك التسمية عمدا فإن الذبيحة لا تحل، وإن لم يقصد بالذبيحة التقرب إلى الله - جل وعلا - ولا التقرب لغيره، وإنما ذبحها لأجل أضياف عنده أو لأجل أن يأكلها، يعني: ذبحها لقصد اللحم، ولم يقصد بها التقرب: فهذا جائز، وهو من المأذون فيه؛ لأن الذبح لا يُشترط فيه أن ينوي الذابح التقرب بالذبيحة إلى الله - جل وعلا -.

فالحاصل من الحالة الأولى: أن ذكر اسم الله على الذبيحة واجب، وأن يكون قصد الذابح بها: التقرب إلى الله - إن كان قد نوى بها تقربا - وهذا مثل ما يذبح من الأضاحي، أو يذبح من الهدي ذلك مما يذبحه المرء تعظيما لله - جل وعلا - مما أمر به شرعا، فهذا الذي تذبحه لله: تقصد التقرب به إليه - سبحانه -، فهذا من العبادات العظيمة التي يحبها الله - جل وعلا - وهي عبادة النحر والذبح.

لكن قد يذبح المرء باسم الله، ولكن يقول: أريدها للأضياف، أو أريدها للحم ويعني للأكل، ولم أتقرب بها لغير الله، وأيضا لم أتقرب بها لله، فنقول: هذه الحالة جائزة؛ لأنه سمى وقال باسم الله، ولم يذبح لغير الله، فليس داخلا في الوعيد، ولا في النهي، بل ذلك من المأذون فيه.

الحالة الثانية: أن يذبح باسم الله، ويقصد بذلك التقرب لغير الله، فيقول مثلا: باسم الله، وينحر الدم، وهو ينوي بإزهاق النفس، وبإراقة الدم التقرب لهذا العظيم المدفون، أو لهذا النبي، أو لهذا الصالح، فهذا وإن ذكر اسم الله فإن الشرك حاصل من جهة أنه أراق الدم تعظيما للمدفون، وتعظيما لغير الله، ويدخل في ذلك أيضا: أن يذكر اسم الله على الذبيحة، أو على المنحور، ويكون قصده بالذبح أن يتقرب به للسلطان، أو للملك، أو لأمير ما، كما يحدث عند بعض البادية، وكذلك بعض الحضر إذا أرادوا أن يعظموا ملكا قادما، أو أميرا، أو سلطانا، أو شيخ قبيلة، فإنهم يستقبلونه بالجمال، أو بالبقر، أو بالشياه، ويذبحونها في وجهه، فيسيل الدم عند إقباله، فهذا الذبح وإن سمى الله عليه، فإن الذبيحة قصد بها غير الله - جل وعلا - ولذا أفتى العلماء بتحريمها؛ لأن إراقة دم لغير الله - جل وعلا - فلا يجوز أكلها ومن باب أولى قبل ذلك لا يجوز تعظيم أولئك بمثل هذا التعظيم؛ لأن إراقة الدم إنما يعظم به الله - جل وعلا - وحده؛ لأنه سبحانه هو الذي يستحق العبادة والتعظيم بهذه الأشياء وحده، فهو الذي أجرى الدماء في العروق سبحانه وتعالى.

الحالة الثالثة: أن يذكر غير اسم الله على الذبيحة، وأن يقصد بها غير الله - جل وعلا - فيقول مثلا: باسم المسيح، ويحرك يده، ويقصد بها التقرب للمسيح، فهذا الذبح جمع شركا في الاستعانة، وشركا في العبادة، ومثله: الذين يذبحون باسم البدوي، أو باسم الحسين، أو باسم السيدة زينب، أو باسم العيدروس، أو باسم الميرغياني، أو غيرهم من الذين توجه إليهم بعض الخلق بالعبادة، فيذبح باسمهم ويقصد بذبحه هذا المخلوق؛ وينوي حين ذبح أن يريق الدم تقربا لهذا المخلوق. فهذا الشرك جاء من جهتين:

الجهة الأولى: جهة الاستعانة.

والجهة الثانية: جهة العبودية والتعظيم، وإراقة الدم لغير الله - جل وعلا -.

والحالة الرابعة: أن يذبح باسم غير الله ويجعل ذلك لله - جل وعلا - وهذا نادر الوقوع وربما يحصل، كمن يذبحون لمعظميهم: كالبدوي، أو العيدروس، أو الشيخ عبد القادر، أو غيرهم. فينوون بذلك الذبح التقرب إلى الله - جل وعلا -، وهذا في الحقيقة راجع إلى الشرك في الاستعانة، والشرك في العبادة.

- **وَالنَّذْرُ" أَيْ**: وَمِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ النَّذْرُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلّ وهو ما يوجبه الإنسان على نفسهَ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتعالى:

{ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ} (الحج: ٢٩)، وَقَالَ تعالى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} (الإنسان: ٧)، وَقَالَ تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} (البقرة: ٢٧٠). وَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- قَالَ:" مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ ".

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ عُمَرَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي نَذَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ أَعْتَكِفَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قَالَ:" أَوْفِ بِنَذْرِكَ" وَهُوَ فِي الصَّحِيحِ أَيْضًا، وَلَعَلَّهُ هُوَ النَّذْرُ الَّذِي فِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهْ مُبْهَمًا فَسَّرَتْهُ رِوَايَةُ الصَّحِيحِ، وَفِي حَدِيثِ الرَّجُلِ الَّذِي سَأَلَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أُخْتِي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ وَإِنَّهَا مَاتَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "لَوْ كَانَ عليها دِينٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ"؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ:" فَاقْضِ اللَّهَ؛ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ" وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَحَادِيثِ الْأَمْرِ بِوَفَاءِ النَّذْرِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ.

- **والنذر نوعان:**

١. مطلق: وهو الذي يحبه الله وليس في مقابله شيء، مثل = من نذر أن يخرج مالًا لله كل شهر.

٢. معلق: وهو تعليق النذر على سبب، مثل = لو نجحت سوف أتصدق.

والأول: مستحب، والثاني: مكروه.

- **وَمِنْ شَرْطِ النَّذْرِ لِلَّهِ تعالى:**

١. أَنْ يَكُونَ طَاعَةً:

لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا فِي قَطِيعَةِ رَحِمٍ" الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُد.

٢.وَأَنْ يَكُونَ مِمَّا يُطِيقُهُ الْعَبْدُ:

لِحَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: نَذَرَتْ أُخْتِي أَنْ تَمْشِيَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أَسْتَفْتِيَ لَهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَاسْتَفْتَيْتُهُ فَقَالَ:" لِتَمْشِ وَلْتَرْكَبْ " مُتَّفَقٌ عليه.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا النبي - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- يخطب إذا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ فَلَا يَقْعُدُ وَلَا يَسْتَظِلَّ وَلَا يَتَكَلَّمَ وَيَصُومَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ " فَأَمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ بِتَرْكِ مَا لم يكن مطيقه و لم يَكُنْ مَشْرُوعًا، وَأَمَرَهُ بِإِتْمَامِ الصَّوْمِ لِكَوْنِهِ يُطِيقُهُ وَلِكَوْنِهِ مَشْرُوعًا.

٣. وَأَنْ يَكُونَ فِيمَا يَمْلِكُ:

لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ " رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

٤. وَأَنْ لَا يَكُونَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ يُعْبَدُ فِيهِ غَيْرُ اللَّهِ تعالى أَوْ ذَرِيعَةً إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ تعالى:

لِحَدِيثِ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلًا بِبُوَانَةَ، فَقَالَ:" كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ "؟ فَقَالُوا: لَا قَالَ:" فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ "؟ قَالُوا: لَا قَالَ:" أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ " رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

٥. وَلِمَنْ كَانَ مُعَلِّقًا نَذْرَهُ بِحُصُولِ شَيْءٍ فَلَا يَعْتَقِدُ النَّاذِرُ تَأْثِيرَ النَّذْرِ فِي حُصُولِهِ.

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قَالَ:" إِنَّ النَّذْرَ لَا يُقَدِّمُ شَيْئًا وَلَا يُؤَخِّرُهُ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِالنَّذْرِ مِنَ الْبَخِيلِ" وَهُوَ فِي الصَّحِيحِ. وَفِيهِ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ عَنِ النَّذْرِ وَقَالَ:" إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَلَكِنَّهُ يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ ".

وَفِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" لَا يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ، وَلَكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ إِلَى الْقَدَرِ قَدْ قُدِّرَ لَهُ، فَيَسْتَخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ، فَيُؤْتِي عليه مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتِي عليه مِنْ قَبْلُ ".

قال رحمه الله تعالى:

١٠١. وَصَرْفُ بَعْضِهَا لِغَيْرِ اللَّهِ   شِرْكٌ، وَذَاكَ أَقْبَحُ الْمَنَاهِي

أي: صرف شيء من العبادة قَلَّ أَوْ كَثُرَ لِغَيْرِ اللَّهِ كَائِنًا مَنْ كان من ملك أو نبي أو وَلِيٍّ أَوْ قَبْرٍ أَوْ جِنِّيٍّ أَوْ شَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ غَيْرِهِ كُلُّ ذَلِكَ شِرْكٌ أكبر وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى، وبيان الشرك الأصغر كذلك فيما تبقى من هذا الجزء من الكتاب.

فَصْلٌ:

فِي بَيَانِ ضِدِّ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ الشِّرْكُ،وَأَنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: أَصْغَرَ وَأَكْبَرَ، وَبَيَانِ كُلٍّ مِنْهُمَا.

قال رحمه الله:

١٠٢. وَالشِّرْكُ نَوْعَانِ: ((فَشِرْكٌ أَكْبَرُ))   بِهِ خُلُودُ النَّارِ إِذْ لاَ يُغْفَرُ

١٠٣. وَهُوَ اتِّخَاذُ الْعَبْدِ غَيْرَ اللَّهِ   نِدًّا بِهِ مُسَوِّياً مُضَاهِي

- **نبذة مختصرة، عن ظهور الشرك، وبعض أسبابه:**

كان ذلك في قوم نوح وذلك أن الشيطان منذ أن خلق الله آدم وأمر إبليس بالسجود له فأبى وأهبطه الله إلى الأرض وهو قد أضمر العداوة لآدم وذريته بدءاً بتحريضهم على الأكل من الشجرة ومخالفة أمر الله ثم في تحريشه بين أبناء آدم الذين كانوا أمة واحدة حتى ألقى بينهم الخلاف، كل ذلك تنفيذاً لمقالته إذ ذاك {فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)} (سورة: ص)، ثم كان شر عمل عمله إيقاعه لهم في الشرك، وبيان ذلك ما رواه

الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قَالَ فِي وَدٍّ وَسُوَاعٍ وَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرٍ: هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ أَنْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ، حتى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتُنُوسِيَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ. اهـ فَلَوْ جَاءَهُمُ اللَّعِينُ وَأَمَرَهُمْ مِنْ أَوَّلِ مَرَّةٍ بِعِبَادَتِهِمْ لم يقبلوا و لم يطيعوا، بَلْ أَمَرَ الْأَوَّلِينَ بِنَصْبِ الصُّوَرِ لِتَكُونَ ذَرِيعَةً لِلصَّلَاةِ عِنْدَهَا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ، ثُمَّ تَكُونَ عِبَادَةُ الله عندها ذريعة لعبادتها ممن يخالفهم.

- **أول من دعا العرب إلى عبادة الأصنام في الجزيرة العربية:**

هو عمرو بن لحي، وبيان ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الْكَلْبِيُّ حَيْثُ قَالَ: وَكَانَ عمرو بن لُحَيّ كَاهِنًا وَلَهُ رَئِيٌّ مِنَ الْجِنِّ فَقَالَ لَهُ: عجل السير والظعن مِنْ تِهَامَةَ، بالسَّعْدِ وَالسَّلَامَةِ، إِئْتِ جُدَّةَ، تَجِدْ فِيهَا أَصْنَامًا مُعَدَّةً، فَأَوْرِدْهَا تِهَامَةَ وَلَا تَهَبْ، ثُمَّ ادْعُ الْعَرَبَ إِلَى عِبَادَتِهَا تُجَبْ. فَأَتَى نهر جدة فاستشارها ثُمَّ حَمَلَهَا حتى وَرَدَ تِهَامَةَ وَحَضَرَ الْحَجَّ فَدَعَا الْعَرَبَ إِلَى عِبَادَتِهَا قَاطِبَةً فَأَجَابَهُ عَوْفُ بْنُ عَذْنِ بْنِ زَيْدِ اللَّاتِ فَدَفَعَ إليه وداً فحمله. وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ:" رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ الْخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ" وَفِي لَفْظٍ:" وَغَيَّرَ دين إبراهيم ".

ومن وقتها انتشرت عبادة الأصنام بين العرب. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَاتَّخَذَ أَهْلُ كُلِّ دَارٍ فِي دَارِهِمْ صَنَمًا يَعْبُدُونَهُ فَإِذَا أَرَادَ رَجُلٌ مِنْهُمْ سَفَرًا تَمَسَّحَ بِهِ فَيَكُونُ آخِرَ عَهْدِهِ وَأَوَّلَ عَهْدِهِ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – بِالتَّوْحِيدِ قَالَتْ قُرَيْشٌ: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} (ص: ٥) وَكَانَتِ الْعَرَبُ قَدِ اتَّخَذَتْ مَعَ الْكَعْبَةِ طَوَاغِيتَ، وَهِيَ بُيُوتٌ تُعَظِّمُهَا كَتَعْظِيمِ الْكَعْبَةِ، لَهَا سَدَنَةٌ وَحُجَّابٌ وَيُهْدَى لَهَا كَمَا يُهْدَى لِلْكَعْبَةِ وَيُطَافُ بها كَمَا يُطَافُ بِالْكَعْبَةِ وَيُنْحَرُ عِنْدَهَا كَمَا يُنْحَرُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا سَافَرَ فَنَزَلَ مَنْزِلًا أَخَذَ أَرْبَعَةَ أَحْجَارٍ فَنَظَرَ إِلَى أَحْسَنِهَا فَاتَّخَذَهُ رَبًّا وَجَعَلَ الثَّلَاثَةَ أَثَافِيَّ لِقِدْرِهِ فَإِذَا ارْتَحَلَ تَرَكَهُ فَإِذَا نَزَلَ مَنْزِلًا آخَرَ فعل مثل ذلك.

- **أَسْبَابُ تَلَاعُبِ الشَّيْطَانِ بِالْمُشْرِكِينَ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ:**

١. طائفة دَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَتِهَا مِنْ جِهَةِ تَعْظِيمِ الْمَوْتَى الَّذِينَ صَوَّرُوا تِلْكَ الْأَصْنَامَ عَلَى صُوَرِهِمْ كَمَا تقدم عن قوم نوح عليه السلام.

٢. وطائفة أخرى اتخذت القمر صَنَمًا وَزَعَمُوا أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ التَّعْظِيمَ وَالْعِبَادَةَ، وَإليه تدبير هذا العلم السفلي.

٣. الْغُلُوُّ فِي الْمَخْلُوقِ وَإِعْطَاؤُهُ فَوْقَ مَنْزِلَتِهِ حتى جَعَلُوا فِيهِ حَظًّا مِنَ الْإِلَهِيَّةِ وَشَبَّهُوهُ بِاللَّهِ تعالى.

قال العلامة المعلمي رحمه الله: من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل، ومن أمضى أسلحته أن يرمي الغالي كل من يحاول رده إلى الحق ببغض أولئك الأفاضل ومعاداتهم.

١٠٢. وَالشِّرْكُ نَوْعَانِ: ((فَشِرْكٌ أَكْبَرُ))	**بِهِ خُلُودُ النَّارِ إِذْ لَا يُغْفَرُ**
١٠٣. وَهُوَ اتِّخَاذُ الْعَبْدِ غَيْرَ اللَّهِ	**نِدًّا بِهِ مُسَوِّيًا مُضَاهِي**

"وَالشِّرْكُ" الَّذِي هُوَ ضِدُّ التَّوْحِيدِ "نَوْعَانِ" أَيْ: يَنْقَسِمُ إِلَى نَوْعَيْنِ:

"فَشِرْكٌ أَكْبَرُ" يُنَافِي التَّوْحِيدَ بِالْكُلِّيَّةِ وَيُخْرِجُ صَاحِبَهُ مِنَ الْإِسْلَامِ "بِهِ خُلُودُ" فَاعِلِهِ فِي "النَّارِ" أَبَدًا "إِذْ" تعليل لِأَبَدِيَّةِ الْخُلُودِ أَيْ: لِكَوْنِهِ "لَا يُغْفَرُ" قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} (النساء: ٤٨)، وَقَالَ تعالى: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} (النساء:

١١٦)، وَقَالَ تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عليه الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} (المائدة: ٧٢).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ– رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: "مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ".

وعَنْهُ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ– يَقُولُ:" مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ".

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ– يَقُولُ:" مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، دَخَلَ النَّارَ" وَقُلْتُ أَنَا: وَمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، دَخَلَ الْجَنَّةَ.

- **التَّعْرِيفُ بالشِّرْكِ:**

"وَهُوَ" أَي: الشِّرْكُ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي الْمَتْنِ وَذِكْرُ النُّصُوصِ فِيهِ فِي الشَّرْحِ "اتِّخَاذُ الْعَبْدِ غَيْرَ اللَّهِ" مِنْ نَبِيٍّ أَوْ وَلِيٍّ أَوْ مَلَكٍ أَوْ قَبْرٍ أَوْ جِنِّيٍّ أَوْ شَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ حَيَوَانٍ أَوْ نَارٍ أَوْ شَمْسٍ أَوْ قَمَرٍ أَوْ كَوْكَبٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

"نِدًّا" مِنْ دُونِ اللَّهِ "مُسَوِّيًا بِهِ" اللَّهَ يُحِبُّهُ كَحُبِّ اللَّهِ وَيَخَافُهُ وَيَخْشَاهُ كَخَشْيَةِ اللَّهِ وَيَتَّبِعُهُ عَلَى غَيْرِ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَيُطِيعُهُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَيُشْرِكُهُ فِي عبادة الله "مضاهي" بِهِ اللَّهَ قَالَ اللَّهُ تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} (البقرة: ١٦٥)

١٠٤. يَقْصُدُهُ عِنْدَ نُزُولِ الضُّرِّ	لِجَلْبِ خَيْرٍ أَوْ لِدَفْعِ الشَّرِّ
١٠٥. أَوْ عِنْدَ أَيِّ غَرَضٍ لاَ يَقْدِرُ	عَلَيْهِ: إلاَّ الْمَالِكُ الْمُقْتَدِرُ
١٠٦. مَعْ جَعْلِهِ لِذَلِكَ الْمَدْعُوِّ	أَوِ الْمُعَظَّمِ أَوِ الْمَرْجُوِّ:
١٠٧ فِي الْغَيْبِ سُلْطَاناً بِهِ يَطَّلِعُ	عَلَى ضَمِيرِ مَنْ إِلَيْهِ يَفْزَعُ

"يَقْصِدُهُ" أَي: الْمُتَّخِذُ ذَلِكَ النِّدِّ مِنْ دُونِ اللَّهِ، يَقْصِدُ نِدَّهُ "عِنْدَ نُزُولِ الضُّرِّ" بِهِ مِنْ خَيْرٍ فَاتَهُ أَوْ شَرٍّ دَهَمَهُ "لِجَلْبِ خَيْرٍ" لَهُ أَوْ "لِدَفْعِ الشَّرِّ" عَنْهُ "أَوْ عِنْدَ" احْتِيَاجِ "أَيِّ غَرَضٍ" مِنَ الْأَغْرَاضِ وَالْحَالُ أَنَّهُ "لَا يَقْدِرُ عليه" أَيْ: عَلَى ذَلِكَ الْغَرَضِ "إِلَّا الْمَالِكُ الْمُقْتَدِرُ" وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وتعالى "مَعَ جَعْلِهِ" أَيِ الْعَبْدِ "لِذَلِكَ الْمَدْعُوِّ أَوِ الْمُعَظَّمِ أَوِ الْمَرْجُوِّ" مِنْ مَلَكٍ أَوْ نَبِيٍّ أَوْ وَلِيٍّ أَوْ قَبْرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ كَوْكَبٍ أَوْ جِنِّيٍّ "فِي الْغَيْبِ سُلْطَانًا" أَيْ: يَعْتَقِدُ أَنَّ لَهُ سُلْطَانًا غَيْبِيًّا فَوْقَ طَوْقِ الْبَشَرِ "بِهِ يَطَّلِعُ" أَيْ بِذَلِكَ السُّلْطَانِ الَّذِي اعْتَقَدَهُ فِيهِ "عَلَى ضَمِيرِ مَنْ إِليه" إِلَى ذَلِكَ النِّدِّ "يَفْزَعُ" فِي قَضَاءِ أَيِّ حَاجَةٍ؛ مِنْ شِفَاءِ مَرِيضٍ أَوْ رَدِّ غَائِبٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَيَرَى أَنَّهُ يَسْمَعُهُ إِذَا دَعَاهُ وَيَرَى مَكَانَهُ وَيَعْلَمُ حَاجَتَهُ وَيَقْضِيهَا بِقُدْرَةٍ اعْتَقَدَهَا فِيهِ مَعَ اللَّهِ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ يُثْبِتُ لَهُ مِنْ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ مَا يَرْفَعُهُ عَنْ دَرَجَةِ الْعُبُودِيَّةِ إِلَى دَرَجَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَيَجْعَلُهُ مُسْتَحِقًّا الْعِبَادَةَ مَعَ اللَّهِ.

وَمِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ الشِّرْكَ فِي الْأُلُوهِيَّةِ يَسْتَلْزِمُ الشِّرْكَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَلَا بُدَّ، وَيَتَبَيَّنُ لَكَ عِظَمُ ذَنْبِ الشِّرْكِ وَأَنَّهُ أَقْبَحُ الذُّنُوبِ وَأَظْلَمُ الظُّلْمِ وَأَكْبَرُ الْكَبَائِرِ، وَأَنَّ اللَّهَ تعالى لَا يَغْفِرُهُ وَلَا يَقْبَلُ لِأَحَدٍ مَعَهُ عَمَلًا وَأَنَّهُ لَا أَشَدَّ هَلَكَةً مِنْهُ، وَمَا أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ إِلَّا بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَمَا هَلَكَتِ الْأُمَمُ الْغَابِرَةُ

وَأُعِدَّتْ لَهُمُ النِّيرَانُ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بِالشِّرْكِ وَالْإِبَاءِ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَلَا نَجَا الرُّسُلُ وَأَتْبَاعُهُمْ مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ إِلَّا بِالْتِزَامِ التَّوْحِيدِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ، فَمَا هَلَكَ قَوْمُ نُوحٍ بِالطُّوفَانِ وَلَا عَادٌ بِالرِّيحِ الْعَظِيمِ وَلَا ثَمُودُ بِالصَّيْحَةِ وَلَا أَهْلُ مَدْيَنَ بِعَذَابِ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِلَّا بِالشِّرْكِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، وَهَكَذَا الْأُمَمُ مِنْ بَعْدِهِمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، وَلَمْ يَخْرُجْ عُصَاةُ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ وَلَمْ يُخَلَّدْ غَيْرُهُمْ فِيهَا أَبَدًا مُؤَبَّدًا إِلَّا بِالشِّرْكِ.

- **الشرك الأكبر، أربعة أنواع:**

١. شرك الدعاء: وهو أن يضرع إلى غير الله تعالى من نبي أو ملك أو ولي بقربة من القرب – صلاة أو استغاثة أو استعانة– أو يدعو ميتاً أو غائباً أو نحو ذلك مما هو من اختصاص الله تعالى. والدليل قوله تعالى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} (العنكبوت: ٦٥).

٢. شرك النية والإرادة والقصد: بأن يأتي بأصل العبادة رياء أو لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها. والدليل قوله تعالى: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)} (هود).
قال ابن القيم رحمه الله:" أما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئاً غير التقرب إليه، وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته... ".
واعتبار شرك النية والقصد من الشرك الأكبر محمول على ما ذكرنا، وهو أن يأتي بأصل العمل رياء أو لأجل الدنيا، ولم يكن مريداً وجه الله تعالى والدار والآخرة. وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن. فإن المؤمن وإن كان ضعيف الإيمان لابد أن يريد الله والدار والآخرة. لكن إن تساوى القصدان أو تقاربا فهذا نقص في الإيمان والتوحيد. وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص. وإن عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصاً تاماً وأخذ عليه جعلاً معلوماً يستعين به على العمل والدين فهذا لا يضر؛ لأن الله تعالى جعل في الأموال الشرعية كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءاً كبيراً يصرف في مصالح المسلمين.

٣. شرك الطاعة: وهو أن يتخذ له مشرعاً سوى الله تعالى، أو يتخذ شريكاً لله تعالى في التشريع، فيرضى بحكمه، ويدين به في التحليل والتحريم عبادة وتقرباً وقضاءً وفصلاً في الخصومات. والدليل قوله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (التوبة: ٣١)، ولما سمع عدي بن حاتم رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية قال: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ:" أليسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيَحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟" قال: فقلت: بَلَى، قَالَ:" فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ ".

٤. شرك المحبة: وهو اتخاذ الأنداد من الخلق يحبهم كحب الله تعالى؛ فيقدم طاعتهم على طاعته ويلهج بذكرهم ودعائهم. والدليل قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} (البقرة: ١٦٥).

- **قال ابن القيم رحمه الله:** وهاهنا أربعة أنواع من المحبة يجب التفريق بينها، وإنما ضل من ضل بعدم التمييز بينها:

أحدها: محبة الله. ولا تكفي وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، فإن المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله.

الثاني: محبة ما يحبه الله. وهذه هي التي تدخله في الإسلام وتخرجه من الكفر، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها.

الثالث: الحب لله وفيه، وهي من لوازم محبة ما يحبه الله. ولا يستقيم محبة ما يحبه الله إلا بالحب فيه وله.

الرابع: المحبة مع الله. وهي المحبة الشركية، وكل من أحب شيئاً مع الله، لا لله ولا من أجله، ولا فيه، فقد اتخذه نداً من دون الله، وهذه محبة المشركين".

- **أقسام ما عبد من دون الله عز وجل:**

ما عبد من دون الله عز وجل:

١. إما عاقل.
٢. وإما غير عاقل:

فالعاقل مثل: عيسي عليه السلام، والملائكة، ومثل بوذا، وغير العاقل مثل الشمس والشجر والحجر والقمر إلى آخره.

- **ومن عبد من دون الله عز وجل وهو عاقل ينقسمون إلى قسمين أيضًا:**

١. إما راض بالعبادة.
٢. وإما غير راض بها.

فالقسم الْأَوَّلُ: كَفِرْعَوْنَ وَإِبْلِيسَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الطَّوَاغِيتِ، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ مَعَ عَابِدِيهِمْ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عليهمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧)} (سورة: البقرة)، وَقَالَ تعالى فِي شَأْنِ إِبْلِيسَ: {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} (ص: ٨٥)، وَقَالَ فِي شَأْنِ فِرْعَوْنَ: {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ} (هود: ٩٨)، وَقَالَ تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ} (فصلت: ٢٩).

وَالْقسمُ الثَّانِي: وَهُوَ مَنْ كَانَ مُطِيعًا لِلَّهِ وَغَيْرَ رَاضٍ بِالْعِبَادَةِ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَعِيسَى وَمَرْيَمَ وَعُزَيْرٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ، فَهُمْ بُرَآءُ مِمَّنْ عَبَدَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تعالى عَنْ عِيسَى عليه السَّلَامُ: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} (المائدة: ١١٦).

وَقَالَ تعالى فِي شَأْنِ الْمَلَائِكَةِ: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١)} (سورة: سبأ)، وَقَالَ تعالى فِي

شَأْنِ كُلِّ مَنْ عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تعالى مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَعِيسَى وَأُمِّهِ وَعُزَيْرٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مُطْلَقًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حتى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨) فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا (١٩)} (سورة: الفرقان).

- وَأَمَّا غَيْرُ الْعَاقِلِ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ وَغَيْرِهَا مِمَّا لَا يَعْقِلُ فَيَشْمَلُهَا قَوْلُهُ تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩)} (سورة: الأنبياء)، وَلَكِنَّ الْأَحْجَارَ لَا أَرْوَاحَ فِيهَا وَإِنَّمَا يُعَذَّبُ بِهَا مَنْ عَبَدَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَمَا قَالَ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} (التحريم: ٦).

وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ فِي الشَّفَاعَةِ بطُولِهِ وَفِيهِ:" يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ؛ فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ ".

وَفِيهِ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:" يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ؛ فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ" الحديث.

ثم قال رحمه الله تعالى:

١٠٨. وَالثَّانِ: ((شِرْكٌ أَصْغَرُ)) وَهُوَ الرِّيَا فَسَّرَهُ بِهِ خِتَامُ الْأَنْبِيَا

- **تعريف الشرك الأصغر** هو: كل ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر، أو كل ما أطلق الشارع عليه كفرا وليس بكفر مخرج من الملة، أو: كل ما أطلق عليه في الشرع أنه شرك وليس بمخرج من الملة.

- أَمَّا الرِّيَاءُ: فَقِيلَ هُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الرُّؤْيَةِ، وَالْمُرَادُ بِهِ إِظْهَارُ الْعِبَادَةِ لِقَصْدِ رُؤْيَةِ النَّاسِ لَهَا فَيُحْمَدُ عليها.

عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قَالَ:" إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عليكم الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ" قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:" الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً "؟.

- **الرياء نوعان:**

١. رياء أكبر.
٢. رياء أصغر.

والرياء الأكبر هو المخرج من الملة الذي هو النفاق الأكبر، وهذا صاحبه لم يدخل أصلا في الإسلام، لأنه دخل في أصل الدين رياء وسمعه فهذا كافر كفرا أكبر، وهم المنافقون قال الله تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} (النساء: ١٤٢).

وهناك الرياء الأصغر وهو يسير الرياء، مثل:أن يقوم الرجل يزين صلاته لما يري من نظر الرجل إليه، فهذا لم يخرج من الملة، لكنه والعياذ بالله قد أحبط عمل صاحبه.

- **فوائد:**

١. إذا جاء الشيطان إلى الإنسان يريد أن يلبس عليه وأنه يعمل العمل رياء، يدافعه قدر الإمكان، وإذا دافعه الإنسان قدر الإمكان فلا شئ عليه.

٢. أما إذا كان العمل في أصله لله ودخل عليه الرياء فيدافعه قدر الإمكان ولا يترك العمل.

٣. يقول الفضيل بن عياض رحمه الله: إن ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك قال: فلو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس والاحتراز من تطرق ظنوهم الباطلة لانسد عليه أكثر أبواب الخير. انتهى كلامه.

- ولهذا ينبغي للمسلم البعد عن الرياء والحذر من الوقوع فيه، وهناك أمور تعين على البعد عنه،ومن أهمها:

١. تقوية الإيمان في القلب، ليعظم رجاء العبد لربه، ويعرض عمن سواه، ولأن قوة الإيمان في القلب من أعظم الأسباب التي يعصم الله بها العبد من وساوس الشيطان، ومن الانقياد لشهوات النفس.

٢. التزود من العلم الشرعي، وبالأخص علم العقيدة الإسلامية، ليكون ذلك حرزاً له بإذن الله من فتن الشبهات، وليعرف عظمة ربه جل وعلا، وضعف المخلوقين وفقرهم، فيحمله ذلك كله على مقت الرياء واحتقاره والبعد عنه، وليعرف أيضاً مداخل الشيطان ووساوسه، فيحذرها.

٣. الإكثار من الالتجاء إلى الله تعالى ودعائه أنه يعيذه من شر نفسه ومن شرور الشيطان ووساوسه، وأن يرزقه الإخلاص فيما يأتي وما يذر، والإكثار من الأذكار الشرعية التي هي حصن من شرور النفس والشيطان.

٤. تذكر العقوبات الأخروية العظيمة التي تحصل للمرائي، ومن أعظمها أنه من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة.

٥. التفكُّر في حقارة المرائي وأنه من السفهاء والسَّفَلة؛ لأنه يضيع ثواب عمله الذي هو سبب لفوزه بالجنة ونجاته من عذاب القبر وشدة القيامة وعذاب النار من أجل مدح الناس والحصول على منزلة عند المخلوقين، فهو يبحث عن رضا المخلوق بمعصية الخالق، ولهذا لما سُئل الإمام مالك رحمه الله: مَنِ السَّفَلة؟ قال: "من أكل بدينه".

٦. الحرص على كل ما هو سبب في عدم الوقوع في الرياء، وذلك بالحرص على إخفاء العبادات المستحبة، وبمدافعة الرياء عندما يخطر بالقلب، وبالبعد عن مجالسة المدّاحين وأهل الرياء، ونحو ذلك.

قال رحمه الله:

١٠٩. وَمِنْهُ: إِقْسَامٌ بِغَيْرِ الْبَارِي ... كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الأَخْبَارِ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَقَالَ:" أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ"، وفي الحديث:" مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ"، وفي رواية: " مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كفر وكفارته أن يقول لا إله إلا الله"

وهذا الحديث فيه نظر، فبعض أهل العلم يصححه وبعضهم يضعفه، وعلى ضعف الحديث فقد استدل من قال بأن الحلف شرك بأنه تعظيم لغير الله عز وجل، وقال بعض أهل العلم أن الحلف بغير الله محرمٌ وليس شركًا أصغر .

ومن الشرك الأصغر قول:" ما شاء الله وشئت" عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ فَقَالَ:" أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟! مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ"، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قَالَ:" لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ".

لكن الصواب أن يقال: ما شاء الله ثم شئت، فالفرق بَيْنَ الْوَاوِ وَثُمَّ أَنَّهُ إِذَا عَطَفَ بِالْوَاوِ كَانَ مُضَاهِيًا مَشِيئَةَ اللَّهِ بِمَشِيئَةِ الْعَبْدِ إِذْ قَرَنَ بَيْنَهُمَا، وَإِذَا عَطَفَ بِثُمَّ فَقَدْ جَعَلَ مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله كَمَا قَالَ تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} (الإنسان: ٣٠).

- **الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:**

بين الشرك الأكبر والأصغر فروق عديدة، أهمها ما يلي:

١ - أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه إلا بالتوبة، وأما الأصغر فتحت المشيئة.

٢ - أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

٣ - أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الشرك الأصغر فلا يخرجه منها.

٤ - أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار ومحرمة عليه الجنة، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب.

فَصْلٌ:

فِي بَيَانِ أُمُورٍ يَفعَلُهَا العَامَّةُ؛ مِنْهَا مَا هُوَ شِرْكٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ، وَبَيَانِ حُكْمِ الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ.

- **التوحيد يُعرف حسنه بمعرفة قبح الشرك.**

وما يضاد التوحيد منه: ما يضاد أصله، وهو الشرك الأكبر الذي إذا أتى به المكلف فإنه ينقض توحيده، ويكون مشركا شركا أكبر مخرجا من الملة، فمثل هذا يقال فيه: أنه قد أتى بما ينافي التوحيد، أو ينافي أصل التوحيد.

والثاني: ما ينافي كمال التوحيد الواجب، وهو: ما كان حاصلا من جهة الشرك الأصغر، فإنه ينافي كماله الواجب، فإذا أتى بشيء منه، فقد نافى بذلك كمال التوحيد؛ لأن كمال التوحيد إنما يكون بالتخلص من أنواع الشرك جميعا، وكذلك الرياء فإنه من أفراد الشرك الأصغر أعني: يسير الرياء، وهو ينافي كمال التوحيد.

ومنها أشياء يقول العلماء عنها: إنها نوع شرك، فيعبرون عن بعض المسائل من الشركيات بأنها نوع شرك أو نوع تشريك **فصارت ألفاظهم - عندنا - في هذا الباب أربعة:**

الأول: الشرك الأكبر.

الثاني: الشرك الأصغر.

الثالث: الشرك الخفي.

الرابع: قولهم في بعض المسائل: فيها نوع شرك، أو نوع تشريك، وذلك مثل ما في قوله جل وعلا: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} (النحل: ٨٣)، وفي نحو قوله: {أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ} (الأعراف: ١٩١)، وهذا يدخل في باب الطاعة.

قال رحمه الله:

١١٠. وَمَنْ يَثِقْ بِوَدْعَةٍ أَوْ نَابِ ... أَوْ حَلْقَةٍ أَوْ أَعْيُنِ الذِّئَابِ
١١١. أَوْ خَيْطٍ أَوْ عُضْوٍ مِنَ النُّسُورِ ... أَوْ وَتَرٍ أَوْ تُرْبَةِ الْقُبُورِ
١١٢. لأَيِّ أَمْرٍ كَائِنٍ تَعَلَّقَهْ: ... وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَا عَلَّقَهْ
١١٣. ثُمَّ الرُّقَى مِنْ حُمَةٍ أَوْ عَيْنِ ... فَإِنْ تَكُنْ مِنْ خَالِصِ الوَحْيَيْنِ:
١١٤. فَذَاكَ مِنْ هَدْيِ «النَّبِيِّ» وَشِرْعَتِهِ ... وَذَاكَ لاَ اخْتِلاَفَ فِي سُنِّيَتِهِ
١١٥. أَمَّا الرُّقَى الْمَجْهُولَةُ الْمَعَانِي: ... فَذَاكَ وِسْوَاسٌ مِنَ الشَّيْطَانِ
١١٦. وَفِيهِ قَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ: أَنَّهُ ... «شِرْكٌ» بِلاَ مِرْيَةٍ، فَاحْذَرَنَّهْ
١١٧. إِذْ كُلُّ مَنْ يَقُولُهُ لاَ يَدْرِي ... لَعَلَّهُ يَكُونُ مَحْضَ الْكُفْرِ
١١٨. أَوْ هُوَ مِنْ سِحْرِ الْيَهُودِ مُقْتَبَسْ ... عَلَى الْعَوَامِ لَبَّسُوهُ فَالْتَبَسْ
١١٩. فَحَذَرًا ثُمَّ حَذَارِ مِنْهُ ... لاَ تَعْرِفِ الْحَقَّ وَتَنْأَى عَنْهُ
١٢٠. وَفِي «التَّمَائِمِ» الْمُعَلَّقَاتِ ... إِنْ تَكُ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتِ:
١٢١. فَالاِخْتِلاَفُ وَاقِعٌ بَيْنَ السَّلَفْ ... فَبَعْضُهُمْ أَجَازَهَا وَالْبَعْضُ كَفْ
١٢٢. وَإِنْ تَكُنْ مِمَّا سِوَى الْوَحْيَيْنِ: ... فَإِنَّهَا «شِرْكٌ» بِغَيْرِ مَيْنِ
١٢٣. بَلْ إِنَّهَا قَسِيمَةُ الأَزْلاَمِ ... فِي الْبُعْدِ عَنْ سِيمَا أُولَى الإِسْلاَمِ

- **وَمَنْ يَثِقْ بِوَدْعَةٍ:**

الودعة هي الصدف، شئ أبيض يجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيان.

- **أَوْ نَابٍ:**

الناب، بعض العامة يأخذ ناب ضبع أو ناب كلب، أو نحو ذلك ويعلقونه، من العين.

- **الحلقة:**

معروفه وهي حلقة الصفر، لذلك بعض الناس إلى لآن يلبسون حلقة نحاس، أو يلفون شيئا من الكتان، ويعتقدون أنه يشفي، يعتقدون فيه أنه يؤثر، فهذا حرام.

وهنا تنبيه:

وهو أن كل أصناف الشرك الأصغر قد تكون شركا أكبر بحسب حال من فعلها: فالأصل: أن لبس الحلقة أو الخيط. وتعليق التمائم، والحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت، ونحو ذلك من الأعمال، أو الاعتقادات، أو الأقوال الأصل فيها: أنها من الشرك الأصغر، لكن قد تكون شركا أكبر بحسب حال صاحبها، يعني: إن اعتقد في الحلقة والخيط مثلًا أنها تؤثر بنفسها: فهذا شرك أكبر، وإذا اعتقد أنها ليست سببا لكن تؤثر بنفسها وتدفع الضرر بنفسها،

فتدفع المرض بنفسها، وتدفع العين بنفسها، أو ترفع المرض بنفسها، أو ترفع العين بنفسها. **فإذا اعتقد أنها ليست أسبابا بل هي مؤثرة بنفسها:** فقد وقع في الشرك الأكبر؛ لأنه جعل التصرف في هذا الكون لأشياء مع الله - جل وعلا -، ومعلوم أن هذا من أفراد الربوبية، فيكون ذلك شركا في الربوبية، فعماد هذا الباب على تعلّق القلب بهذه الأشياء: كالحلقة، والخيط، ونحوهما؛ لدفع ما يسوؤه، أو لرفع ما حل به من مصائب".

قال رحمه الله:

- **[أَوْ حَلْقَةٍ أَوْ أَعْيُنِ الذِّئَابِ]:**

كان الذئب إذا مات يأخذون عينه ويعلقونها، يقولون أن عين الذئب لا تري جنيا إلا أخذته، أي يحبس داخل عين الذئب، فكانوا يعلقونها ليطردوا بها الجن، مثل من يعلق الخرز وغير ذلك، وهذا كله لا يجوز، ولذلك كانوا يأخذون أعين الذئب ويعلقونها على الصبيان حتى لا يصيبهم جن.

- **[أَوْ خَيْطٍ أو عُضْوٍ مِنَ النُّسُورِ]:**

الخيط العقد المعروفة، يأتون به بأعداد معينه، ويربطونها بيد المحموم أو عنقه.

- **أو [عُضْوٍ مِنَ النُّسُور، أَوْ وَتَرٍ]:**

العضو، عظم أو نحوه، يجعلونه خرزا، ويعلقونه على الصبيان، **أو وتر،** وهو وتر القوس ـــ.

- أَوْ تُرْبَةِ الْقُبُورِ:

و مازال ناس إلى الآن يستشفون بتربة القبور.

- **ملخصُ الشركِ في التعاليقِ:**

ومن التعاليق:

١. الودعة: وهي شَيْءٌ أَبْيَضُ يُجْلَبُ مِنَ الْبَحْرِ يُعَلَّقُ فِي حلوق الصبيان وغيرهم لرد العين.

٢. الناب: وهو ناب الضبع يؤخذ ويعلق من العين.

٣. الحلقة: يلبسونها من العين والواهنة "مرض العضد".

٤. أعين الذئاب: يعلقونها إذا مات الذئب على الصبيان ونحوهم زعماً أن الجن تفر منها.

٥. الخيط: كثيراً ما يعلقونه على المحموم ويعقدون فيه عقداً بحسب اصطلاحاتهم ويربطونه بيد المحموم أو عنقه طلباً للشفاء.

٦. العضو من النسور: كالعظم ونحوه ويجعلونه خَرَزًا وَيُعَلِّقُونَهَا عَلَى الصِّبْيَانِ يَزْعُمُونَ أَنَّهَا تَدْفَعُ العين.

٧. الوتر: كانوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا عَتَقَ وَتَرُ الْقَوْسِ أَخَذُوهُ وعلقوه على الصبيان والدواب لدفع العين.

٨. التمائم: وهي شيء يعلقونه على الأولاد لدفع العين وحكمها كحكم التعاليق سواء كانت كتابة أو غير كتابة إلا إذا كانت كتابة من خالص الوحيين فبعض السلف أجازها والبعض كرهها ومنعها والأحوط البعد عن ذلك.

فإذا كان المعلق من القرآن الكريم، فهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم،

فذهب بعضهم إلى جواز ذلك،

ومنهم من منع ذلك، وقال لا يجوز تعليق القرآن للاستشفاء، وهو الصواب لوجوه أربعة:

١. عموم النهي عن تعليق التمائم، ولا مخصص للعموم.
٢. سدا للذريعة، فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس من القرآن.
٣. أنه إذا علق فلا بد أن يمتهن المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء، ونحو ذلك.
٤. أن الاستشفاء بالقرآن ورد على صفة معينة، وهي القراءة به على المريض فلا تتجاوز.

- **الرقي، وما يتعلق بها:**

الرقى جمع رقية، وهي القراءة والنفث طلبا للشفاء والعافية، سواء كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية النبوية المأثورة.

وهي جائزة:

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ:" اعْرِضُوا علي رُقَاكُمْ، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:" رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ وَالنَّمْلَةِ" رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ.

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ:" مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ "، رواه مسلم.

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ، مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ قَالَ:" أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا".

*** شروطها:**

وجوازها وصحتها شروط ثلاثة:

الأول: أن لا يعتقد أنها تنفع لذاتها دون الله، فإن اعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله فهو محرم، بل هو شرك، بل يعتقد أنها سبب لا تنفع إلا بإذن الله.

الثاني: أن لا تكون بما يخالف الشرع كما إذا كانت متضمنة دعاء غير الله أو استغاثة بالجن وما أشبه ذلك، فإنها محرمة، بل شرك.

الثالث: أن تكون مفهومة معلومة، فإن كانت من جنس الطلاسم، والشعوذة فإنها لا تجوز.

وقد سئل الإمام مالك رحمه الله: أيرقي الرجل ويسترقي؟ فقال:" لا بأس بذلك، بالكلام الطيب ".

*** الرقية الممنوعة:**

كل رقية لم تتوفر فيها الشروط المتقدمة فإنها محرمة ممنوعة، كأن يعتقد الراقي أو المرقي أنها تنفع وتؤثر بذاتها، أو تكون مشتملة على ألفاظ شركية وتوسلات كفرية وألفاظ بدعية، ونحو ذلك، أو تكون بألفاظ غير مفهومة كالطلاسم ونحوها.

فَصْلٌ:

مِنَ الشِّركِ فِعْلُ مَنْ يَتبَرَّكُ بِشَجَرَةٍ أَوْ حَجرٍ أَوْ بُقْعَةٍ أَوْ قَبْرٍ أَوْ نَحْوِهَا، يَتَّخِذُ ذَلِكَ الْمَكَانَ عِيدًا، وَبَيَانُ أَنَّ الزِّيَارَةَ تَنقَسِمُ إِلَى: سُنِّيَّةٍ وَبِدْعِيَّةٍ وَشِرْكِيَّةٍ.

١٢٤. هَـذَا وَمِـنْ أَعْـمَـالِ أَهْـلِ الشِّـرْكِ ... مِـنْ غَـيْـرِ مَـا تَـرَدُّدٍ أَوْ شَـكِّ:
١٢٥. مَـا يَقْصُـدُ الْجُهَّـالُ مِـنْ تَعْظِيْمِ مَـا ... لَـمْ يَـأْذَنِ اللَّـهُ بِـأَنْ يُـعَـظَّـمَـا
١٢٦. كَمَـنْ يَلُـذْ بِـبُـقْـعَـةٍ أَوْ حَـجَـرِ ... أَوْ قَـبْـرِ مَـيْـتٍ أَوْ بِبَعْـضِ الـشَّـجَـرِ
١٢٧. مُـتَّـخِـذًا لِـذَلِـكَ الْـمَـكَـانِ ... عِـيْـدًا: كَـفِـعْـلِ عَـابِـدِي الأَوْثَـانِ
١٢٨. ثُـمَّ «الزِّيَـارَةُ» عَـلَـى أَقْـسَـامِ ... ثَـلاَثَـةٍ يَـا أُمَّـةَ الإِسْـلاَمِ:
١٢٩. فَـإِنْ نَـوَى الـزَّائِـرُ فِيْمَـا أَضْمَـرَهْ ... فِـي نَـفْـسِـهِ تَـذْكِـرَةً بِالآخِـرَهْ
١٣٠. ثُـمَّ الـدُّعَـا لَـهُ وَلِلأَمْـوَاتِ ... بِـالْـعَـفْـوِ وَالْـصَّـفْحِ عَـنِ الـزَّلاَّتِ
١٣١. وَلَـمْ يَكُـنْ شَـدَّ الرِّحَـالَ نَحْـوَهَـا ... وَلَـمْ يَقُـلْ هَـجْـرًا كَـقَـوْلِ السُّفَهَـا:
١٣٢. فَـتِلْكَ «سُنَّـةٌ» أَتَـتْ صَـرِيْـحَـهْ ... فِـي السُّـنَـنِ الْمُـثْـبَـتَـةِ الصَّحِيْحَـهْ
١٣٣. أَوْ قَـصَـدَ الـدُّعَـاءَ وَالـتَّـوَسُّـلاَ ... بِـهِـمْ إِلَـى الـرَّحْـمَـنِ جَـلَّ وَعَـلاَ:
١٣٤. «فَبِدْعَـةٌ» مُـحْـدَثَـةٌ ضَـلاَلَـهْ ... بَـعِـيْـدَةٌ عَـنْ هَـدْيِ ذِي الـرِّسَـالَـهْ
١٣٥. وَإِنْ دَعَـا الْمَقْبُـورَ نَفْسَـهُ: فَـقَـدْ ... «أَشْـرَكَ» بِاللَّـهِ الْـعَـظِـيْـمِ وَجَحَـدْ
١٣٦. لَـنْ يَـقْـبَـلَ اللَّـهُ تَعَـالَى مِـنْـهُ ... صَـرْفًـا وَلاَ عَـدْلاً فَـيَـعْـفُـو عَـنْـهُ
١٣٧. إِذْ كُـلُّ ذَنْـبٍ مُـوْشِـكُ الْغُفْـرَانِ: ... إِلاَّ اتِّـخَـاذَ الـنِّـدِّ لِلـرَّحْـمَـنِ

بدأ رحمه الله تعالى يتكلم عن زيارة القبور فقال إن الزيارة ثلاثة أقسام:

- زيارة سنية.
- زيارة بدعية.
- زيارة شركية.

أولًا: الزيارة السنية، ولها شروط:

١. أن يقصد الاتعاظ والدعاء لأهل القبور:

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ: "اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَهَا فَأَذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ" وقال النبي صلى الله عليه وسلم "السَّلَامُ عليكم يَا أَهْلَ القبُورِ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا، وَنَحْنُ بالأَثَرِ ".

وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: "السَّلَامُ عليكم أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ" رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَابْنُ مَاجَهْ. زَادَ مُسْلِمٌ فِي رِوَايَةٍ: "يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَّا وَمِنْكُمْ".

وَكَانَ الصَّحَابَةُ إِذَا أَتَوْا قَبْرَهُ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- صَلَّوْا وَسَلَّمُوا عليه فَحَسْبُ كَمَا كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: السَّلَامُ عليك يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عليك يَا أَبَا بَكْرٍ، السَّلَامُ عليك يَا أَبَتَاهُ .

٢. عدم شد الرحال إلى المقابر. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى".

٣. ألا يقول هجرا.

والهجر هو الفحش، ومنه: النياحه وشق الجيوب ودعوي الجاهلية وألا يقصد التوسل بهذا الميت إلى الرحمن عزوجل فهذه بدعة.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ" وهناك فرق بين التوسل به وبين اتخاذه واسطة.

- **من التوسل ما يصل إلى الشرك:**

التوسل أو اتخاذ الواسطة ليس بدعة فقط، بل قد يكون شركاً أكبرا مخرجاً من الملة، كقول المشركين: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفي إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)} (سورة: الزمر).

- **والتوسل على نوعين:**

*** أولًا: توسل مشروع وهو ثلاثة أقسام:**

١. التوسل بأسماء الله الحسنى وصفاته، كما قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} (سورة: الأعراف).

٢. التوسل بدعاء العبد الصالح الحي: (مثل: إرشاد النبي صلي الله عليه وسلم، عمر أن يطلب من أويس القرني أن يستغفر له).

وكما في قول أبناء يعقوب عليهم السلام له: {يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧)}(سورة: يوسف)، وكما في قصة الأعرابي الذي طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو بنزول المطر، فدعا صلى الله عليه وسلم، وكما في قصة المرأة التي طلبت منه عليه الصلاة والسلام أن يدعو الله لها بأن لا تتكشف، وكما طلب عمر – ومعه الصحابة – في عهد عمر من العباس أن يستسقي لهم، أي أن يدعو الله أن يغيثهم بنزول المطر.

٣. التوسل بالعمل الصالح .

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَامْرَأَتِي، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ، حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ، فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ، فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ،

فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللهُ مِنْهَا فُرْجَةً، فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ اتَّقِ اللهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي، قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا، فَخُذْهَا فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا، فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللهُ مَا بَقِيَ .

*** ثانيًا: توسل ممنوع وهو ما عدا ذلك من التوسل، والتوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم مختلف فيه بين العلماء والراجح التحريم.**

ومن أمثلة هذه التوسلات المحرمة:

١. أن يتوسل إلى الله تعالى بذات نبي أو عبد صالح، أو الكعبة، أو غيرها من الأشياء الفاضلة، كأن يقول: "اللهم إني أسألك بذات أبينا آدم عليه السلام أن ترحمني".

٢. أن يتوسل بحق نبي أو عبد صالح أو الكعبة أو غيرها.

٣. أن يتوسل بجاه نبي أو عبد صالح أو بركته أو حرمته أو بحق قبره ونحو ذلك.

فلا يجوز للمسلم أن يدعو الله تعالى بشيء من هذه التوسلات، ولذلك لم يثبت في رواية صحيحة صريحة أن أحداً من الصحابة أو التابعين توسل إلى الله تعالى بشيء منها، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وقد نقلت عنهم أدعية كثيرة جداً، وليس فيها شيء من هذه التوسلات.

- وإن دعا الإنسان مقبوراً لجلب خير أو صرف ضرر أو قضاء حوائج، فقد وقع في الشرك الأكبر فلا يقبل الله تعالى منه صرفاً ولا عدلاً (أي فرضاً ولا نفلاً).

والصرف هو النافلة، والعدل هو الفرض، والصرف: هو جزئيات الأعمال، والعدل: أصل الأعمال.

فَصْلٌ:

فِي بَيانِ مَا وَقَعَ فِيهِ الْعَامَّةُ اليوم مِمَّا يَفْعَلُونَهُ عِنْدَ الْقُبُورِ،وَمَا يَرْتَكِبُونَهُ مِنَ الشِّرْكِ الصَّرِيحِ وَالْغُلُوِّ الْمُفْرِطِ فِي الْأَمْوَاتِ.

١٣٨. وَمَـنْ عَلَـى الْقَبْـرِ سِـرَاجـاً أَوْقَـدَا أَوِ ابْـتَـنَـى عَلَـى الضَّرِيْـحِ مَسْـجِـدًا:

أي: من أتى بشمع أو سراج أو نحوه بقصد التقرب إلى صاحب القبر أو نحوه وهو يختلف عن إضاءة المقابر، لغرض الدفن ليلاً أو ما شابه.

١٣٩. فَـإِنَّـهُ مُـجَـدِّدٌ جِـهَـارَا لِـسُـنَـنِ الْـيَـهُـودِ وَالـنَّـصَـارَى

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حتى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اليهود وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: "فَمَنْ"؟.

١٤٠. كَـمْ حَـذَّرَ الْمُخْتَـارُ عَـنْ ذَا وَلَعَـنْ فَـاعِـلَـهُ، كَمَـا رَوَى أَهْـلُ الـسُّـنَـنْ

١٤١. بَـلْ قَـدْ نَهَـى: عَـنْ ارْتِفَـاعِ الْقَبْـرِ وَأَنْ يُـزَادَ فِـيْـهِ فَـوْقَ الـشِّـبْـرِ

١٤٢. وَكُـلُّ قَـبْـرٍ مُـشْـرِفٍ فَقَـدْ أَمَـرْ: بِـأَنْ يُسَـوَّى، هَكَـذَا صَـحَّ الْـخَـبَـرْ

فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إيقاد السرج على القبور لأنه بدعة وتشبه باليهود، ولأنه إضاعة للمال. وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه:" لَعَنَ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عليها الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ"، وقال صلى الله عليه وسلم: " لَعَنَ اللَّهُ اليهود وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"، وقال صلى الله عليه وسلم: " "اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ،"، وقال صلى الله عليه وسلم " "إِنَّ مِنْ شَرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ"

عن أبي الهياج الأسدي قال " قال لي علي بن أبي طالب" أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عليه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، أَلَّا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ، وَلَا قَبْرًا مُشْرَفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ "."رواه مسلم".

- **فالنهي يشمل:**

١. بناء المساجد على القبور.

٢. السجود على القبور.

٣. الصلاة إلى القبور.

قال الإمام أحمد " لا يجتمع في دين الله مسجد وقبر ".

وليعلم أن كلمة " مسجد في اللغه " تطلق على شيئين:

١- أعضاء السجود.

٢- مكان السجود.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" لاَ تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ وَلاَ تُصَلُّوا إليها ".

قال رحمه الله تعالى:

١٤٣. وَحَـــذَّرَ الأُمَّـــةَ عَـنْ إِطْـرَائِـــهِ ... فَـغَـرَّهُـمْ إِبْـلِـيْـسُ بِاسْـتِـجْـرَائِـهِ
١٤٤. فَـخَـالَـفُـوهُ جَـهْـرَةً وَارْتَكَـبُـوْا ... مَـا قَـدْ نَـهَـى عَـنْـهُ، وَلَـمْ يَجْتَنِبُـوْا

قال النبي صلى الله عليه وسلم. "لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ" وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ: «هَاتِ، الْقُطْ لِي» فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ، قَالَ: «بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ».

١٤٥. فَانْـظُـرْ إِلَيْهِـمْ قَـدْ غَـلَـوْا وَزَادُوا ... وَرَفَـعُـوا بِـنَـاءَهَـا وَشَـادُوا
١٤٦. بِالـشِّـيْـدِ وَالآجُـرِّ وَالأَحْـجَـارِ ... لاَ سِـيَّـمَـا فِـي هَـذِهِ الأَعْـصَـارِ
١٤٧. وَلِلْـقَـنَـادِيْـلِ عَلَيْـهَـا أَوْقَـدُوْا ... وَكَـمْ لِـوَاءٍ فَـوْقَـهَـا قَـدْ عَـقَـدُوا
١٤٨. وَنَـصَـبُـوا الأَعْـلاَمَ وَالرَّايَـاتِ ... وَافْـتَـتَـنُـوا بِالأَعْـظَـمِ الـرُّفَـاتِ
١٤٩. بَـلْ نَحَـرُوا فِـي سَوَاحِـهَـا النَّحَائِرِ ... فِعْـلَ أُوْلِـي الـتَّـسْـيِـيْـبِ وَالْبَحَائِرِ
١٥٠. وَالْتَمَسُـوا الْحَاجَـاتَ مِـنْ مَوْتَـاهُـمُ ... وَاتَّـخَـذُوا إِلَـهَـهُـمْ هَـوَاهُـمُ
١٥١. قَـدْ صَـادَهُمْ إِبْلِيْـسُ فِـي فِخَـاخِـهِ ... بَـلْ بَعْضُهُـمْ قَـدْ صَـارَ مِـنْ أَفْـرَاخِـهِ
١٥٢. يَـدْعُـو إِلَـى عِـبَـادَةِ الأَوْثَـانِ ... بِالْـمَـالِ وَالـنَّـفْـسِ وَبِاللِّـسَـانِ
١٥٣. فَلَيْـتَ شِـعْـرِي مَـنْ أَبَـاحَ ذَلِـكَ ... وَأَوْرَطَ الأُمَّـةَ فِـي الْـمَـهَـالِـكَ
١٥٤. فَـيَـا شَـدِيْـدَ الطَّـوْلِ وَالإِنْـعَـامِ ... إِلَـيْـكَ نَـشْـكُـو مِـحْـنَـةَ الإِسْـلاَمِ

"فَانْظُرْ" أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ "إليهِمْ" وَإِلَى أَعْمَالِهِمْ "قَدْ غَلَوْا" فِي أَهْلِ الْقُبُورِ الْغُلُوَّ الْمُفْرِطَ الَّذِي نَهَاهُمُ اللَّهُ تعالى وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ عَنْهُ "وَزَادُوا" عَمَّا حَذَّرَهُمْ عَنْهُ الرُّسُلُ "وَرَفَعُوا بنَاءَهَا" أَيْ: بنَاءَ الْقُبُورِ الْمَنْهِيَّ عَنْ مُجَرَّدِهِ قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ "وَشَادُوا" أَيْ: ضَرَبُوهُ "بالشِّيدِ" وَهُوَ الْجِصُّ "وَالْآجُرِّ" اللَّبِنُ الْمَحْرُوقُ "وَالْأَحْجَارِ" الْمُنَقَّشَةِ الْمُزَخْرَفَةِ "لَا سِيَّمَا" بزِيَادَةٍ "فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ" الْقَرِيبَةِ بَعْدَ ظُهُورِ دَوْلَةِ الْعبيدِيِّين الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ أَهْلُ الْعِلْمِ: ظَاهِرُهُمُ الرَّفْضُ وَبَاطِنُهُمُ الْكُفْرُ الْمَحْضُ، فَاعْتَنَوْا ببِنَاءِ الْقِبَابِ عَلَى الْقُبُورِ وَزَخْرَفَتِهَا وَتَشْيِيدِهَا وَجَعْلِهَا مَشَاهِدَ، وَنَدَبُوا النَّاسَ إِلَى زِيَارَتِهَا وَأَتَوْا بذَلِكَ باسْمِ مَحَبَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَكُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ مِنَ الدُّوَلِ الْمُبْتَدِعَةِ زَادَ فِيهَا وَأَحْدَثَ أَكْثَرَ مِمَّا أَحْدَثَ مَنْ قَبْلَهُ، حتى اتَّخَذُوهَا مَسَاجِدَ وَمَعَابِدَ، إِلَى أَنْ عُبِدَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَسَأَلُوا مِنْهَا مَا لَا يَقْدِرُ عليه إِلَّا اللَّهُ وَفَعَلُوا بِهَا مَا يَفْعَلُ أَهْلُ الْأَوْثَانِ بِأَوْثَانِهِمْ وَزَادُوا كَثِيرًا فَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَأَضَلُّوا مَنْ قَدَرُوا عَلَى إِضْلَالِهِ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الدِّينِ عِنْدَهُمْ إِلَّا اسْمُهُ وَلَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَدَيْهِمْ إِلَّا لَفْظُهُ وَرَسْمُهُ، وَلَكِنَّ الأرض لا تخلو

مِنْ مُجَدِّدٍ لِمَعَالِمِ الشَّرِيعَةِ الْحَنِيفِيَّةِ وَمُنَبِّهٍ عَلَى مَا يُخِلُّ بها أَوْ يُنَاقِضُهَا مِنَ الْبِدَعِ الشَّيْطَانِيَّةِ، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ هَـذِهِ الْأُمَّةِ – أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرَةً، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ أَوْ خَذَلَهُمْ حتى يَأْتِيَ أَمْـرُ اللَّـهِ تَبَارَكَ وَتعالى، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)}(سورة: الْحِجْرِ).

١٤٧. وَلِلْقَنَادِيْلِ عَلَيْهَا أَوْقَدُوْا	وَكَمْ لِوَاءٍ فَوْقَهَا قَدْ عَقَدُوا
١٤٨. وَنَصَبُوا الأَعْلَامَ وَالرَّايَاتِ	وَافْتَتَنُوا بِالأَعْظُمِ الرُّفَاتِ
١٤٩. بَلْ نَحَرُوا فِي سَوَاحِهَا النَّحَائِرِ	فِعْلَ أُوْلِي التَّسْيِيْبِ وَالْبَحَائِرِ
١٥٠. وَالْتَمَسُوا الْحَاجَاتَ مِنْ مَوْتَاهُمُ	وَاتَّخَذُوا إِلَهَهُمْ هَوَاهُمُ

"وَلِلْقَنَادِيلِ" مِنَ الشُّمُوعِ وَغَيْرِهَا "عليها" أَيْ: عَلَى الْقُبُورِ وَفِي قِبَابِهَا "أَوْقَدُوا" تَعَرُّضًا لِلَّعْنَةِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَـلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ إِذْ يَقُولُ: "لَعَنَ اللَّهُ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عليها الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ".
فَأَوْقَفُوا لِتَسْرِيجِهَا الْوُقُوفَ الْكَثِيرَةَ وَجَعَلُوا عليها سَدَنَةً وَخُدَّامًا مُعَدِّينَ لِإِيقَادِهَا، وَوَيْلٌ لِلسَّادِنِ إِنْ طُفِئَ مِصْبَاحُ قَبْـرِ الشَّيْخِ "وَكَمْ لواء فوقها قد عَقَدُوا" تَعْظِيمًا لَهَا وَتَأَلُّهًا وَرَغْبَةً وَرَهْبَةً "وَنَصَبُوا" عليها "الْأَعْلَامَ وَالرَّايَاتِ" لَا سِيَّمَا يَـوْمَ عِيدِهَا؛ لِأَنَّهُمْ قَدِ اتَّخَذُوا لِكُلِّ قَبْرٍ عِيدًا أَيْ: يَوْمًا مُعْتَادًا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ مِنْ أَقَاصِي الْبِلَادِ وَأَدْنَاهَا كَمَا أَنَّ الْحَـجَّ يَـوْمَ عَرَفَةَ، مُخَالَفَةً مِنْهُمْ وَمُشَاقَّةً لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، إِذْ يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا".
فَقَدِ اتَّخَذُوا قُبُورًا دُونَهُ أَعْيَادًا، وَمَنْ فَاتَهُ يَوْمُ ذَلِكَ الْعِيدِ الْمُعْتَادِ فَقَدْ فَاتَهُ الْمَشْهَدُ وَفَاتَهُ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَفِي ذَلِـكَ الْعِيـدِ تُنْصَبُ الزِّينَةُ الْبَاهِرَةُ وَتُدَقُّ الطُّبُولُ وَالْأَعْوَادُ، وَيَجْتَمِعُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فِي مَيْدَانٍ وَاحِدٍ لَابِسِينَ زِينَتَهُمْ، قَدْ عُطِّرَ كُـلٌّ مِنَ الْجِنْسَيْنِ بِأَطْيَبِ مَا يَجِدُ وَلَبِسَ أَطْيَبَ مَا يَجِدُ، وَتُجْبَى الْأَمْوَالُ مِنَ الْأَوْقَافِ وَالنُّذُورِ وَغَيْرِهَـا عَلَـى اخْتِلَـافِ أَجْنَاسِهَا مِنْ نُقُودٍ وَثِمَارٍ وَأَنْعَامٍ وَخَرَاجَاتٍ وَغَيْرِهَا مِمَّا عَلِمَ اللَّهُ تعالى أَنَّهَا لَا يُبْتَغَى بها وَجْهُهُ وَلَمْ تُنْفَقْ فِي مَرْضَـاتِهِ، بَلْ فِي مَسَاخِطِهِ "وَافْتُتِنُوا" فِي دِينِهِمْ "بِالْأَعْظُمِ الرُّفَاتِ" النَّخِرَةِ، فَعَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، دُعَاءً وَتَوَكُّلًا وَخَوْفًا وَرَجَاءً وَنَذْرًا وَنُسُكًا وَغَيْرَ ذَلِكَ.
"بَلْ نَحَرُوا فِي سُوحِهَا" أَيْ: فِي أَفْنِيَةِ الْقُبُورِ "النَّحَائِرَ" مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ إِذَا نَابَهُمْ أَمْرٌ أَوْ طَلَبُوا حَاجَةً مِنْ شِفَاءِ مَرِيضٍ أَوْ رَدِّ غَائِبٍ أَوْ نَحْوِ ذلك، وأكثرهم يسمها لِلْقَبْرِ مِنْ حَيْثُ تُولَدُ وَيُرَبِّيهَا لَهُ إِلَى أَنْ تَصْلُحَ لِلْقُرْبَةِ فِي عُـرْفِهِمْ، وَلَا يَجُوزُ عِنْدَهُمْ تَغْيِيرُهَا وَلَا تَبْدِيلُهَا وَلَا خَصْيُهَا وَلَا وِجَاؤُهَا لَا يَذْهَبُ شَيْءٌ مِنْ دَمِهَا؛ إِذْ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ نَقْـصٌ فِيهَـا وَبَخْسٌ "فِعْلَ أُولِي التَّسْيِيبِ وَالْبَحَائِرِ" أَيْ: كَفِعْلِ مُشْرِكِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ فِي تَسْيِيبِهِمُ السَّوَائِبَ وَتَبْحِيرِ الْبَحَائِرِ وَجَعْلِ الْحَامِ كَمَا قَدَّمْنَا عَنْهُمْ ذَلِكَ مَبْسُوطًا فِي مَوْضِعِهِ، غَيْرَ أَنَّ أُولَئِكَ سَمَّوْهُمْ آلِهَةً وَشُفَعَاءَ وَسَمَّوْا مِثْلَ هَذَا الْفِعْلِ بِهِمْ عِبَادَةً، وَهَؤُلَاءِ سَمَّوْهُمْ سَادَةً وَأَوْلِيَاءَ وَسَمَّوْا دُعَاءَهُمْ إِيَّاهُمْ تَبَرُّكًا وَتَوَسُّلًا، وَكِلَاهُمَا مُشْرِكٌ فِي فِعْلِهِ بِاللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَؤُلَاءِ أَعْظَمُ شِرْكًا وَأَشَدُّ لِأَنَّهُمْ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ وَفِي الشِّدَّةِ، بَلْ هُمْ فِي الشِّدَّةِ أَكْثَرُ شِـرْكًا وَأَشَـدُّ تَعَلُّقًا بِهِمْ مِنْ حَالَةِ الرَّخَاءِ، وَأَمَّا مُشْرِكُو الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى فَيُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ وَيُخْلِصُونَ لِلَّهِ فِي الشِّدَّةِ، كَمَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ تعالى: "فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُـمْ يُشْـرِكُونَ" (الْعَنْكَبُوتِ: ٦٥) وَغَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ.

"وَالْتَمَسُوا الْحَاجَاتِ" الَّتِي لَا يَقْدِرُ عليها إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ "مِنْ مَوْتَاهُمْ" مِنْ جَلْبِ الْخَيْرِ وَدَفْعِ الشَّرِّ "وَاتَّخَذُوا إِلَهَهُمْ هَوَاهُمْ" وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ بَلْ فِي جَمِيعِ مَعَاصِي اللَّهِ، وَهُوَ الَّذِي كُلَّمَا هَوَى أَمْرًا أَتَاهُ، وَلَمْ يَأْتِهِمُ الشَّيْطَانُ مِنْ غَيْرِ بَابِ الْهَوَى وَلَمْ يَصْطَدْ أَحَدًا بِغَيْرِ شَبَكَتِهِ؛ لِأَنَّ الْهَوَى يُعْمِي عَنِ الْحَقِّ وَيُضِلُّ عَنِ السَّبِيلِ أَتْبَاعَهُ وَهُوَ سَبَبُ الشَّقَاوَةِ، كَمَا أَنَّ الْتِزَامَ الشَّرِيعَةِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا سَبَبُ السَّعَادَةِ، فَهُمَا ضِدَّانِ لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَكُونُ الْحُكْمُ إِلَّا لِوَاحِدٍ مِنْهُمَا؛ لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ تَدُلُّ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَأْمُرُ بِهَا، وَتُحَذِّرُ مِنْ مَسَاخِطِ اللَّهِ وَتَنْهَى عَنْهَا، وَالْهَوَى بِضِدِّ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ"يَعْنِي: لِمُخَالَفَةِ أَسْبَابِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِلْهَوَى "وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ"، لِمُوَافَقَةِ أَسْبَابِهَا مِنَ الْمَعَاصِي لِلْهَوَى. فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، وَوَيْلٌ لِمَنْ قَدَّمَ هَوَاهُ عَلَى ذَلِكَ، لَقَدْ هَلَكَ.

١٥١. قَدْ صَادَهُمْ إِبْلِيسُ فِي فِخَاخِهِ ... بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ صَارَ مِنْ أَفْرَاخِهِ

١٥٢. يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ... بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَبِاللِّسَانِ

"قَدْ صَادَهُمْ" مِنَ الِاصْطِيَادِ "إِبْلِيسُ فِي فِخَاخِهِ" الَّتِي نَصَبَهَا لَهُمْ كَمَا نَصَبَهَا لِمَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ تَزْيِينِ الْمَعَاصِي وَتَصْوِيرِهَا فِي صُورَةِ الطَّاعَاتِ، فَأَوَّلُ مَا زَيَّنَ لِقَوْمِ نُوحٍ العكوف على صور صَالِحِيهِمْ لِيَتَذَكَّرُوا عِبَادَتَهُمُ اللَّهَ تعالى فَيَقْتَفُوا أَثَرَهُمْ فِيهَا، وَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حتى عَبَدُوهَا كَمَا قَدَّمْنَا. وَكَذَلِكَ فَعَلَ بِسُفَهَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلُ مَا أَشَارَ عليهمْ بِبِنَاءِ الْقِبَابِ عَلَى الْقُبُورِ بِاسْمِ مُحِبَّةِ الْأَوْلِيَاءِ ثُمَّ بِالْعُكُوفِ عليها وَعِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهَا تَبَرُّكًا وَتَيَمُّنًا بِتِلْكَ الْبِقَاعِ الَّتِي فُضِّلَتْ بِهِمْ، إِذْ دُفِنُوا فِيهَا ثُمَّ بِعِبَادَتِهِمْ أَنْفُسِهِمْ دُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ اسْتَرْسَلُوا فِي تِلْكَ الْعِبَادَةِ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ أَثْبَتُوا لِلْمَخْلُوقِ صِفَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عليه إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَصَارَ الْأَمْرُ كَمَا تَرَى فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ وَفِي كُلِّ الْقُرَى وَالْأَمْصَارِ وَفِي كُلِّ زَمَنٍ تَشِيعُ وَتَزِيدُ وَفِي كُلِّ عَصْرٍ مِنَ الْأَعْصَارِ "بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ صَارَ مِنْ أَفْرَاخِهِ" الْمُسَاعِدِينَ لَهُ الدَّاعِينَ إِلَى مَا دَعَا إِليه حِزْبَهُ؛ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ "يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ" مِنَ الْقُبُورِ وَغَيْرِهَا "بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَبِاللِّسَانِ" فَمِنْ دَعَايَتِهِمْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ أَنْوَاعًا مِنَ الْمَطَالِبِ وَيُدْخِلُونَهَا الْقَبْرَ إِلَى الْقُبَّةِ الْمَبْنِيَّةِ عليه فِي سَرَادِيبَ مُعَدَّةٍ تَحْتَهَا فَإِذَا الْأَعْذَارِ مَعَ مَا فِي قَلْبِهِ مِنْ تَعْظِيمِ الشَّيْخِ، فَلَا يُكَرِّرُ الطَّلَبَ أَدَبًا مَعَهُ، فَلَا يَأْتِي فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ إِلَّا وَقَدِ اسْتَعَدَّ له بمطلوبه، فإدا جَاءَ وَأَدْخَلَ يَدَهُ خَرَجَ فِيهَا ذَلِكَ الْمَطْلُوبُ فَحِينَئِذٍ خَرَجَ يُنَادِي: شَيْءٌ لِلَّهِ يَا شَيْخُ فُلَانُ وَكُلَّمَا وَجَدَ أَحَدًا أَرَاهُ ذَلِكَ وَقَالَ: هَذَا مِنْ كَرَامَاتِ الشَّيْخِ فُلَانٍ وَعَطَايَاهُ، فَيَجْمَعُونَ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِهَذِهِ الْحِيَلِ وَالشَّعْوَذَةِ مَا لَا يُحْصَى، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَحْتَالُوا لِأَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ فَحَسْبُ، بَلِ احْتَالُوا لِسَلْبِ دِينِهِمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ إِلَى دَائِرَةِ الْكُفْرِ، وَلَيْسَ هَذَا خَاصًّا بِقُبُورِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ عُرِفُوا فِي الدُّنْيَا بِالْأَمَانَةِ وَالدِّيَانَةِ، بَلْ أَيُّ قَبْرٍ تَمَثَّلَ فِيهِ الشَّيْطَانُ أَوْ حُكِيَتْ لَهُ حكاية أو رئيت لَهُ رُؤْيَا صِدْقًا كَانَتْ أَوْ كَذِبًا، فَقَدِ اسْتَحَقَّ عِنْدَهُمْ أَنْ يُبْنَى عليه الْقِبَابُ وَيُعْكَفَ عِنْدَهُ وَيُنْذَرَ لَهُ وَيُذْبَحَ عليه وَيَسْتَشْفِيَ بِهِ الْمَرْضَى وَيُسْتَنْزَلَ بِهِ الْغَيْثُ وَيُسْتَغَاثَ بِهِ فِي الشَّدَائِدِ وَيُسْأَلَ مِنْهُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ وَيُخَافَ وَيُرْجَى وَيُتَّخَذَ نِدًّا مِنْ دون الله عر وَجَلَّ، تقدس وَتَنَزَّهَ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالْجَاحِدُونَ وَالْمُلْحِدُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

• فائدة في التبرك:

• التبرك، أنواعه، وأحكامه:

التبرك: طلب البركة، والبركة: كثرة الخير وزيادته واستمراره.

والتبرك ينقسم من جهة حكمه إلى قسمين:

أ- تبرك مشروع: وهو أن يفعل المسلم العبادات المشروعة طلباً للثواب المترتب عليها، ومن ذلك أن يتبرك بقراءة القرآن والعمل بأحكامه، فالتبرك به هو ما يرجو المسلم من الأجور على قراءته له وعمله بأحكامه، ومنه التبرك بالمسجد الحرام بالصلاة فيه ليحصل على فضيلة مضاعفة الصلاة فيه، فهذا من بركة المسجد الحرام.

ب- تبرك ممنوع:

وهو ينقسم من حيث حكمه إلى قسمين:

١. تبرك شركي: وهو أن يعتقد المتبرِّك أن المتبرَّك به - وهو المخلوق - يهب البركة بنفسه، فيبارك في الأشياء بذاته استقلالاً؛ لأن الله تعالى وحده موجد البركة وواهبها، فقد ثبت في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الْبَرَكَةُ مِنَ اللهِ "، فطلبها من غيره، أو اعتقاد أن غيره يهبها بذاته شرك أكبر.

٢. تبرك بدعي: وهو التبرك بما لم يرد دليل شرعي يدل على جواز التبرك به، معتقداً أن الله جعل فيه بركة، أو التبرك بالشيء الذي ورد التبرك به في غير ما ورد في الشرع التبرك به فيه.

وهذا بلا شك محرم؛ لأن فيه إحداث عبادة لا دليل عليها من كتاب أو سنة، ولأنه جعل ما ليس بسبب سبباً، فهو من الشرك الأصغر؛ ولأنه يؤدي إلى الوقوع في الشرك الأكبر كما سيأتي بيانه.

وهذا القسم من التبرك - وهو التبرك البدعي - ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

*** النوع الأول: التبرك الممنوع بالأولياء والصالحين:**

وردت أدلة كثيرة تدل على مشروعية التبرك بجسد وآثار النبي صلى الله عليه وسلم، كشعره وعرقه وثيابه وغير ذلك. أما غير النبي صلى الله عليه وسلم من الأولياء والصالحين فلم يرد دليل صحيح صريح يدل على مشروعية التبرك بأجسادهم ولا بآثارهم، ولذلك لم يرد عن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عن أحد من التابعين أنهم تبركوا بجسد أو آثار أحد من الصالحين، فلم يتبركوا بأفضل هذه الأمة بعد نبيها، وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه ولا بغيره من العشرة المبشرين بالجنة، ولا بأحد من أهل البيت ولا غيرهم، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، لحرصهم الشديد على فعل جميع أنواع البر والخير، فإجماعهم على ترك التبرك بجسد وآثار غيره صلى الله عليه وسلم من الصالحين دليل صريح على عدم مشروعيته.

• ومن أنواع التبرك المحرم بالصالحين:

أ- التمسح بهم ولبس ثيابهم أو الشرب بعد شربهم طلباً للبركة.

ب- تقبيل قبورهم، والتمسح بها، وأخذ ترابها طلباً للبركة.

*** النوع الثاني: التبرك بالأزمان والأماكن والأشياء التي لم يرد في الشرع ما يدل على مشروعية التبرك بها.**

ومن أمثلة هذه الأشياء:

١. الأماكن التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم، أو تعبد لله فيها اتفاقاً من غير قصد لها لذاتها، وإنما لأنه صلى الله عليه وسلم كان موجوداً في هذه الأماكن وقت تعبده لله تعالى بهذه العبادة، و لم يرد دليل شرعي يدل على فضلها.

ومن هذه الأماكن: جبل ثور، وغار حراء، وجبل عرفات، والأماكن التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره، والمساجد السبعة التي قرب الخندق، والمكان الذي يزعم بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد فيه – مع أنه مختلف في مكان ولادته عليه الصلاة والسلام اختلافاً كثيراً – ومثل الأماكن التي قيل إنه ولد فيها نبي أو ولي أو عاشوا فيها ونحو ذلك – مع أن كثيراً من ذلك لم يثبت – .

فلا يجوز للمسلم قصد زيارة هذه الأماكن للتعبد لله تعالى عندها، أو فوقها، بصلاة أو دعاء أو غيرهما، كما لا يجوز للمسلم مسح شيء من هذه الأماكن لطلب البركة، ولا يشرع صعود هذه الجبال لا في أيام الحج ولا غيرها، حتى جبل عرفات، لا يشرع صعوده في يوم عرفة، ولا غيره، ولا التمسح بالعمود التي فوقه، وإنما يشرع الوقوف عند الصخرات القريبة منه إن تيسر، وإلا وقف الحاج في أي مكان من عرفات.

ولذلك لم يثبت عن أحد من الصحابة أنه قصد شيئاً من هذه الأماكن للتبرك بها بتقبيل أو لمس أو غيرهما ولا أن أحداً منهم قصدها للتعبد لله فيها.

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم وَمَسْجِدِ الأَقْصَى" رواه البخاري ومسلم، وثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي هو ثاني الخلفاء الراشدين الذين أمرنا باتباع سنتهم أنه لما رأى الناس وهو راجع من الحج يترلون فيصلون في مسجد، فسأل عنهم، فقالوا: مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: "إنما هلك من كان قبلكم أنهم اتخذوا آثار أنبيائهم بيَعاً، من مر بشيء من هذه المساجد فحضرت الصلاة فليصل، وإلا فليمض".

٢. التبرك ببعض الأشجار وبعض الأحجار وبعض الأعمدة وبعض الآبار والعيون التي يظن بعض العامة أن لها فضلاً، إما لظنهم أن أحد الأنبياء والأولياء وقف على ذلك الحجر، أو لاعتقادهم أن نبياً نام تحت تلك الشجرة، أو يرى أحدهم رؤيا أن هذه الشجرة أو هذا الحجر مبارك، أو يعتقدون أن نبياً اغتسل في تلك البئر أو العين، أو أن شخصاً اغتسل فيها فشفي، ونحو ذلك، فيغلون فيها ويتبركون بها فيتمسحون بالأشجار والأحجار، ويغتسلون بماء هذه البئر أو تلك العين طلباً للبركة، ويعلقون بالشجرة الخرق والمسامير والثياب، فربما أدى بهم غلوهم هذا في آخر الأمر إلى عبادة هذه الأشياء، واعتقاد أنها تنفع وتضر بذاتها.

ولا شك أن التبرك بالأشجار والأحجار والعيون ونحوها، بأي نوع من أنواع التبرك، من مسح أو تقبيل، أو اغتسال، أو غيرها مما سبق ذكره محرم بإجماع أهل العلم، ولا يفعله إلا الجهال؛ لأنه إحداث عبادات ليس لها أصل في الشرع، ولأنه من أعظم أسباب الوقوع في الشرك الأكبر. عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بشَجَرَةٍ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يُعَلِّقُ الْمُشْرِكُونَ عليها أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: " اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بنو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ(١٣٨)} (سورة: الأعراف)، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ".

ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنه ليس هناك حجر أو غيره يشرع مسحه أو تقبيله تبركاً، حتى مقام إبراهيم الخليل – عليه السلام – لا يشرع تقبيله مطلقاً مع أنه قد وقف عليه، وأثرت فيه قدماه – عليه السلام –، وهذا كله قد أجمع عليه أهل العلم.

ومسح الحجر الأسود وتقبيله وكذلك مسح الركن اليماني في أثناء الطواف إنما هو من باب التعبد لله تعالى، واتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك قال عمر رضي الله عنه لما قبل الحجر الأسود: " إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لاَ تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ وَلَوْلا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ " رواه البخاري ومسلم.

*** النوع الثالث: التبرك بالأماكن والأشياء الفاضلة:**

وردت نصوص شرعية كثيرة تدل على فضل وبركة كثير من الأماكن، كالكعبة المشرفة، والمساجد الثلاثة، وكثير من الأزمان كليلة القدر ويوم عرفة، وكثير من الأشياء الأخرى، كماء زمزم، والسحور للصائم، والتبكير في طلب الرزق ونحوه، وغير ذلك.

والتبرك بهذه الأشياء يكون بفعل العبادات وغيرها مما ورد في الشرع ما يدل على فضلها فيها، ولا يجوز التبرك بها بغير ما ورد، وعليه فمن تبرك بالأزمان أو الأماكن أو الأشياء التي وردت نصوص تدل على فضلها أو بركتها بتخصيصها بعبادات أو تبركات معينة لم يرد في الشرع ما يدل على تخصيصها بها، فقد خالف المشروع، وأحدث بدعة ليس لها أصل في الشرع، وذلك كمن يخص ليلة القدر بعمرة، وكمن يتبرك بجدران الكعبة بتقبيلها أو مسحها، أو يتمسح بمقام إبراهيم أو بالحجر المسمى حجر إسماعيل، أو بأستار الكعبة، أو بجدران المسجد الحرام، أو المسجد النبوي وأعمدتهما ونحو ذلك، فهذا كله محرم، وهو من البدع المحدثة، وقد اتفق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وسلف هذه الأمة على عدم مشروعيته، ومثله أن يتبرك بأحجار أو تراب شيء من المواضع الفاضلة بالتمرغ عليه أو بجمعه والاحتفاظ به.

وهذا كله محرم، وباطل، ودليله حديث عمر حين قبل الحجر الأسود.

فَصْلٌ:

فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ السِّحْرِ وَحَدِّ السَّاحِرِ،وَأَنَّ مِنْهُ عِلْمَ التَّنْجِيمِ، وَذِكْرِ عُقُوبَةِ مَنْ صَدَّقَ كَاهِنًا

١٥٥. وَالسِّحْرُ «حَقٌّ» وَلَهُ تَأْثِيرُ ... لَكِنْ بِمَا قَدَّرَهُ الْقَدِيرُ

١٥٦. أَعْنِي بِذَا التَّقْدِيرِ: مَا قَدْ قَدَّرَهْ ... فِي الْكَوْنِ، لاَ فِي الشِّرْعَةِ الْمُطَهَّرَهْ

السحر: وهو في اللغة ما خفي ولطف سببه .

وفي الاصطلاح هو عزائم ورقى وعقد يؤثّر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه بإذن الله، وهو كفر، والساحر كافر بالله العظيم، وما له في الآخرة من خلاق.

السحر مُتَحَقِّقٌ وُقُوعُهُ وَوُجُودُهُ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا حقيقة لم ترد النواهي عنه في الشرع، والوعيد على فعله، وَالْعُقُوبَاتُ الدِّينِيَّةُ وَالْأُخْرَوِيَّةُ عَلَى مُتَعَاطِيهِ، وَالِاسْتِعَاذَةُ مِنْهُ أمراً وخبراً، قال تعالى: "وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حتى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣)} (سورة: البقرة).

وقال عز وجل: " وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ "، والنفاثات هي السَّوَاحِرُ يَعْقِدْنَ وَيَنْفُثْنَ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ بهذه النصوص وغيرها أَنَّ السِّحْرَ حَقِيقَةٌ وُجُودُهُ وَلَهُ تَأْثِيرٌ فَمِنْهُ مَا يُمْرِضُ وَمِنْهُ مَا يَقْتُلُ وَمِنْهُ مَا يَأْخُذُ بِالْأَبْصَارِ، وَمِنْهُ مَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وزوجه كما في الآية، لَكِنَّ تَأْثِيرَهُ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ بِمَا قَدَّرَهُ الله سبحانه وتعالى وقضاه وخلقه عندما يلقي الساحر وما يلقي.

وقد نقل النووي عن المازري رحمهما الله أن مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَجُمْهُور عُلَمَاء الْأُمَّةِ عَلَى إثبات السحر، وأنه لَهُ حَقِيقَةً كَحَقِيقَةِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الثَّابِتَةِ خِلَافًا لِمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَنَفي حَقِيقَتَهُ، وَأَضَافَ مَا يَقَعُ مِنْهُ إِلَى خَيَالَاتٍ بَاطِلَةٍ لَا حَقَائِقَ لَهَا، وَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ تعالى فِي كِتَابِهِ وَذَكَرَ أَنَّهُ مِمَّا يُتَعَلَّمُ وَذَكَرَ مَا فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ مِمَّا يَكْفُرُ بِهِ وَأَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَهَذَا كُلُّهُ لا يمكن فيما لا حقيقة له. أهـ. وقال النووي أيضاً: قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ السِّحْرَ لَهُ حَقِيقَةٌ إِلَّا أَبَا حنيفة فإنه: قال لا حقيقة عنده. وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: وَعِنْدَنَا أَنَّ السِّحْرَ حَقٌّ وَلَهُ حَقِيقَةٌ يَخْلُقُ اللَّهُ عِنْدَهُ ما يشاء خلافاً للمعتزلة وأبي إسحاق الإسفرائيني حيث قالوا: إنه تمويه وتخييل. أهـ.

فثبت وتقرر من هذا وغيره تحقق السحر وتأثيره بإذن الله، فَأَمَّا الْقَتْلُ بِهِ وَالْأَمْرَاضُ وَالتَّفْرِقَةُ بَيْنَ الْمَرْءِ وزوجه وأخذه بِالْأَبْصَارِ فَحَقِيقَةٌ لَا مُكَابَرَةَ فِيهَا، وَأَمَّا قَلْبُ الْأَعْيَانِ كَقَلْبِ الْجَمَادِ حَيَوَانًا وَقَلْبِ الْحَيَوَانِ مِنْ شَكْلٍ إِلَى آخَرَ فَلَيْسَ بِمُحَالٍ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا غَيْرَ مُمْكِنٍ فَإِنَّهُ هُوَ الْفَاعِلُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَهُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ، فَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ يُحَوِّلَ اللَّهُ ذَلِكَ عِنْدَمَا يُلْقِي السَّاحِرُ مَا أَلْقَى امْتِحَانًا وَابْتِلَاءً وَفِتْنَةً لِعِبَادِهِ وَلَكِنَّ الَّذِي أَخْبَرَنَا اللَّهُ تعالى بِهِ فِي الْوَاقِعِ مِنْ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ في قصتهم مع موسى عليه السلام إنما هو التخيل وَالْأَخْذُ بِالْأَبْصَارِ حتى رَأَوُا الْحِبَالَ وَالْعِصِيَّ حَيَّاتٍ، فنؤمن بالخير وَنُصَدِّقُهُ وَلَا نَتَعَدَّاهُ وَلَا نُبَدِّلُ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَنَا وَلَا نَقُولُ عَلَى اللَّهِ ما لا نعلم وبالله التوفيق.

١٥٧. وَالحُكْمُ عَلَى السَّاحِرِ: بِالتَّكْفِيرِ — وَحَدُّهُ الْقَتْلُ بِلاَ نَكِيرِ

- **اختلف العلماء في الساحر.. هل هو كافر، أم لا ؟**

فذهب جمهور العلماء إلى أن الساحر كافر، لأن السحر لا يتم إلا بالاستعانة بالشياطين والعبودية لها بالقول والفعل.

واستدلوا بقوله تعالى:" {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حتى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" (١٠٢)} (سورة: البقرة)، وبعضهم فصل: فقال: إن السحر منه ما هو كفر، ومنه ما لا يكون كذلك.

- **مسألة: ما حكم تعلم السحر وتعليمه ؟**

١. قول الجمهور: بأنه لا يجوز.

٢. الرازي قال: إن تعلم السحر مستحب ــ وكلام الرازي هذا كلام غريب ــ.

٣. ابن حجر رحمه الله يقول: يجوز تعلم السحر لأمرين:

- إما لتمييز ما فيه من كفر. - وإما لإزالته عمن وقع عليه.

والأول هو الأرجح لما تقدم أن السحر لا يكون إلا بالكفر.

١٥٧. وَالحُكْمُ عَلَى السَّاحِرِ: بِالتَّكْفِيرِ وَحَدُّهُ ((الْقَتْلُ)) بِلاَ نَكِيرِ

١٥٨. كَمَا أَتَى فِي السُّنَّةِ الْمُصَرَّحَهْ مِمَّا رَوَاهُ التِّرْمِذِي وَصَحَّحَهْ:

١٥٩. عَنْ جُنْدُبٍ، وَهَكَذَا فِي أَثَرْ: ((أَمْرٌ بِقَتْلِهِمْ)) رُوِي عَنْ عُمَرْ

١٦٠. وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ عِنْدَ مَالِكْ مَا فِيهِ أَقْوَى مُرْشِدٍ لِلسَّالِكْ

العلماء رحمهم الله اختلفوا في حكم قتل الساحر.

وفي الباب: حديث الترمذي، " حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ "، والراجح والله أعلم أن هذا الحديث موقوف، وحديث عمر" اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ " .

وورد عن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم:"أنها قتلت جارية لها سحرتها " .

قال العلماء: الصحيح أن الساحر من أي نوع حده أن يقتل، وهل حده حد كفر وردة، أو حد لأجل أنه قتل، فيكون حد لأجل القتل، أو حد تعزير؟ اختلف العلماء في ذلك.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية تفصيل يقول فيه ما مقتضاه: إن الساحر قد لا تدرك حقيقة سحره فيترك أمره في قتله إلى الإمام، إذا رأى المصلحة في قتله قتله، وإن لم ير المصلحة في قتله لم يقتله، ويعني بالمصلحة المصلحة الشرعية، **فتحصل من ذلك أن الأقوال في حد الساحر هي:**

الأول: أنه يقتل مطلقا ردة؛ لأنه لا يكون السحر إلا بشرك.

والقول الثاني: أنه يقتل ردة إذا كان سحره بشرك، ويقتل حدا إذا كان سحره أدى إلى قتل غيره بغير ما فيه إشراك، من مثل الأدوية، والتعويذات، ونحو ذلك مما ذكرنا.

والثالث: القول الذي عزي إلى شيخ الإسلام: من أنه كالزنديق يترك أمره إلى الإمام بحسب ما يراه، إن رأى المصلحة الشرعية في قتله قتله، وإلا عاقبه بما دون القتل.

والذين قالو إن الساحر لا يقتل، استدلوا أيضاً ببعض الأحاديث ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل " لبيد بن الأعصم ".

١٦١. هَـذَا وَمِـنْ أَنْـوَاعِـهِ وَشُـعَـبِـهْ: ((عِلْمُ النُّجُـومِ)) فَـادْرِ هَـذَا وَانْـتَـبِـهْ

التنجيم نوع من أنواع السحر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر.. زاد ما زاد ".

- **علم النجوم أنوا ع عديدة، منها:**

١. وهو أَعْظَمُهَا، مَا يَفْعَلُهُ عَبَدَةُ النُّجُومِ وَيَعْتَقِدُونَهُ فِي السَّبْعَةِ السَّيَّارَةِ وَغَيْرِهَا فَقَدْ بَنَوْا بُيُوتًا لِأَجْلِهَا وَصَوَّرُوا فِيهَا تَمَاثِيلَ سَمَّوْهَا بِأَسْمَاءِ النُّجُومِ وَجَعَلُوا لها مناسك مخصوصة لعبادتها.

٢. ومنهم من يقوم بكتابة حروف أبا جَادَ وَيَجْعَلُ لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا قَدْرًا مِنَ الْعَدَدِ مَعْلُومًا وَيُجْرِي عَلَى ذَلِكَ أَسْمَاءَ الْآدَمِيِّينَ والأزمنة والأمكنة... إلخ، ويجمع ويطرح بطرق عنده وينسب ذلك إلى الأبراج الاثني عشر ثم يحكي على ذلك بالسعود والنحوس.

٣. ومنها النظر في حركات الأفلاك ودوراتها وَطُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا وَاقْتِرَانِهَا وَافْتِرَاقِهَا مُعْتَقِدِينَ أَنَّ لِكُلِّ نجم منها تأثيرات في كل حركة من حركاته منفرداً وأخرى عند اقترانه بغيره من هبوب الرياح وغلاء الأسعار وغير ذلك.

٤. ومنها النظر إلى مَنَازِلِ الْقَمَرِ الثَّمَانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ مَعَ اعْتِقَادِ التَّأْثِيرَاتِ فِي اقْتِرَانِ الْقَمَرِ بِكُلٍّ مِنْهَا وَمُفَارَقَتِهِ وَأَنَّ في ذلك سعوداً أو نحوساً وتأليفاً أو تفريقاً.

وهذه الأربعة محرمة، اما معرفة المواسم والأوقات، وتحديد القبلة، وغيرها مما يسمى بعلم التسيير فلا بأس به وهو جائز.

قال رحمه الله تعالى:

١٦٢. وَحِلُّـهُ ((بِالْوَحْـيِ)) نَـصًّـا يُشْـرَعُ أَمَّـا بِـسِـحْـرٍ مِـثْـلِـهُ: فَـيُـمْـنَـعُ

إذًا حل السحر بالقرآن هو من جملة الرقي.

أما بسحر مثله فيمنع، وهذا هو الراجح، فقد رقى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم،

وقال تعالى: {مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١)} (سورة: يونس).

قال رحمه الله تعالى:

١٦٤. وَمَـنْ يُصَـدِّقْ كَاهِنـاً: فَقَـدْ كَـفَـرْ بِمَـا أَتَـى بِـهِ الرَّسُـولُ الْـمُـعْـتَـبَـرْ

- **الكاهن:**

هو من يدعي علم الغيب.. قال تعالى{ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣)} (سورة: الشعراء).

وكان الكهان يقومون بعدة أمور، مثلاً: كان الناس يتحاكمون إليهم، لذلك سماهم الله الطواغيت،وكانوا يدعون علم الغيب، وكانوا يتعاطون الطب وشفاء المرضى إلى غير ذلك.

- **ما حكم سؤال الكهنة ؟**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ" وقال: "مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً".

وإن صدق الإنسان الكاهن فهنا تفصيل:

١. إن اعتقد أن الكاهن يؤثر بنفسه وأنه يعلم الغيب فقد كفر.

٢. إن سأله وصدقه و لم يعتقد ما سبق فهو ليس بكافر.

- **الكاهن كافر من وجوه عدة:**

١- أنه ادعىّ علم الغيب، وعلم الغيب لا يجوز إلا لله عز وجل.

٢- ومنها أن دعوة الكاهن تتضمن التكذيب بالكتاب والسنة.

وسيأتي مزيد إيضاح لهذه الأمور في شرح كتاب التوحيد إن شاء الله تعالى.

فَصْلٌ:

يَجْمَعُ مَعْنَى حَدِيثِ جِبْرِيلَ الْمَشهُورِ فِي تَعليمنَا الدِّينَ،وَأَنَّهُ يَنقَسِمُ إِلَى ثَلاثِ مَراتِبَ: الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ، وَبَيَانَ أَرْكَانِ كُلٍّ مِنْهَا.

١٦٤. اِعْلَمْ بِأَنَّ ((الدِّيْنَ)) قَوْلٌ وَعَمَلْ ... فَاحْفَظْهُ وَافْهَمْ مَا عَلَيْهِ ذَا اشْتَمَلْ

١٦٥. كَفَاكَ مَا قَدْ قَالَهُ الرَّسُولُ ... إِذْ جَاءَهُ يَسْأَلُهُ جِبْرِيلُ

١٦٦. عَلَى ((مَرَاتِبٍ)) ثَلاَثٍ فَصَّلَهْ ... جَاءَتْ عَلَى جَمِيْعِهِ مُشْتَمِلَهْ:

١٦٧. الإِسْلاَمِ وَالإِيْمَانِ وَالإِحْسَانِ ... وَالْكُلُّ مَبْنِيٌّ عَلَى أَرْكَانِ

١٦٨. فَقَدْ أَتَى ((الإِسْلاَمُ)) مَبْنِيٌّ عَلَى ... خَمْسٍ، فَحَقِّقْ وَادْرِ مَا قَدْ نُقِلاَ

١٦٩. أَوَّلُهَا: الرُّكْنُ الأَسَاسُ الأَعْظَمُ ... وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيْمُ الأَقْوَمُ

١٧٠.رُكْنُ الشَّهَادَتَيْنِ، فَاثْبُتْ وَاعْتَصِمْ ... بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لاَ تَنْفَصِمْ

١٧١. وَثَانِياً: إِقَامَةُ الصَّلاَةِ ... وَثَالِثاً: تَأْدِيَةُ الزَّكَاةِ

١٧٢.وَالرَّابِعُ: الصِّيَامُ فَاسْمَعْ وَاتَّبِعْ ... وَالْخَامِسُ: الْحَجُّ عَلَى مَنْ يَسْتَطِعْ

١٧٣. فَتِلْكَ خَمْسَةٌ، ((وَلِلإِيْمَانِ)): ... سِتَّةُ أَرْكَانٍ بِلاَ نُكْرَانِ:

- **الدين في اللغة: يطلق على معان عدة منها:**

١. الطاعة والانقياد. يقال: دان ديناً وديانة، أي: خضع، وذل وأطاع.

٢. ما يتدين به الإنسان، يقال: دان بكذا، أي: اتخذه ديناً وتعبد به.

والمعنى الثاني يدخل في مفهومه المعنى الأول؛ لأن من دان بدين خضع لتعاليمه وانقاد لها.

والدين الإسلامي:

هو الدين الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم، جعله خاتمة الأديان، وأكمله لعباده، وأتم به عليهم النعمة.

- ودين الإسلام، الذي بعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم يقوم على ثلاثة أسس:

الأساس الأول: الاستسلام لله بالتوحيد.

الأساس الثاني: الانقياد لله تعالى بالطاعة.

الأساس الثالث: البراءة من الشرك وأهله، فهذه الأمور الثلاثة هي التي ينتظمها دين الإسلام.

- **والدين قول وعمل،** قول بالقلب وقول باللسان، وعمل بالقلب، وعمل باللسان، وعمل بالجوارح.

وبعض العلماء يقول – وهو الصحيح – أنها أربعة:

١. قول بالقلب.
٢. وقول باللسان.
٣. وعمل بالقلب.
٤. وعمل بالجوارح (واللسان جارحة من الجوارح، فعمل الجوارح يشمل عمل اللسان وغيره من الجوارح).

- **تفصيل أركان الإيمان:**

- **قول القلب:**

هو تصديقه وإيقانه، قال الله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥)} (سورة: الأنعام)، وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا (١٥)} (سورة: الحجرات)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وهو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقضاء والقدر خيره وشره وهو نفس معنى الاعتقاد.

- **عمل القلب:**

مثل النية والإخلاص والمحبة، والرجاء والتوكل والخشوع والأدلة على ذلك كثيرة مشهورة، ومنها قوله تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ (٣)} (سورة: الزمر).

وَقَالَ تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حتى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يجدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –:"إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلى دنيا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إليه"، وَقَالَ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتى أَكُونَ أَحَبَّ إليه مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ".

- **قول اللسان:**

هو النطق بالشهادتين:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ» .

- **عمل الجوارح واللسان:**

عمل الجوارح ومنها عمل اللسان، وعمل الجوارح: كالصلاة، والجهاد، والحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد جمعت الصلاة بين كل أركان الإيمان.

وعمل اللسان هو العمل الذي يقوم به اللسان مثل قراءة القرآن والأذكار، والدعاء.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ}، (الرَّعْدِ: ٢٢)، وَقَالَ تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عليه حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)}(سورة: التَّوْبَةِ).

- لو انتفي ركن من أركان الإيمان خرج المرء من الدين، فلو أن أحدًا ترك عمل الجوارح بالكلية فهو كافر ولو نطق بالشهادة، ومن قال إن عمل الجوارح ليس ركنًا في الإيمان فقد قال بقول المرجئة، إلَّا أن يكون قائلًا بأنه شرط لازم، فقد قال خلاف الأولى .

- **مسألة: الفرق بين الإيمان والإسلام ؟**

*** أولاً: تعريف الإسلام:**

الإسلام **لغة:** الانقياد والإذعان.

أما في **الشريعة،** فلإطلاقه حالتان:

الحَالَةُ الأُولَى: أن يطلق على الانفراد غَيْرَ مُقْتَرِنٍ بِذِكْرِ الْإِيمَانِ فَهُوَ حينئذٍ يُرَادُ به الدين كله، أصوله وفروعه، من اعتقاداته وأقواله وأفعاله لقوله تعالى: {إن الدين عند الله الإسلام}، وقوله تعالى: {وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}، وقوله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ منه}، وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً}، أي في كافة شرائعه. ويقول – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: "إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ كُلَّ حَسَنَةٍ كَانَ أَزْلَفَهَا وَمُحِيَتْ عَنْهُ كُلُّ سَيِّئَةٍ كَانَ أزلفها) فَإِنَّ الِانْقِيَادَ ظَاهِرًا بِدُونِ إِيمَانٍ لَا يَكُونُ حُسْنَ إِسْلَامٍ بَلْ هُوَ النِّفَاقُ فَكَيْفَ تُكْتَبُ له حسنات أو تمحى عنه سيئات؟.

الْحَالَةُ الثَّانِيَةُ: أَنْ يُطْلَقَ مُقْتَرِنًا بِالِاعْتِقَادِ فَهُوَ حِينَئِذٍ يُرَادُ بِهِ الْأَعْمَالُ وَالْأَقْوَالُ الظَّاهِرَةُ، كَقَوْلِهِ تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قلوبكم} (سورة: الحجرات)، وكقوله – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – لَمَّا قَالَ لَهُ سعد رضي الله عنه: مالك عَنْ فُلَانٍ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: (أَوْ مُسْلِمٌ) يَعْنِي أَنَّكَ لَمْ تَطَّلِعْ عَلَى إِيمَانِهِ وَإِنَّمَا اطَّلَعْتَ عَلَى إِسْلَامِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، وَفِي رِوَايَةِ النسائي: (لاتقل مُؤْمِنٌ وَقُلْ مُسْلِمٌ) وَكَحَدِيثِ عُمَرَ هَذَا، وَغَيْرِ ذلك من الآيات والأحاديث.

*** ثانيا: تعريف الإيمان:**

أ- الإيمان لغة وشرعاً:

الإيمان لُغَةً: التَّصْدِيقُ. قَالَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لِأَبِيهِمْ: " وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا "أي بمصدق.

وأما في الشريعة: فلإطلاقه حالتان:

الْأُولَى: أَنْ يُطْلَقَ عَلَى الْإِفْرَادِ غَيْرَ مُقْتَرِنٍ بِذِكْرِ الْإِسْلَامِ فَحِينَئِذٍ يُرَادُ بِهِ الدِّينُ كُلُّهُ، القول والعمل.

والثانية: أن يطلق مَقْرُونًا بِالْإِسْلَامِ وَحِينَئِذٍ يُفَسَّرُ بِالِاعْتِقَادَاتِ الْبَاطِنَةِ كَمَا في حديث جبريل وما في معناه وكقوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} في كثير مِنَ الْآيَاتِ، وَكَقَوْلِهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: (اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهِ عَلَى الْإِيمَانِ) وَذَلِكَ أن الأعمال بالجوارح إنما يتمكن منها في الحياة أما عِنْدُ الْمَوْتِ فَلَا يَبْقَى غَيْرُ قَوْلِ الْقَلْبِ وعمله. أما أمثلة الحالة الأولى فمنها قوله تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النور}، وقوله تعالى: {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}، وقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عليهمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)} (سورة: الأنفال)، وقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (الأنفال)، وَقَوْلِهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ"، وَفَسَّرَهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – بِذَلِكَ كله – أمور الدين الظاهرة والباطنة– فِي حَدِيثِ وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا فَقَالَ: (آمُرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ) قَالَ: (أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ) ؟ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ (شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وأن محمد رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رمضان، وأن تؤدوا من المغنم الخمس)، وفي الصحيحين أيضاً: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطريق) وسمى الله تعالى الصلاة في قوله:"وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ" – أي صلاتكم الأولى إلى بيت المقدس – .

وهذا المعنى هو الذي قصده السلف كما نقله الشافعي رحمه الله عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم إجماعاً، قالوا: إِنَّ الْإِيمَانَ اعْتِقَادٌ وَقَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَإِنَّ الْأَعْمَالَ كلها داخلة في مسمى الْإِيمَانَ، وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي أَرَادَ الْبُخَارِيُّ إِثْبَاتَهُ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ وَعليه بَوَّبَ أَبْوَابَهُ كُلَّهَا فَقَالَ: (بَابُ أُمُورِ الْإِيمَانِ) وَ (بَابُ الصَّلَاةِ مِنَ الْإِيمَانِ) وَ (بَابُ الزَّكَاةِ مِنَ الإيمان)...

وقال الثوري في التفرقة بين العمل والإيمان: هُوَ رَأْيٌ مُحْدَثٌ أَدْرَكْنَا النَّاسَ عَلَى غَيْرِهِ. وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: كَانَ مَنْ مَضَى مِنَ السَّلَفِ لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْعَمَلِ وَالْإِيمَانِ وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْأَمْصَارِ: أَمَّا بَعْدُ فإن الإيمان فرائض وشرائع فمن استكملها فقد اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الإيمان. وكلام أئمة الحديث في كتبهم يطول ذكره، وَمِمَّا قَصَدُوهُ بِذَلِكَ الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ الذين أخرجوا الأعمال من الإيمان أو قصروا الإيمان على بعض أجزائه كمن قال إن الإيمان هو مجرد التصديق أو غير ذلك من مقالات المبتدعة كما سنبينه بمشيئة الله تعالى في الكلام على أقوال المخالفين لأهل السنة في الإيمان، والمقصود هنا تقرير المذهب الصحيح، مذهب أهل السنة والجماعة الذي يقضي بأن الدين الذي لا ينجوا أحد إلا به قول وعمل، هذا هو معنى الإيمان الذي قصده السلف كما ذكرنا فصار الإيمان يتضمن أموراً أربعة كما هو مفصل فيما سبق.

وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ إِذَا أُفْرِدَ كُلٌّ مِنَ الْإِسْلَامِ والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ، بك كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى انْفِرَادِهِ يَشْمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ، وإن فرق بين الاسمين كان الفرق بما في هذا الحديث الجليل – حديث جبريل عليه السلام – وَالْمَجْمُوعُ مَعَ

الْإِحْسَانِ هُوَ الدِّينُ كَمَا سَمَّى النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – ذَلِكَ كُلَّهُ دِينًا، وَبِهَذَا يَحْصُلُ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ وَبَيْنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا تَفْسِيرُ الْإِيمَانِ بِالْإِسْلَامِ والإسلام بالإيمان وبذلك جمع بينه وبينها أهل العلم، وهـذا كاسم الفقير والمسكين إذا أُفْرِدَ أَحَدُهُمَا دَخَلَ فِيهِ كُلُّ مَنْ هُوَ مُحْتَاجٌ، فَإِذَا قُرِنَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ دَلَّ أَحَدُ الِاسْمَيْنِ عَلَى بَعْضِ أَنْوَاعِ ذَوِي الْحَاجَاتِ وَالْآخَرُ عَلَى بَاقِيهَا، فَهَكَذَا اسْمُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ إِذَا أُفْرِدَ أَحَدُهُمَا دَخَلَ فِيهِ الْآخَرُ وَدَلَّ بِانْفِرَادِهِ عَلَى مَا يَدُلُّ عليه الْآخَرُ بِانْفِرَادِهِ، فَإِذَا قُرِنَ بَيْنَهُمَا دَلَّ أَحَدُهُمَا عَلَى بَعْضِ مَا يَدُلُّ عليه بِانْفِرَادِهِ وَدَلَّ الْآخَرُ عَلَى الْبَاقِي.

- فائدة:

- **أنواع الكفر:**

إذا حققت أركان الإيمان السابقة تَحْقِيقًا بَالِغًا وَعَرَفْتَ مَا يُرَادُ بِهَا مَعْرِفَةً تامة وفهمت فهماً واضحاً ثم أنعمت النظر في أضدادها ونواقضها يتبين ذلك أَنْوَاعُ الْكُفْرِ لَا تَخْرُجُ عَنْ أَرْبَعَةٍ:

كُفْرُ جهل وتكذيب، وكفر جحود وكتمان أو إنكار، وَكُفْرُ عِنَادٍ وَاسْتِكْبَارٍ، وَكُفْرُ نفاق. فَأَحَدُهَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَإِنِ اجْتَمَعَتْ فِي شَخْصٍ فظلمات بعضها فوق بعض لأنها إما أن تنفي هَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا – قَوْلُ الْقَلْبِ وَعَمَلُهُ وَقَوْلُ اللسان وعمل الجوارح – أو ينتفي بعضها، على النحو التالي:

١. فإن انتفت كلها اجتمع أنواع الكفر على النفاق.

٢. وَإِنِ انْتَفي تَصْدِيقُ الْقَلْبِ مَعَ عَدَمِ الْعِلْمِ بالحق، فكفر الجهل والتكذيب، وذلك ككفر مشركي العرب. قال تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ولما يأتهم تأويله}.

٣. وَإِنْ كَتَمَ الْحَقَّ مَعَ الْعِلْمِ بِصِدْقِهِ، فَكُفْرُ الجحود والكتمان أو الإنكار وذلك ككفر فرعون وملئه. قَالَ تعـالى: " وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ".

٤. وَإِنِ انْتَفي عَمَلُ الْقَلْبِ مِنَ النِّيَّةِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْإِذْعَانِ مَعَ انْقِيَادِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ، فَكُفْرُ نفَـاقٍ – سَـوَاءٌ وُجِدَ التَّصْدِيقُ الْمُطْلَقُ أَوِ انْتَفي وسواء انتفي بتكذيب أو شك – وذلك ككفر ابن سلول وشيعته. قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِاليوم الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَـهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أليم بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)} إلى قوله تعـالى: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)}(سورة: البقرة).

٥. وَإِنِ انْتَفي عَمَلُ الْقَلْبِ وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ مَعَ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَلْبِ وَالِاعْتِرَافِ بِاللِّسَانِ، فَكُفْرُ عِنَادٍ وَاسْـتِكْبَارٍ، وذلـك كَكُفْرِ إِبْلِيسَ وَكُفْرِ غَالِبِ اليهود الَّذِينَ شَهِدُوا أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – حَقٌّ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ أَمْثَالِ حُيَيِّ بْـنِ أَخْطَبَ وَكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَغَيْرِهِمْ، وَكُفْرِ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ عِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا.

٦. وَمُحَالٌ أَنْ يَنْتَفِيَ انْقِيَادُ الْجَوَارِحِ بِالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ مَعَ ثُبُوتِ عَمَلِ الْقَلْبِ. قال النبي – صلى الله عليه وسـلم –: [ألا وإن فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كله، وإن فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ].

ومما سبق يَتَبَيَّنُ لَكَ أَنَّ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْإِيمَانِ هُوَ التَّصْدِيقُ عَلَى ظَاهِرِ اللُّغَةِ أَنَّهُمْ إِنَّمَا عَنَوُا التَّصْدِيقَ الْإِذْعَانِيَّ الْمُسْتَلْزِمَ لِلِانْقِيَادِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِلَا شَكٍّ، لَمْ يَعْنُوا مُجَرَّدَ التَّصْدِيقِ، فَإِنَّ إِبْلِيسَ لَمْ يُكَذِّبْ فِي أَمْرِ اللَّهِ تعالى لَهُ بِالسُّجُودِ وَإِنَّمَا أَبَى عَنْ الِانْقِيَادِ كُفْرًا وَاسْتِكْبَارًا، وَاليهود كَانُوا يَعْتَقِدُونَ صِدْقَ الرَّسُولِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ– وَلَمْ يتبعوه،

وفرعون كان يعتقد صدق موسى عليه السلام و لم ينقد له بَلْ جَحَدَ بآيَاتِ اللَّهِ ظُلْمًا وَعُلُوًّا، فَأَيْنَ هذا من تصديق من قال الله فِيهِ: {وَالَّذِي جَاءَ بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ المتقون}، وأين تصديق من قال الله تعالى فيهم: {قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا}، و{قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عليكم لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}، مِنْ تَصْدِيقِ مَنْ قَالُوا: {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإليك الْمَصِيرُ}.

- **الكفر الأصغر:**

وهو لا يخرج صاحبه من الملة ولا يوجب الخلود في النار وإنما عليه الوعيد الشديد، وهو كفر النعمة، وجميع ما ورد في النصوص من ذكر الكفر الذي لا يصل إلى حد الكفر الأكبر. ومن الأمثلة عليه:
ما ورد في قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)} (سورة: النحل).
وفي قوله صلى الله عليه وسلم: [اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ]، رواه مسلم .
وفي قوله صلى الله عليه وسلم: [لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ]. رواه البخاري ومسلم.
فهذا وأمثاله كفر دون كفر وهو لا يخرج من الملة الإسلامية.
لقوله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حتى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)} (سورة: الحجرات)، فسماهم الله عز وجل مؤمنين مع الاقتتال.
ولقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)} (سورة: النساء)، فدلت الآية الكريمة على أن كل ذنب دون الشرك تحت المشيئة أي إن شاء الله عذبه بقدر ذنبه وإن شاء عفا عنه من أول وهلة، إلا الشرك به فإن الله لا يغفره كما هو صريح في الآية وقوله تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عليه الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ(٧٢)} (سورة: المائدة).
وقد اختلف العلماء هل الشرك الأصغر، - ومثله الكفر الأصغر، اختلفوا - هل يدخلان تحت المشيئة، أم لا بد من أن يدخلا تحت الموازنة، وهما قولان، ويظهر منهما عظم هذه المسألة .

قال رحمه الله تعالى:

١٧٤. إِيمَانُنَا بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَمَا لَهُ مِنْ صِفَةِ الْكَمَالِ
١٧٥. وَبِالْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةْ وَكُتْبِهِ الْمُنْزَلَةِ الْمُطَهَّرَةْ

الملائكة: جمع مَلَك. أخذ من (الأُلوكِ) وهي: الرسالة.
وهم: خلق من مخلوقات الله، لهم أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

وهم عِبَادِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَلَقَهُمُ اللَّهُ تعالى من النور لعبادته، ففي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: " خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ ".

والإيمان بالملائكة يتضمن أمورًا:

١. الإيمان والتصديق بوجودهم: قال تعالى: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١١)} (سورة: الرعد).

٢. أنهم عباد لله مطيعون... قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عليها مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)} (سورة: التحريم).

٣. بطلان قول باطل قيل فيهم، مثلا: قول القائل: هل هم رجال أم إناث ؟

فالجواب: لا نقول فيهم ذكوراً أو إناثاً، ولكننا نبطل يقيناً أنهم: إناث.. قال تعالى: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} (سورة: الزخرف) .

وزعم الفلاسفة أنهم كواكب وهذا باطل.

٤. الإيمان بمن سمى الله منهم مثل:(حملة العرش، جبريل، ميكائيل، اسرافيل، ملك الموت، منكر ونكير، رقيب وعتيد، مالك خازن النار).

٥. نؤمن بأنهم خلقوا من نور، والإيمان بصفاتهم التي ذكرها الله لنا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [خُلِقَتِ الْمَلاَئِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ].

٦. ومن الإيمان: الإيمان بجمال الملائكة وأن لهم أجنحة.. قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)} (فاطر).

٧. وأنهم لا يأكلون ولا يشربون.. قال تعالى:" {فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إليه نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠)} (هود).

٨. وأن لهم أعمالا: فمن ذلك أعمال رؤساء الملائكة، جبريل وميكائيل وإسرافيل، وهي أجل الأعمال: رسول الوحي وأمينه، والكل بالأرزاق، والموكل بالنفخ في الصور، وكذلك عمل ملك الموت وهو قبض أرواح العباد .

ومن ذلك أيضًا:

١. حملة العرش... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة سنة..يقول ذلك الملك سبحانك حيث كنت].

٢. النزول عند قبض أرواح العباد: قَالَ تعالى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١)} (السجدة)، وَقَالَ تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عليكم حَفَظَةً حتى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١)} (الأنعام)، وقد يترلون لتبشير العبد الصالح .

٣. ومنهم خزنة الجنة، ومقدمهم رضوان عليه السلام، قال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عليكم طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣)}. (الزمر).

٤. ومنهم خزنة جهنم وهم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر عليهم السلام، قال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حتى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عليكم آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١)} (الزمر)، وَقَالَ تعالى: {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ علينا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (٧٧)} (الزخرف)، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ:"يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، كُلُّ زِمَامٍ فِي يد سبعين ألف ملك يجرونها".

٥. ومنهم الموكل بالجبال، وقد ثبت ذكره خُرُوجِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – إِلَى بَنِي عَبْدِ ياليلَ وَعَوْدِهِ مِنْهُمْ، وَفِيهِ قَوْلُ جِبْرِيلَ لَهُ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: "إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوهُ عليك. وَفِيهِ قَوْلُ مَلَكِ الْجِبَالِ: إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عليهمُ الْأَخْشَبَيْنِ" فَقَالَ – صَلَّى الله عليه وسلم "–: "بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا".

- **والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:**

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

قال رحمه الله:

١٧٥. وَبِالْمَلائِكَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَهْ وَكُتْبِهِ الْمُنْزَلَةِ الْمُطَهَّرَهْ

فهذا هو الركن الثالث من أركان الإيمان في حديث جبريل عليه السلام أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.

الكتب جمع كتاب، والكتاب مصدر كتب يكتب كتابا، ثم سمي به المكتوب والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها كما في قوله تعالى: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عليهمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ} (النساء: ١٥٣)، يعني: صحيفة مكتوباً فيها.

والمراد بالكتب هنا: الكتب والصحف التي حوت كلام الله تعالى الذيَ أوحاه إلى رسله عليهم السلام، سواء ما ألقاه مكتوبا كالتوراة، أو أنزله عن طريق الملك مشافهة فكتب بعد ذلك كسائر الكتب.

وقد وردت أدلة تدل على وجوب الإيمان بالكتب: قال الله عز وجل: {وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ} (الشورى: ١٥)، وقال سبحانه: {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ علينا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤)} (آل عمران)، وقال الله عزوجل: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إلينا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)} (البقرة).

- **ويقتضي الإيمان بالكتب عددا من الأمور منها:**

١. التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِأَنَّ كُلَّهَا مُنَزَّلٌ من عند الله على رسله إلى عباده بالحق والهدى.

٢. وأنه كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا كَلَامَ غَيْرِهِ، وأنه تعالى تكلم به حَقِيقَةً كَمَا شَاءَ وَعَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَ، فَمِنْهَا الْمَسْمُوعُ مِنْهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ بِدُونِ واسطة، ومنها ما يسمعه الرسول الملكي ويؤمر بتبليغه إِلَى الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ، كَمَا قَالَ تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ على حَكِيمٌ (٥١)} (الشورى)، وقال تعالى: "{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤)} (النساء). وَالْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنَ الشَّرَائِعِ وَأَنَّهُ كَانَ وَاجِبًا عَلَى الْأُمَمِ الَّذِينَ نَزَلَتْ إليهِمُ الصُّحُفُ الْأُولَى الِانْقِيَادُ لَهَا وَالْحُكْمُ بِمَا فِيهَا كَمَا قَالَ تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بها النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عليه شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)} (المائدة)، الآيات.

٣. وأن كل من كذب بشيء منها أو أبى الِانْقِيَادِ لَهَا مَعَ تَعَلُّقِ خِطَابِهِ بِهِ يَكْفُرُ بِذَلِكَ كَمَا قَالَ تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حتى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠)} (الأعراف).

٤. وَإِنَّ جَمِيعَهَا يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا لَا يُكَذِّبُهُ كما قال تعالى فِي الْقُرْآنِ: {وَأَنْزَلْنَا إليك الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عليه فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨)} (المائدة).

٥. وَأَنَّ نَسْخَ الْكُتُبِ الْأُولَى بَعْضِهَا بِبَعْضٍ حَقٌّ كَمَا نُسِخَ بَعْضُ شَرَائِعِ التَّوْرَاةِ بِالْإِنْجِيلِ، قَالَ الله تعالى في عيسى عليه السلام: " {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عليكم وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠)} (المائدة)، وَكَمَا نُسِخَ كَثِيرٌ مِنْ شَرَائِعِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ بالقرآن كما قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عليهمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عليهم فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)} (الأعراف)، وأن نسخ القرآن بعض آياته بعض حق كما قال تعالى: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)} (البقرة)، وقال تعالى: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)} (النحل)، وَكَمَا قَالَ تعالى: {الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ

يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)} (الأنفال)، بعد قوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥)} (الأنفال)، وَالنَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ آيَاتٌ مَشْهُورَاتٌ مَذْكُورَاتٌ فِي مَوَاضِعِهَا مِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَغَيْرِهَا، وَأَنَّهُ لَا يَأْتِي كتاب بعد القرآن الكريم وَلَا مُغَيِّرَ وَلَا مُبَدِّلَ لِشَيْءٍ مِنْ شَرَائِعِهِ بعده فهو المهيمن على الكتب قبله والحاكم عليها وليس لأحد الخروج عن شيء من أحكامه، وأنه مَنْ كَذَّبَ بِشَيْءٍ مِنْهُ مِنَ الْأُمَمِ الْأُولَى فَقَدْ كَذَّبَ بِكِتَابِهِ كَمَا أَنَّ مَنْ كَذَّبَ بما أخبر عنه القرآن من الكتب السابقة فَقَدْ كَذَّبَ بِهِ، وَأَنَّ مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ سبيله و لم يقتف أثره ضل.

٦. ثُمَّ الْإِيمَانُ بِكُتُبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَجِبُ إِجْمَالًا فِيمَا أَجْمَلَ وَتَفْصِيلًا فِيمَا فَصَّلَ فَقَدْ سَمَّى اللَّهُ تعالى مِنْ كُتُبِهِ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، وَالْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى، وَالزَّبُورَ عَلَى دَاوُدَ، والقرآن على محمد، وذكر صحف إبراهيم وموسى، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وقد أخبر الله تعالى عَنِ التَّنْزِيلِ عَلَى رُسُلِهِ مُجْمَلًا فِي قَوْلِهِ: {وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦)} (النساء).

٧. ثم إنه لابد في الإيمان بالكتاب مِنَ امْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ مَنَاهِيهِ وَتَحْلِيلِ حَلَالِهِ وَتَحْرِيمِ حَرَامِهِ، وَالِاعْتِبَارِ بِأَمْثَالِهِ وَالِاتِّعَاظِ بِقَصَصِهِ، وَالْعَمَلِ بِمُحْكَمِهِ وَالتَّسْلِيمِ لِمُتَشَابِهِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حُدُودِهِ وَتِلَاوَتِهِ آناء الليل والنهار والذب عنه والنصيحة له ظاهراً وباطناً بجميع معانيها، وطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما أمر به والانتهاء عما نهى عنه، فذلك كله مأمور به في الكتاب، قال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧)} (الحشر)، وقال تعالى: في التسليم للمتشابه: {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)} (آل عمران).

- **والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:**

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم. كما قال الله تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً (٤٨)} (سورة: المائدة).

قال رحمه الله:

١٧٦. وَرُسْلِهِ الْهُدَاةِ لِلأَنَامِ	مِنْ غَيْرِ تَفْرِيْقٍ وَلاَ إِيْهَامِ
١٧٧. أَوَّلُهُمْ نُوحٌ بِلاَ شَكٍّ، كَمَا	أَنَّ مُحَمَّدًا لَهُمْ قَدْ خَتَمَا
١٧٨. وَخَمْسَةٌ مِنْهُمْ أُولُوا الْعَزْمِ الأُلَى	فِي سُورَةِ (الأَحْزَابِ وَالشُّوْرَى) تَلاَ

- **أولا: الرسالة – هي اصطفاء واختيار من الله.**

قال تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥)} (الحج)، وقال الله عزوجل: {وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٧)} (ص).

- **وهناك فرق بين الرسول والنبي:**

النبي في اللغة: مشتق من النبأ وهو الخبر ذو الفائدة العظيمة. قال تعالى: "{عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ"(٢)} (النبأ). وسمي النبي نبيًّا لأنه مُخبرٌ من الله، ويُخْبِرُ عن الله فهو مُخبَر ومُخبِر.

وقيل النبي مشتق من النباوة: وهي الشيء المرتفع.

وسمي النبي نبيًّا على هذا المعنى: لرفعة محله على سائر الناس. قال تعالى: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عليا (٥٧)} (مريم).

والرسول في اللغة: مشتق من الإرسال وهو التوجيه. قال تعالى مخبرًا عن ملكة سبأ: {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إليهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥)} (النمل).

وقد اختلف العلماء في تعريف كل من النبي والرسول في الشرع على أقوال أرجحها:

أن النبي: هو من أوحى الله إليه بما يفعله ويأمر به المؤمنين.

والرسول: هو من أوحى الله إليه وأرسله إلى من خالف أمره ليبلغ رسالة الله.

وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة فقد كان يوسف على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا على شريعة التوراة وكلهم رسل. قال تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا (٣٤)} (غافر)، وقال تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إليك كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عليك مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عليك وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤)} (النساء).

وقد يطلق على النبي أنه رسول كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ (٥٢)} (الحج)، فذكر الله عز وجل أنه يرسل النبي والرسول. وبيان ذلك أن الله تعالى إذا أمر النبي بدعوة المؤمنين إلى أمر فهو مرسل من الله إليهم لكن هذا الإرسال مقيد. وأما الإرسال المطلق فهو بإرسال الرسل إلى عامة الخلق من الكفار والمؤمنين.

- **من كفر بالرسل كفر بالله، وحكم من كفر برسول:**

قال الله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١)} (النساء)، والإيمان برسل الله مُتَلَازِمٌ، مَنْ كَفَرَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ تعالى وَبِجَمِيعِ الرُّسُلِ عليهمُ السَّلَامُ، كَمَا قَالَ تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٥٢)} (النساء).

وقال: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)} (البقرة).

- **وعدد الرسل والأنبياء كبير:**

قال الله عز وجل: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عليك وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عليك (٧٨)} (غافر)، وقال تعالى: {وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عليك مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عليك وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤)} (النساء).

فائدة: كل الأحاديث التي وردت في تعداد النبي أو الرسول لا يثبت منها شيء.

وإن كان بعض العلماء يحسن حديث أبي ذر: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، كَمْ وَفَّى عِدَّةُ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: " مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا ".

- **معنى الإيمان بالرسل:**

١. التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِأَنَّ اللَّهَ تعالى بَعَثَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وحده بلا شريك والكفر بما يعبد من دونه، أي أن دعوتهم من أولهم إلى آخرهم قد اتفقت فِي أَصْلِ الدِّينِ وَهُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِإِلَهِيَّتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَنَفْيُ مَا يضاد ذلك أو ينافي كماله، وَأَمَّا فُرُوعُ الشَّرَائِعِ مِنَ الْفَرَائِضِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فقد تختلف لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ وَغَايَةٍ مَحْمُودَةٍ قَضَاهَا رَبُّنَا عَزَّ وجل.

٢. وأهم هداة الخلق هداية دعوة ودلالة وإرشاد إِلَى سَبِيلِ الْهُدَى كَمَا قَالَ تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عليه آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧)} (الرعد)، وَقَالَ تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣)} (الشورى). وأما هداية التوفيق وَالتَّسْدِيدِ وَالتَّثْبِيتِ فَلَيْسَتْ إِلَّا بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ مُقَلِّبُ الْقُلُوبِ وَمُصَرِّفُ الْأُمُورِ، لَيْسَ لملك مقرب ولا لنبي مرسل تصريف في شيء منها فضلاً عمن دونهما، ولذا قال تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦)} (القصص).

٣. وأن جميعهم صادقون مصدقون، أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة مؤيدون، وَأَنَّهُمْ بَلَّغُوا جَمِيعَ مَا أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ بِهِ، لم يكتموا منه حرفاً و لم يغيروا وَلَمْ يَزِيدُوا فِيهِ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ حَرْفًا و لم ينقصوه.

٤. وَأَنَّ اللَّهَ تعالى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَاتَّخَذَ محمد – صلى الله عليه وسلم – خَلِيلًا، وَكَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا وَرَفَعَ إِدْرِيسَ مَكَانًا عليا وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تعالى فضل بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات، وأن محمد – صلى الله عليه وسلم – هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

٥. ثم الإيمان بالرسل يَجِبُ إِجْمَالًا فِيمَا أَجْمَلَ وَتَفْصِيلًا فِيمَا فَصَّلَ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تعالى فِي كِتَابِهِ مِنْهُمْ آدَمَ وَنُوحًا وَإِدْرِيسَ وَهُودًا وَصَالِحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَشُعَيْبًا وَيُونُسَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَاليأس وَزَكَرِيَّا، وَيَحْيَى وَاليسع وَذَا الْكِفْلِ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ، وَذَكَرَ الْأَسْبَاطَ جُمْلَةً وَعِيسَى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقص علينا من أنبائهم ثُمَّ قَالَ: {وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عليك مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عليك وَكَلَّمَ اللَّهُ موسى تكليماً} (النساء).

١٧٧. أَوَّلُهُمْ نُوحٌ بِلاَ شَكٍّ، كَمَا ... أَنَّ مُحَمَّدًا لَهُمْ قَدْ خَتَمَا

فأول الرسل نوح عليه السلام أما آدم فكان نبيا لكنه كان نبيا قبل الاختلاف، فلم يأت ليؤكد شريعة نبي قبله، بل كان قبل أن يختلف الناس على التوحيد.

فما بين آدم وما بين نوح عشر قرون كلها على التوحيد إلى أن غير قوم نوح فأرسل الله نوح عليه السلام.

وفي الحديث: ((وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَهُ)) .

قال رحمه الله:

كَمَا أَنَّ مُحَمَّدًا لَهُمْ قَدْ خَتَمَا

كما قال تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ (٤٠)} (الأحزاب).

١٧٨. وَخَمْسَةٌ مِنْهُمْ أُولُوا الْعَزْمِ الأُلَى ... فِي سُورَةِ (الأَحْزَابِ وَالشُّوْرَى) تَلاَ

- والعلماء اختلفوا في من هم أولوا العزم:

١. فقيل: هم (أهل الصبر والقوة).

٢. وقيل أن الأنبياء كلهم أولي العزم.

٣. وقيل أنهم الذين آمرو بالجهاد.

وأقوالهم في هذه المسألة كثيرة ستة أقوال، أو سبعة أقوال والأشهر والله أعلم قول ابن عباس وقتادة أنهم الذين ذكروا في سورة: الأحزاب والشورى.

قال الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧)} (الأحزاب)، وقال تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إليك وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ (١٣)} (الشورى).

فهولاء الخمسة من الرسل هم أولو العزم وهم الذين يتراجعون الشفاعة بعد آدم عليه السلام.

- **ثمرات الإيمان بالرسل:**

إذا تحقق الإيمان بالرسل ترك آثاره الطيبة وثماره اليانعة على المؤمن فمن ذلك:

١ – العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد.

٢ – شكر الله على هذه النعمة الكبرى.

٣ – محبة الرسل وتوقيرهم والثناء عليهم بما يليق بهم لأنهم رسل الله تعالى وخلاصة عبيده، ولما قاموا به من تبليغ رسالة الله لخلقه وكمال نصحهم لأقوامهم وصبرهم على أذاهم.

ثم قال رحمه الله تعالى:

١٧٩. وَبِالْمَعَادِ أَيْقِنْ بِلاَ تَرَدُّدِ ... وَلاَ ادِّعَا عِلْمٍ بِوَقْتِ الْمَوْعِدِ

١٨٠. لَكِنَّنَا نُؤْمِنُ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا ... بِكُلِّ مَا قَدْ صَحَّ عَنْ خَيْرِ الْوَرَى

١٨١. مِنْ ذِكْرِ آيَاتٍ تَكُونُ قَبْلَهَا ... وَهِيَ عَلاَمَاتٌ وَأَشْرَاطٌ لَهَا

١٨٢. وَيَدْخُلُ الإِيْمَانُ بِالْمَوْتِ وَمَا مِنْ بَعْدِهِ عَلَى الْعِبَادِ حُتِمَا
١٨٣. وَأَنَّ كُلاًّ مُقْعَدٌ مَسْؤُولُ: مَا الرَّبُّ؟ مَا الدِّيْنُ؟ وَمَا الرَّسُولُ؟
١٨٤. وَعِنْدَ ذَا يُثَبِّتُ الْمُهَيْمِنُ بِثَابِتِ الْقَولِ: الَّذِيْنَ آمَنُوْا
١٨٥. وَيُوقِنُ الْمُرْتَابُ عِنْدَ ذَلِكَ بِأَنَّ مَا مَوْرِدُهُ الْمَهَالِكَ

بدأ في الركن الخامس فقال رحمه الله: وبالمعاد، أي: بالمرجع إلى الله عز وجل، (أيقن بلا تردد).
قال الله عزوجل: {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إليك وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)} (البقرة)، وقال سبحانه: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليوم الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ (١٧٧)} (البقرة)، وقال سبحانه: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)} (البقرة)، وقال سبحانه: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧)} (النساء)، وقال تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)} (النحل)، وقال سبحانه: {إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٣٤)} (الأنعام)، وقال تعالى: {فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧)} (المعارج) .
إلى آخر الآيات، التي دلت على وجوب الإيمان المعاد، وقد عبر عنه بالمعاد، والبعث، واليوم الأخر، وعبر عنه بأشياء كثيرة.

١٧٩. وَبِالْمَعَادِ أَيْقِنْ بِلاَ تَرَدُّدِ وَلاَ ادِّعَا عِلْمٍ بِوَقْتِ الْمَوْعِدِ

- **لا يعلم وقت الساعة إلا الله.**

قال تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)} (الأنعام).
ومن مفاتح الغيب الساعة، قال الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧)} (الأعراف).
وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عليم خَبِيرٌ (٣٤)} (لقمان)، وفي حديث جبريل:" مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ".
وأخفي الله علم الساعة عن العباد لكي يستعدوا لها وهذه الساعة قد وصفها الله تعالى بالقرب.
قال تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)} (القمر)، وقال سبحانه: {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧)} (المعارج).
وكل إنسان له ساعة، ساعة صغري وساعة كبري، فالساعة الكبري هي قيام الساعة، والصغري هي الموت.

قال النبي صلي الله عليه وسلم "إِنْ يَعِشْ هَذَا، لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ، قَامَتْ عليكم سَاعَتُكُمْ". يعني: موتكم.

قال رحمه الله:

١٨٠. لَكِنَّنَا نُؤْمِنُ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا بِكُلِّ مَا قَدْ صَحَّ عَنْ خَيْرِ الْوَرَى

١٨١. مِنْ ذِكْرِ آيَاتٍ تَكُونُ قَبْلَهَا وَهِيَ عَلامَاتٌ وَأَشْرَاطٌ لَهَا

فبدأ رحمه الله يذكر هذه الأشراط، ومن أراد التفصيل في هذه العلامات يراجع كتب العلامة د./ عمر بن سليمان الأشقر حفظه الله في سلسلة العقيدة له،كتاب القيامة الصغرى، وكتاب القيامة الكبرى، طبعة دار النفائس، التي توزعها دار السلام، والسلسلة بأكملها على الشبكة العنكبوتية.

وهناك كتاب آخر: عبارة عن رسالة دكتوراه للدكتور يوسف الوابل بعنوان أشراط الساعة، طبعة ابن الجوزي، ومتوفر أيضا على الشبكة.

والأشراط: جمع شرط وهو: العلامة. وقيل أشراط الشيء: أوائله.

جاء في لسان العرب: والاشتقاقان متقاربان لأن علامة الشيء أوله.

والساعة: جزء من أجزاء الزمن، ويعبر به عن القيامة. قال تعالى: {وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ (٨٥)} (الزخرف). والساعة من أشهر أسماء يوم القيامة في النصوص الشرعية وكلام الناس، وسمي ذلك اليوم بالساعة: لأنه يأتي بغتة فيفاجأ الناس في زمن يسير.

وأشراط الساعة: علاماتها وأماراتها التي تقع قبل قيامها. قال تعالى: { فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا (١٨)} (محمد).

- **وأشراط الساعة تنقسم إلى قسمين:**

١. أشراط كبري وهي عشر آيات.

٢. أشراط صغري وهي كثيرة جدا.

- وأيضا تنقسم أشراط الساعة إلى ماوقع وما لم يقع.

فالأشراط الصغرى منها ما قد وقع ومنها ما لم يقع، أما الكبرى، فلم يقع منها شيء.

- ومنها ما يمدح ومنها ما يذم .

فما يمدح مثل الفتوحات الإسلامية، ونزول عيسي عليه السلام، ونحو هذا مما يمدح.

ومنها ما يذم مثل: الدجال، وأدعياء النبوة، والهرج والفتن إلى آخره.

ومنها ما لا يمدح ولا يذم، مثل: عودة جزيرة العرب مروجا وأنهارا، وكون الرجل الواحد قيما لخمسين امرأة، ونحو ذلك.

- **أقسام أشراط الساعة:**

أشراط الساعة وأماراتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام من جهة البعد والقرب:

القسم الأول: الأمارات البعيدة: وهي التي ظهرت وانقضت.

منها بعثة الرسول صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم، على ما جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم أنه قال: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وَقَرَنَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السبابة والتي تليها.

ومنها انشقاق القمر على ما أخبر الله في كتابه، قال تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)} (القمر).

ومنها خروج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى على ما أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم قال: " لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى ". وقد خرجت هذه النار على ما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم في مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة وكان خروجها من شرقي المدينة النبوية وسالت بسببها أودية من نار وارتاع الناس منها ورأى ضوءها أهل الشام ورأى أهل بصرى – وهي إحدى قرى دمشق–، أعناق الإبل في ضوئها كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم.

القسم الثاني: الأمارات المتوسطة: وهي التي ظهرت و لم تنقض بل تتزايد وتكثر وهي كثيرة جدا.

ومنها ما وقع، و لم يزل يقع، ومنا ما لم يقع بعدُ، فمن الأول = أن تلد الأمة ربتها، وتطاول الحفاة العراة رعاء الشاء في البنيان، على ما جاء في حديث جبريل المشهور الذي أخرجه مسلم وقد تقدم في الفصل الأول من هذا الباب وفيه: " قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ". قَالَ فَأَخْبِرْنِى عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ " أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِى الْبُنْيَانِ ".

ومنها خروج دجالين ثلاثين يدعون النبوة كما جاء في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ الله ". وفي سنن أبي داود والترمذي من حديث ثوبان عن النبي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم: " وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ".

ومنها، – وهو لم يقع بعدُ – انحسار الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، على ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم قال: " لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتَتِلُ النَّاسُ عليه فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ لَعَلِّى أَكُونُ أَنَا الَّذِى أَنْجُو " وهذه العلامة لم تقع بعد.

القسم الثالث: العلامات الكبرى: وهي التي تعقبها الساعة إذا ظهرت. وهي عشر علامات و لم يظهر منها شيء. روى مسلم في صحيحه. عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ علينا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ مَا تَذَاكَرُونَ قَالُوا نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ اليمن تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ". وجاء في بعض الأحاديث الأخرى ذكر المهدي، وهدم الكعبة، ورفع القرآن من الأرض على ما سيأتي ذكر الأحاديث في ذلك.

والذي عليه أكثر المحققين من أهل العلم أن العلامات العشر العظمى هي هذه الثلاث وما ذكر في حديث حذيفة بن أسيد سوى الخسوف فإنها وإن كانت من علامات الساعة بلا شك كما هو نص الحديث إلا أنها تقع قبل العشر العظمى، وهي مقدمة لها، ويشهد لهذا ما جاء في رواية أخرى من حديث حذيفة بن أسيد وقد خرجها مسلم أيضا وفيها تقديم الخسوف في الذكر على غيرها من العلامات حيث قال صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حتى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَالدُّخَانُ وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ ».. ثم ذكر بقية العلامات.

قال القرطبي: (فأول الآيات على ما في هذه الرواية الخسوفات الثلاثة وقد وقع بعضها في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلِّم ذكره ابن وهب...). وفيما يلي عرض لهذه العلامات العشر مفصلة بأدلتها:

العلامة الأولى: خروج المهدي: وهو رجل من أهل البيت من ولد الحسن بن على رضي الله عنهما يخرج وقد ملئت الأرض جورا وظلما فيملؤها قسطا وعدلا يوافق اسمه اسم النبي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم واسم أبيه اسم أب النبي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلِّم على ما روى أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلِّم أنه قال: «لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حتى يَمْلِكَ العَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي».

العلامة الثانية: ظهور المسيح الدجال: وهو رجل من بني آدم يخرج في آخر الزمان فيفتن به كثير من الخلق، يجري الله على يديه بعض الأعمال الخارقة، ويدعي الربوبية ولا يروج باطله على المؤمن ويدخل الأمصار كلها إلا مكة والمدينة، ومعه نار وجنة فناره جنة وجنته نار. وقد دلت الأحاديث الصحيحة على خروجه، منها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي أخرجه مسلم في صحيحه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلِّم قال: « يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ – لاَ أَدْرِى أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا – فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ فَلاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ حتى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عليه حتى تَقْبِضَهُ "...) الحديث. وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر قال: قام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلِّم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: " إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ وَلَكِنْ سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ".

فوائد:

- **سبب تسميته بالمسيح:**

١. قيل: لأن إحدي عينيه ممسوحة، وسمي دجال لأنه كذاب.

٢. قيل أنه سمي مسيحًا لأنه يمسح الأرض في وقت يسير.

ويخرج الدجال على إثر ملحمة كبرى بين المسلمين والروم يحصل فيها مقتله عظيمة بين المسلمين والروم، فتحصل ملحمة عظيمة تفتح على إثرها القسطنطينية ويخرج المسيح الدجال.

- **صفات المسيح الدجال:**

١. أعور.
٢. مكتوب بين عينيه كافر يقرأها كاتب وغير كاتب.
٣. سريع الانتقال في الأرض أعطاه الله عز وجل قدرات خاصة.
٤. يدخل جميع الأقطار إلا مكة والمدينة، لأن الله عز وجل جعل حراسًا من الملائكة يحرسون مكة والمدينة حينما يجئ المسيح الدجال يصدونه عنها.
٥. معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار كما في صحيح مسلم.
٦. يستعين بالشياطين على إحياء الموتى وغير ذلك.
٧. يجئ لشخص يقول له لو أحييت لك أباك وأمك تؤمن بي ؟ فيقول له: نعم . فيتمثل له الشيطان في صورة أبيه وأمه، فيقولان له: يا بني اتبعه فإنه ربك ــ عياذا بالله ــ .
٨. يقتل شابا مؤمنا بالله عز وجل يكذب الدجال وهذا من أفضل الناس يومئذ، هذا الشاب يقوم يعارض المسيح الدجال فيقتله ثم يحييه فيقول ــ أي الشاب ــ ما ازدت فيك إلا يقينا.
٩. خروج الدجال من بلاد فارس = إيران، وأكثر أتباعه من النساء واليهود ويسميه اليهود المسيح بن داود، ويقتله عيسي بن مريم عليه السلام، ويُهزم أتباعه من اليهود حتى ينطق الحجر والشجر، فيقول: يا عبد الله ورائي يهودي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود، فعيسي عليه السلام هو مسيح الهدي والدجال هو مسيح الضلالة، وقيل أن المهدي سيكون من جند عيسي عليه السلام.

العلامة الثالثة: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء إلى الأرض حكمًا عدلًا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقضي على الدجال كما دلت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة. أما الكتاب فيقول الله تعالى: {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ (٦١)} (الزخرف)، وقد استدل بهذه الآية على نزول عيسى كثير من المفسرين وينقل هذا عن ابن عباس على ما أخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قال: «هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة». كما دلت على نزول عيسى عليه السلام الأحاديث الصحيحة: ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلاً فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حتى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حتى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ "وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عليهمْ شَهِيدًا"".

العلامة الرابعة: خروج يأجوج ومأجوج: وهم خلق كثير لا يدان لأحد بقتالهم قيل إنهم من ولد يافث من ولد نوح عليه السلام وقد دل على خروجهم الكتاب والسنة. قال تعالى: {حتى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا (٩٧)} (الأنبياء). وأخرج الشيخان عن زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم دخل عليها يوما فزعا يقول: " لا إله إلا

الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه؛ وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها " الحديث.

العلامة الخامسة: هدم الكعبة وسلب حليها على يد ذي السويقتين من الحبشة كما صحت بذلك السنة. فقد أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ ". وروى الإمام أحمد بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم يقول: " يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَيَسْلُبُهَا حِلْيَتَهَا، وَيُجَرِّدُهَا مِنْ كِسْوَتِهَا، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إليه أُصَيْلِعَ أُفَيْدِعَ، يَضْرِبُ عليها بِمِسْحَاتِهِ وَمِعْوَلِهِ ".

العلامة السادسة: الدخان: وهو انبعاث دخان عظيم من السماء يغشى الناس ويعمهم، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة. قال تعالى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ - يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} (الدخان:١٠-١١). ومن السنة حديث حذيفة بن أسيد المتقدم.

العلامة السابعة: رفع القرآن من الأرض إلى السماء فلا يبقى منه آية في سطر ولا صدر إلا رفعت. وقد دلت على ذلك السنة فقد أخرج ابن ماجه والحاكم من حديث حذيفة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم أنه قال: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك، وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية».

العلامة الثامنة: طلوع الشمس من مغربها. وقد دلت على هذه الآية النصوص من الكتاب والسنة. قال تعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا (١٥٨)} (الأنعام). فقد ذهب جمع من المفسرين إلى أن بعض آيات ربك، هي طلوع الشمس من مغربها. قال الطبري بعد ذكره أقوال المفسرين في الآية: (وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم أنه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها)، وروى الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم قال: " لن تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عليها فَذَاكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ .

العلامة التاسعة: خروج الدابة: وهي مخلوق عظيم قيل إن طولها ستون ذراعًا ذات قوائم ووبر، وقيل هي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات وقد دل الكتاب والسنة على خروجها قبل قيام الساعة. قال تعالى: {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عليهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢)} (النمل).
وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّهَ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم: "ثَلاَثٌ إِذَا خَرَجْنَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ في إِيمَانِهَا خَيْرًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الأَرْضِ". وأخرج

الإمام أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم قال: " تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ، ثُمَّ يَغْمُرُونَ فِيكُمْ حتى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ فَيَقُولُ: مِمَّنْ اشْتَرَيْتَهُ ؟ فَيَقُولُ: اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخَطَّمِينَ " وقد صحح سند الحديث الهيثمي وغيره.

قيل: وهي الجساسة المذكورة في صحيح مسلم، وهي دابة أهلب أي غليظة الشعر لا يدري قبلها من دبرها من كثرة الشعر، وقيل وسميت الجساسة لتجسسها الأخبار للدجال. والله أعلم.

وهذه الدابة يكون خروجها على الناس ضحى، ففي صحيح مسلم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قريباً".

العلامة العاشرة: خروج نار عظيمة تخرج من عدن تحشر الناس إلى محشرهم وهي آخر العلامات العظام. وقد دلت على هذه العلامة السنة كما جاء في حديث حذيفة بن أسيد المتقدم والذي أخرجه مسلم وفيه: " وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ ". وفي رواية من حديث حذيفة " وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ".

فهذه الأمارات أعظم أشراط الساعة التي تقع قبل قيامها فإذا انقضت قامت الساعة بإذن الله تعالى وقد ورد أن هذه الأمارات متتابعة كتتابع الخرز في النظام فإذا ظهرت إحداها تبعتها الأخرى. روى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم قال"خروج الآيات بعضها على إثر بعض، يتتابعن كما تتابع الخرز في النظام".

- فوائد:

- أشراط الساعة الكبرى قسمان:

القسم الأول: منها ما يدل على قرب قيام الساعة:

مثل الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام هذا كله يدل على قرب قيام الساعة.

القسم الثاني: يدل على وقوع الساعة:

مثل: الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، والنار التي تحشر الناس، وآخر شيء يحل هي خروج النار.

فالقسم الأول يرتب كالتالي:

١. خروج الدجال.
٢. فنزول عيسى عليه السلام.
٣. فخروج يأجوج ومأجوج.

وأما القسم الثاني؛ ففيه مسائل:

- **أيهما يخرج أولًا: طلوع الشمس من مغربها أم خروج الدابة؟**

قال النبي صلي الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا، فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا».

قال العلماء إن طلوع الشمس من مغربها أول الآيات الكونية، فهناك آيات كونية وآيات أرضية، فالآيات الكونية يتغير معها الكون كله، والآيات الأرضية تخرج من الأرض.

فأول الآيات الكونية: أن تطلع الشمس من مغربها.

وأول الآيات الأرضية: الدابة.

ولا نعرف تحديد الباقي، إذ لم يرد خبر يرجح أيهم يخرج قبل الآخر.

قال رحمه الله:

١٨٢. وَيَدْخُلُ الإِيمَانُ بِالْمَوْتِ وَمَا	**مِنْ بَعْدِهِ عَلَى الْعِبَادِ حُتِمَا**
١٨٣. وَأَنَّ كُلاًّ مُقْعَدٌ مَسْؤُولُ:	**مَا الرَّبُّ؟ مَا الدِّيْنُ؟ وَمَا الرَّسُولُ؟**
١٨٤. وَعِنْدَ ذَا يُثَبِّتُ الْمُهَيْمِنُ	**بِثَابِتِ الْقَولِ: الَّذِيْنَ آمَنُوْا**
١٨٥. وَيُوقِنُ الْمُرْتَابُ عِنْدَ ذَلِكَ	**بِأَنَّ مَا مَوْرِدُهُ الْمَهَالِكَ**

أي: وَيَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ باليوم الْآخِرِ الْإِيمَانُ بِالْمَوْتِ، والإيمان بالموت يتناول أموراً:

١. فمنها تَحَتُّمُهُ عَلَى مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وغيرهم من المخلوقات. قال تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ} (القصص).

٢. ومنها أن كلاً له أجل محدود لَا يَتَجَاوَزُهُ وَلَا يُقَصِّرُ عَنْهُ، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تعالى جَمِيعَ ذَلِكَ بِعِلْمِهِ الَّذِي هُوَ صِفَتُهُ، وَجَرَى بِهِ الْقَلَمُ بِأَمْرِهِ يَوْمَ خَلْقِهِ، ثُمَّ كَتَبَهُ الْمَلَكُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ فِي بطن أمه يأمر ربه عز وجل عند تخليق النطفة، وَأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَوْ حُرِقَ أَوْ غَرِقَ أَوْ بِأَيِّ حَتْفٍ هَلَكَ بِأَجَلِهِ، لَمْ يَسْتَأْخِرْ عَنْهُ وَلَمْ يَسْتَقْدِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ السَّبَبَ الَّذِي كَانَ فِيهِ حَتْفُهُ هُوَ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ تعالى عليه وَقَضَاهُ عليه وَأَمْضَاهُ فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ وَلَا مَفَرَّ له ولا مهرب ولا فكاك ولا خلاص. قال تعالى: {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عليهمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عليم بذَاتِ الصُّدُورِ}.

٣. ومنها الإيمان بأن ذلك الأجل المحتوم لانتهاء كل عمر لَا اطِّلَاعَ لَنَا عليه وَلَا عِلْمَ لَنَا بِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَفَاتِحِ الْغَيْبِ الَّتِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ تعالى بِعِلْمِهَا عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ فلا يعلمها إلا هو. قال تعالى: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت}، وأن هذا الموت هو ساعة كل إنسان بخصوصه إذ هو المفضي بالعبد إلى منازل الآخرة، وقد روى مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَتِ الْأَعْرَابُ إِذَا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ مَتَى السَّاعَةُ؟ فَيَنْظُرُ إِلَى أَحْدَثِ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ فَيَقُولُ: "إِنْ يَعِشْ هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ قَامَتْ عليم ساعتكم".

٤. ومنها ذكر العبد للموت وجعله على باله، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ -: "أكثروا ذكر هاذم اللذات" يعني الموت. رواه الترمذي والنسائي وابن حبان وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وللبخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - بِمَنْكِبِي فَقَالَ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ

سَبِيلٍ" وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ:" إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك".

٥. وَمِنْهَا – وَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ – التَّأَهُّبُ لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِمَا بَعْدَهُ قَبْلَ حُصُولِهِ، وَالْمُبَادَرَةُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالسَّعْيِ النَّافِعِ قَبْلَ دُهُومِ الْبَلَاءِ وحلوله، إذ ليس بعده لأحد مُسْتَعْتَبٍ وَلَا اعْتِذَارٍ وَلَا زِيَادَةٍ فِي الْحَسَنَاتِ ولا نقص في السيئات ولا مترل إلا القبر، وهو إما مترل من منازل الجنة أو مترل من منازل النار – والعياذ بالله – ثم بعد البعث إِمَّا نُعَيْمٌ مُقِيمٌ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَإِمَّا عذاب أليم في نار الجحيم، فالمفلح من اغتنم حياته قبل أن يسأل الرجعة قبل الموت وهيهات. قال تعالى: {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)} (المنافقون)

مسائل:

- **الأدلة على السؤال في القبر والعذاب أو النعيم:**

١. قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظالمين ويفعل الله ما يشاء} (إبراهيم).

وَهَذِهِ الْآيَةُ نَصُّهَا فِي عَذَابِ الْقَبْرِ بِصَرِيحِ الأحاديث كما سيأتي إن شاء الله تعالى وَبِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ التَّفْسِيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ فَالتَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ وَإِنَّ الْمُرَادَ بِالتَّثْبِيتِ هُوَ عِنْدَ السُّؤَالِ في القبر حقيقة.

٢. وقال تعالى: {سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ}.

قال ابن مسعود وأبو مالك وابن جريح وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَسَعِيدٌ وَقَتَادَةُ وَابْنُ إِسْحَاقَ مَا حاصله أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ عَذَابُ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْقَبْرِ، ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ هُوَ عَذَابُ النار.

٣. وقال تعالى: {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١)} (السجدة)، قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَمُجَاهِدٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: يَعْنِي بِهِ عَذَابَ الْقَبْرِ.

٤. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حتى أَنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – ؟: فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ الله به مقعدك مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا. وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يضرب بمطرقة من حديد بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إلا الثقلين" رواه البخاري. ورواه مسلم بنحوه.

٥. وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى الله عليه وسلم – كان يعلمهم الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُ السورة: مِنَ الْقُرْآنِ: "قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فتنة المحيا والممات" رواه البخاري ومسلم. وكذا جميع أدعيته – صلى الله عليه وسلم – التي فيها الاستعاذة من عذاب القبر.

٦- وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - قَالَ: "إذا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ محمد رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: "يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمنوا بالقول الثابت" رواه البخاري في مواضع، ووافقه عليه مسلم وغيره.

- **ما لا يبلى في القبر:**

١. أجساد الأنبياء: فقد قال - صلى الله عليه وسلم -: "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أجساد الأنبياء".

٢. أجساد الشهداء: فقد روى البخاري رحمه الله عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنِّي لاَ أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ، غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ، وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا، «فَأَصْبَحْنَا، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ وَدُفِنَ مَعَهُ آخَرُ فِي قَبْرٍ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الآخَرِ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ هُنَيَّةً غَيْرَ أُذُنِهِ» .

٣. عَجْبُ الذَّنَبِ مِنْ كُلِّ إنسان: ففي حديث مسلم السابق عن أبي هريرة رضي الله عنه: "... وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْب الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يركب الخلق يوم القيامة".

٤. الأرواح: فالحق الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الأرواح لا تبلى وأنها لَيْسَتْ هِيَ مُطْلَقَ حَيَاةِ الْجِسْمِ الْعَارِضَةِ بَلْ هِيَ حَقِيقَةٌ أُخْرَى مُسْتَقِلَّةٌ يَعْمُرُ الْجَسَدُ بِحُلُولِهَا فِيهِ وَيَفْسَدُ بِخُرُوجِهَا مِنْهُ، وَهِيَ النَّسَمَةُ الَّتِي يموت الإنسان بخروجها من جسده، وأن لَهَا حَقِيقَةٌ، وَأَنَّهَا تُنْفَخُ وَتُقْبَضُ وَتُصْعَدُ وَتُهْبَطُ، وأنها بعد مفارقة الجسد إما أن تنعم أو تعذب، وبعد النفخ في الصور (النفخة الأولى) تعود كُلُّ رُوحٍ إِلَى جَسَدِهَا الَّذِي كَانَتْ تَعْمُرُهُ في الدنيا.

قال رحمه الله:

١٨٦. وَبِاللِّقَا وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ... وَبِقِيَامِنَا مِنَ الْقُبُورِ

وفي نسخة أخرى ــ وبقيامنا بنفخ في الصور ــ

١٨٧. غُرْلاً حُفَاةً كَجَرَادٍ مُنْتَشِرْ ... يَقُولُ ذُو الْكُفْرَانِ: ذَا يَوْمٌ عَسِرْ

- **الإيمان باللقاء، والبعث والنشور .**

قال تعالى: {لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤)} (الأنعام)، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦)} (الانشقاق).

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ "(٨)} (يونس).

- **قال رحمه الله تعالى: [وَبِقِيَامِنَا مِنَ الْقُبُورِ].**

قال الله تعالى في سورة: الزلزلة، {إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)}.وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – قَالَ: "قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ على مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، لم يكن لي كفواً أحد". رواه الْبُخَارِيِّ.

- **البعث في كلام العرب يأتي على وجهين:**

أحدهما: الإرسال، ومنه قوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى (١٠٣)} (الأعراف)، أي: أرسلنا.

والثاني: الإثارة والتحريك، تقول بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثار، ومنه بعث الموتى وذلك بإحيائهم وإخراجهم من قبورهم. قال تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ} (البقرة: ٥٦)، أي: أحييناكم.

والبعث في الشرع: هو إحياء الله للموتى وإخراجهم من قبورهم.

وحقيقة البعث: أن الله تعالى يجمع أجساد المقبورين التي تحللت ويعيدها بقدرته كما كانت ثم يعيد الأرواح إليها ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء. قال تعالى: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عليم (٧٩)}(يس).

والأدلة على البعث متنوعة فمنها إضافة إلى ما سبق:

١. قال تعالى: {وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أليسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ} (الأنعام).

٢. وقال تعالى: {وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون (٣٠) قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم (٣١)} (الواقعة).

٣. وقال تعالى: {وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٧) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ }(الْإِسْرَاءِ).

قال ابن القيم:

وإذا أراد الله إخراج الورى ... بعد الممات إلى المعاد الثاني
ألقى على الأرض التي هم تحتها ... والله مقتدر وذو سلطان
مطرا غليظا أبيضا متتابعا ... عشرا وعشرا بعدها عشران
فتظل تنبت منه أجسام الورى ... ولحومهم كمنابت الريحان
حتى إذا ما الأم حان ولادها ... وتمخضت فنفاسها متدان
أوحى لها رب السماء فتشققت ... فبدا الجنين كأكمل الشبان
وتخلت الأم الولود وأخرجت ... أثقالها أنثى ومن ذكران
والله ينشئ خلقه في نشأة ... أخرى كما قد قال في القرآن
هذا الذي جاء الكتاب وسنة الـ ... ـهادي به فاحرص على الإيمان

- **قال رحمه الله في نسخة: [وبقيامنا بنفخ في الصور].**

اختلف العلماء رحمهم الله في عدد النفخات في الصور:

١. فبعضهم يقول: النفخ في الصور يكون ثلاث مرات.

٢. وبعضهم يقول: ينفخ فيه مرتين.

والذين يقولون بأن النفخ ثلاث مرات، يقولون هي:

١. نفخة الفزع، قال تعالى: {وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (٨٧)} (النمل).

٢. نفخة الصعق، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨)} (الزمر).

٣. نفخة البعث.

وبعض العلماء يقول أن النفخ في الصور نفختان فقط وهما:

١. نفخة الصعق، ويكون أولها فزع وأخرها صعق وهي نفخة واحدة.

٢. نفخة البعث، قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨)} (الزمر).

- **اختلفوا في "إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ": على عدة أقوال:**

١. فبعضهم قال: الملائكة.

٢. وقيل: هم رؤساء الملائكة الذين هم جبريل وإسرافيل وميكائيل ومعهم ملك الموت.

٣. وقيل: الذين هم في الجنة من الحور العين.

٤. وقال بعضهم: التوقف وهذا هو الأسلم لأن النبي صلي الله عليه وسلم ــ توقف في موسي عليه السلام.

قال رحمه الله: [غُرْلًا حُفَاةً كَجَرَادٍ مُنْتَشِرْ].

والأغرل هو: الأقلف أي الذي لم يختتن، والحافي غير المنتعل.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ **عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»**، وفي روايات النسائي وابن أبي حاتم والترمذي: "لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ" .

قال رحمه الله:

١٨٨. وَيُجْمَعُ الْخَلْقُ لِيَوْمِ الْفَصْلِ جَمِيْعُهُمْ عُلْوِيُّهُمْ وَالسُّفْلِي

بدأ المصنف رحمه الله يفصل في يوم الفصل "يوم القيامة" وأهواله.

ويوم الفصل: هو اسم من أسماء يوم القيامة، وله أسماء كثيرة، منها: الحاقة، والقارعة، والصاخة، ويوم التغابن، ويوم التلاق... إلى آخره.

- **مسألة: لماذا سمى يوم الفصل بهذا الاسم ؟**

سُمى بذلك لأن الله يفصل فيه بين العباد، ويميز الأشقياء من السعداء، ويفصل بين أعمال العباد فيجازون عليها، قال تعالى:" لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ. لِيَوْمِ الْفَصْلِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ. وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ".

- عُلْوِيُّهُمْ: أهل السماء.
- السُّفْلِي: أهل الأرض.

١٨٩. فِـي مَوْقِـفٍ يَجِـلُّ فِيْـهِ الْخَطْـبُ   وَيَـعْـظُـمُ الْـهَـولُ بِـهِ وَالْـكَـرْبُ

في يوم يعظم الكرب والشأن والأمر ويشتد فيه الهول وهو يوم القيامة، نسأل الله أن يهون علينا في عرصات القيامة.

قال تعالى: {أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)} (المطففين)، وقال عز وجل: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (غافر).

- **من أهوال يوم القيامة:**

الرشح والعرق:

عن ابن عمر، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: "يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبّ الْعالَمِينَ يَوْمَ الْقِيامَةِ، حتى إنّ الْعَرَقَ لَيُلْجِمُ الرّجُلَ إلى أنْصَافِ أُذُنَيْهِ".

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قَالَ:" يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حتى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا وَيُلْجِمُهُمْ حتى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ".

ومن أهوال يوم القيامة أيضا: "طوله":

قال تعالى: {فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)} (المدثر)، وقوله: نقر في الناقور: أي: نفخ في الصور.

وقال الله عز وجل في شأن عباده المؤمنين: {وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} (الانسان). وقوله: مستطيرا: أي فاشيا في الناس كلهم.

١٩٠. وَأُحْـضِـرُوا لِلْـعَـرْضِ وَالْحِسَـابِ	**وَانْـقَـطَـعَـتْ عَـلاَئِـقُ الأَنْـسَـابِ**

- **والعرض نوعان:**

١- عرض لجميع الخلائق على ربهم عز وجل بادية لهم صحفهم لا تخفي عليه منهم خافيه.

قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ} (الحاقة)، وقال عز وجل: {وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} (الكهف)، وقال سبحانه: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

وفي صحيح البخاري ومسلم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ" فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أليسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨)} (الِانْشِقَاقِ)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ".

والْعَرْضُ تَيْسِيرُ الْحِسَابِ فِي النَّبَا::: وَمَنْ يُنَاقَشِ الْحِسَابَ عُذِّبَا

٢- عرض خاص وهو عرض معاصي المؤمنين عليهم وتقريرهم بها وسترها عليهم ومغفرتها لهم.

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آخِذٌ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: {هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨] .

- [وَانْقَطَعَتْ عَلَائِقُ الْأَنْسَابِ].

قال تعالى: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ} (المؤمنون)، وقال عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا}، وقال سبحانه: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ}.

ولذلك قال الله عز وجل: {الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ}.

فأهل الإنسان لا ينفعونه يوم القيامة، الذي ينفعه هو صاحبه المؤمن التقى، "الأصدقاء المتقون عُدة في الدنيا والآخرة"، وقال الحسن البصري: "استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة".

١٩١. وَارْتَكَمَتْ سَحَائِبُ الأَهْوَالِ   وَانْعَجَمَ الْبَلِيْغُ فِي الْمَقَالِ

ارتكمت سحائب الأهوال: بمعنى اجتمعت وجاءت من كل مكان.

وانعجم البليغ في المقال: أي، أن صاحب البلاغة في الكلام والفصاحة لا يستطيع أن يتكلم من شدة الهول.

قال تعالى: {يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ}، وقال سبحانه: {وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا} (طه)، وقال عز وجل: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} (النبأ).

- **مسألة:**

ذكر الله عز وجل في سورة: النبأ: {رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً}، والمناسب في هذا المقام أن يأتي باسم يدل على الشدة فلماذا أتى باسم دال على الرحمة "الرحمن"؟

يقول العلماء رحمهم الله هذا كقول إبراهيم عليه السلام لأبيه: {يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥)} (مريم).

فقال العلماء: إن إبراهيم عليه السلام قال لأبيه ذلك وأتى بلفظ الرحمن مع أن المناسب للمقام هو الشدة حتى لا يُيئس والده من رحمة الله عز وجل.

وقال بعضهم هو كقولك:"اتق شر الحليم إذا غضب". فغضب الحليم أشد من غضب غيره.

فكذلك غضب الله وهو الرحيم الرحمن، لكنه أيضا شديد العقاب، وأخذه أليم شديد. نسأل الله أن يقينا الأهوال.

١٩٢. وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْقَيُّومِ وَاقْتُصَّ مِنْ ذِي الظُّلْمِ لِلْمَظْلُومِ

إن الله عز وجل يحشر البهائم يوم القيامة فيقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء.

ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: لَمَّا رَجَعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُهَاجِرَةُ الْبَحْرِ، قَالَ: «أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ؟» قَالَ فِتْيَةٌ مِنْهُمْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِينِهِمْ، تَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ، فَمَرَّتْ بِفَتًى مِنْهُمْ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا، ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا، فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا، فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غُدَرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيَّ، وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ، بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَسَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا، قَالَ: يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَتْ، صَدَقَتْ كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ؟».

١٩٣. وَسَاوَتِ الْمُلُوكُ لِلأَجْنَادِ وَجِيءَ بِالْكِتَابِ وَالأَشْهَادِ

أي: تساوى الملوك والرؤساء والوزراء بمن دونهم.

كما قال تعالى: {لِّمَنِ الْمُلْكُ اليوم لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ"، فانتهى الملك لكل أحد وثبت الملك له عز وجل ولذلك وصف الله ذلك لنفسه فقال{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)} (الفاتحة).

فلا أحد يملك معه في ذلك اليوم حكما كحكمهم في الدنيا، ولا ملكا كملكهم في الدنيا.عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ".

- [وَجِيءَ بِالْكِتَابِ وَالْأَشْهَادِ].

قال تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً}.

وقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّم: "يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَب، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَال لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَهُ قَدْ بَلَّغَ، وَيَكُونَ الرَسُولُ عليكم شَهِيداً، فَذَلِكَ قوله جَلَ ذِكْرُهُ: " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَاسِ وَيَكُونَ الرَسُولُ عليكم شَهِيدا".

١٩٤. وَشَهِدَتْ الأَعْضَاءُ وَالْجَوَارِحُ   وَبَدَتِ السَّوْءَاتُ وَالْفَضَائِحُ

قال تعالى: {اليوم نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.

وقال سبحانه: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حتى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عليهمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ علينا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإليه تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عليكم سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)} (فُصِّلَتْ).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:" ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ وَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتُ ؟، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ ؟ قَالَ: " عَجِبْتُ مِنْ مُجَادَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: أَيْ رَبِّي، أليسَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تَظْلِمَنِي ؟ قَالَ: " بَلَى "، فَيَقُولُ فَإِنِّي لَا أَقْبَلُ على شَاهِدًا إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتعالى: " أَوَلَيْسَ كَفَى بِي شَهِيدًا، وَبِالْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ؟ "، قَالَ: فَيُرَدِّدُ هَذَا الْكَلَامَ مِرَارًا، قَالَ: فَيَخْتِمُ عَلَى فِيهِ، وَتَتَكَلَّمُ أَرْكَانُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ، فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، عَنْكُنَّ كُنْتُ أُجَادِلُ ".

وفِي حديث أَبِي هريرة ثم يقال:"الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عليك وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ على فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ انْطِقِي فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عليه".

١٩٥. وَابْتُلِيَتْ هُنَالِكَ السَّرَائِرْ   وَانْكَشَفَ الْمَخْفِيُّ فِي الضَّمَائِرْ

قال تعالى:" يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ".

وعن أبي سعيد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ." عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ».

١٩٦. وَنُشِرَتْ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ ... تُؤْخَذُ بِالْيَمِيْنِ وَالشِّمَالِ
١٩٧. طُوبَى لِمَنْ يَأْخُذُ بِالْيَمِيْنِ ... كِتَابَهُ بُشْرَى بِحُورٍ عِيْنِ
١٩٨. وَالْوَيْلُ لِلآخِذِ بِالشِّمَالِ ... وَرَاءَ ظَهْرٍ لِلْجَحِيْمِ صَالِي

صحائف الأعمال تنشر يوم القيامة، قال تعالى: {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ} وقال تعالى: {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليوم عليك حَسِيبًا (١٤) مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عليها وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حتى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)} (الاسراء)، وذكر الله عز وجل أحوال الناس عندما يأخذون كتبهم.

قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣)} (الحاقة).

- **وهذه بعض الأهوال التي تحدث يوم القيامة والناس فيها على ثلاث مراتب:**

١- المتقون.

٢- الفجار أصحاب المعاصى من المؤمنين.

٣- الكفار.

أما المتقون فإنهم أولياء الله. قال تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عليهمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤)} (النساء)، ومن خصائص هؤلاء المتقين أنهم لا يحزنهم الفزع الأكبر، فحين يفزع الناس في هذا اليوم يُطمئن الله تعالى أهل الإيمان فلا يفزعون، {لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)} (الأنبياء).

- **ومن النصوص التى تبين حال هؤلاء المؤمنين:**

١- فضل الشهيد:

عن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ "، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ،

الياقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ". قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب .

٢- المرابط: وكان العلماء يرابطون عسى الله أن يرزقهم موتا وهم في الرباط.

"رباط شهر خير من صيام دهر ومن مات مرابطا في سبيل الله أمن من الفزع الأكبر وغدي عليه برزقه وريح من الجنة ويجرى عليه أجر المرابط حتى يبعثه الله " (حديث: (٣٤٧٩) في صحيح الجامع).

٣- الذى يتجاوز عن المعسرين: قال رسول الله ρ : «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ» .

٤- الكاظمين الغيظ:

عن معاذ بن أنس عن أبيه رضي الله عنهما أن رسول الله صلى قال: " مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حتى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ ".

٥- الذى يسعى في حاجه أخيه:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قالَ: "مَنْ نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدّنْيَا نَفّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِــنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ...." وقال صلى الله عليه وسلم:" مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِظَهْرِ الْغَيْبِ نَصَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ".

٦- السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله "يُأمنون من أهوال يوم القيامة".

٧- المؤذنون:

عَنْ مُعَاوِيَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ- قَالَ: "إِنَّ الْمُؤَذِّنِينَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَــةِ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وهذا دليل على عُلو مترلتهم.

٨- الذين يشيبون في الإسلام:

عن كَعْبُ بْنَ مُرَّةَ رضي الله عنه قَالَ:" سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الْإِسْــلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". صححه الألباني.

- **أما الفجار أصحاب المعاصي من المؤمنين:**

ولهم أحوال يوم القيامة منها:

١- أن الله تعالى لا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القيامة وَلَا يَنْظُرُ إليهمْ وَلَا يُــزَكِّيهِمْ وَلَهُــمْ عَذَابٌ أليم "قَالَ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَلَاثَ مِرَارًا قَالَ أبو ذَرٍّ خَابوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ "الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ " أخرجه مسلم.

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: " ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يُزَكِّيهِمْ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ "

- وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهُــوَ عليه غَضْبَانُ - ومانع الزكاة، وآكل أموال الناس بالباطل.......... الخ.

- **أما الكفار:**

ويكفي قول الله عز وجل: {فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ} (المدثر).
وقال تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢)} (النساء)، وقال سبحانه: {وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠)} (النبأ).

١٩٩. وَالْوَزْنُ بِالْقِسْطِ فَلاَ ظُلْمَ وَلاَ … يُؤْخَذُ عَبْدٌ بِسِوَى مَا عَمِلاَ

١٩٩ ــ وَالْوَزْنُ بِالْقِسْطِ فَلَا ظُلْمَ وَلَا... يُؤْخَذُ عَبْدٌ بِسِوَى مَا عَمِلَا
الوزن "لأعمال العباد" بالقسط، أي: "بالعدل الذي لا ظلم معه".
قال تعالى: {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}، وقال تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)} (الانبياء).

٢٠٠. فَبَيْنَ نَاجٍ رَاجِحٍ مِيزَانُهُ … وَمُقْرِفٍ أَوْبَقَهُ عُدْوَانُهُ

ينقسم الناس أمام الميزان إلى قسمين:

١- من رجحت كفة ميزانه، فهو ناج منعم.

٢- من خف ميزانه، فهو خاسر مُعذب.

قال تعالى: {فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣)} (المؤمنون).

- **مسألة: هل الميزان قبل الحساب أم بعده ؟**

قال العلماء: الميزان يكون بعد الحساب، لأن: الحساب يكون لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقادير الأعمال، وهو قبل الصراط.

وهو ميزان حقيقي عظيم وورد في بعض الأحاديث عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: " يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ لَوَسِعَتْ، فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ: يَا رَبِّ لِمَنْ يَزِنُ هَذَا ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تعالى: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ مِثْلَ حَدِّ الْمُوسَى فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ: مَنْ تُجِيزُ عَلَى هَذَا ؟ فَيَقُولُ: مَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِي، فَيَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ".

- **مسألة: هل الميزان واحد أم متعدد ؟**

اختلف العلماء في هذه المسألة والراجح: أنه ميزان واحد، وظاهر النصوص التعدد ولكن الجمع باعتبار عدد ما يوزن. والله أعلم.

- **كيفيه الوزن:**

أن الحسنات توضع في كفه والسيئات في كفه أخرى.

فالمؤمن إذا رجح صعدت حسناته وسفلت سيئاته، والكافر العكس بالعكس مع المؤمن.

- **مسألة: ما الموزون ؟**

اختلف العلماء رحمهم الله على أقوال:

١- الذي يوزن الأعمال نفسها. "الأفعال تُجسم وتوزن".
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صلّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: "كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى اَلرَّحْمنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اَللَّهِ العَظِيمِ".

٢- الذي يوزن صحائف الأعمال.
عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ: "يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجلاً، كُلُّ سِجلٍّ مِنْهَا مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وتعالى لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟، فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ عزَّ وجلَّ: أَلَكَ عُذْرٌ أو حَسَنَةٌ، فَيُهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لا يا رَبِّ، فَيَقُولُ عزَّ وجلَّ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ وَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عليك، فَتُخْرَجُ لَهُ بطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاتِ ؟، فَيَقُولُ عزَّ وجلَّ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ، فَتُوضَعُ السِّجِلاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ"

٣- الذي يوزن العامل نفسه.
أَمَرَ النَّبِيُّ ابْنَ مَسْعُودٍ، فَصَعِدَ عَلَى شَجَرَةٍ أَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْهَا بشَيْءٍ، فَنَظَرَ أَصْحَابُهُ إِلَى سَاق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ حِينَ صَعِدَ الشَّجَرَةَ، فَضَحِكُوا مِنْ حُمُوشَةِ سَاقَيْهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "مَا تَضْحَكُونَ؟! لَرِجْلُ عَبْدِ اللَّهِ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُحُد".

- والراجح "الجمع بين الأقوال لثبوت أدلتها وصحتها فنقول الذي يوزن العمل والعامل وصحائف الأعمال":
لأن الأحاديث وردت بكل ذلك ويدل على ذلك عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ، فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ، فَيُوضَعُ مَا أُحْصِيَ عليه، فَتَمَايَلَ بِهِ الْمِيزَانُ، قَالَ: فَيُبْعَثُ بِهِ إِلَى النَّارِ، فَإِذَا أُدْبِرَ بِهِ إِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنْ عِنْدِ الرَّحْمَنِ، يَقُولُ: لاَ تَعْجَلُوا، لاَ تَعْجَلُوا، فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لَهُ، فَيُؤْتَى بِبِطَاقَةٍ فِيهَا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَتُوضَعُ مَعَ الرَّجُلِ فِي كِفَّةٍ، حتى يَمِيلَ بِهِ الْمِيزَانُ " فهذا يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفه، وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع.

- **أقسام الناس عند الموازين:**

١- من كانت حسناته أكثر من سيئاته. "هذا يدخل الجنة" جعلنا الله منهم.

٢- من كانت سيئاته أكثر من حسناته. "يدخل النار إلا أن يُشفع له إن كان من أهل التوحيد، ولا يخلد في النار إن كان من أهل التوحيد".

٣- من استوت حسناتهم مع سيئاتهم "أهل الأعراف" ويدخلون الجنة في آخر الأمر.

٢٠١. وَيُنْصَبُ الْجِسْرُ بِلاَ امْتِرَاءِ   كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الأَنْبَاءِ
٢٠٢. يَجُوزُهُ النَّاسُ عَلَى أَحْوَالِ   بِقَدْرِ كَسْبِهِمْ مِنَ الأَعْمَالِ
٢٠٣. فَبَيْنَ مُجْتَازٍ إِلَى الْجِنَانِ   وَمُسْرِفٍ يُكَبُّ فِي النِّيرَانِ

الجسر "الصراط" وهو صراط حقيقي أحد من السيف وأدق من الشعر، كما جاء في بعض الأحاديث.

ووصفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، قَالَ: " يُؤْتَى بِالْجِسْرِ، يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرِي جَهَنَّمَ ". قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِسْرُ ؟ قَالَ: " مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، عليه خَطَاطِيفُ وَكَلاليبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عقيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، يَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ عليها كَالطَّرْفِ وَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُسَلَّمٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يَمُرُّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِي فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ تَبَارَكَ وَتعالى، إِذَا رَأَوْهُمْ قَدْ نَجَوْا وَبَقِيَ إِخْوَانُهُمْ ".

والعبور على الصراط يكون في آخر يوم الحشر، بعد الحشر والوقوف والحساب وتطاير الصحف ووزن الأعمال.

- **مسألة: قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١)} (مريم).**

- بعض العلماء قال: أن المقصود من هذه الآية المرور على الصراط.
- وبعضهم يقول: هو الدخول إلى النار.

والظاهر أن الورود للمؤمن مرور، وللكافر دخول، والله أعلم.

٢٠٤. وَالنَّارُ وَالْجَنَّةُ: حَقٌّ، وَهُمَا   مَوْجُودَتَانِ لاَ فَنَاءَ لَهُمَا

ينتظم الإيمان بالجنة والنار، فيما يلي:

١- **يجب على المؤمنين، الإيمان بهما كونهما حقا لا ريب فيهما ولا شك**، وأن النار دار أعداء الله، والجنة دار أولياء الله.

- قال تعالى: {وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)} (آل عمران).
- وقال سبحانه: {فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (٥٧)} (النساء).

وعن عُبادَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ. وزاد أحد رجال السند مِنْ أَبوابِ الْجَنَّةِ الثمانيَةِ أَيُّها شَاءَ) متفق عليه.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ النَّبيُّ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: " اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيُّومُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ حَقٌّ وَلِقَاكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعليك تَوَكَّلْتُ وَإليك أَنَبْتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإليك حَاكَمْتُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ ".

٢- اعتقاد وجودهما الآن:

قال تعالى: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} أي: الجنة.

وقال عز وجل: {أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ}.

وقال سبحانه: {عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥)} (النجم).

وعن أبي هريرة قال بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ قُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ قَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَبَكَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ثُمَّ قَالَ أَعليك بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ أَغَارُ ".

وعن عبد الله بن عباس قال انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا نَحْوًا مِنْ قِرَاءَةِ سورة: البَقَرَةِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَاذْكُرُوا اللَّهَ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ؟ قَالَ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كاليوم قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ» قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: " يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ ".

- وقال عن النار: {أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}، وقال عز وجل: {وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١)} (الفرقان).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ. قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً. قَالَ فُضِّلَتْ عليهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا "، وأنه صلى الله عليه وسلم رأى عمرو بن لحي في النار، والمرأة التي كانت تُعذب في الهرة.

٣- الإيمان بدوامهما وبقائهما بإبقاء الله لهما، وأنهما لا تفنيان أبدا، ولا يفنى ما فيهما.

قال الله تعالى في الجنة وأهلها: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)} (التوبة)، وقال: {لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨)} (الحجر)، وقال: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧)} (الدخان).

وقال تعالى في النار وأهلها: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عليما حَكِيمًا (١٧٠)} (النساء)، وقال: {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧)} (البقرة)، وقال: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عليهمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧) إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عليم بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨)} (فاطر)، وقال: {وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣)} (الاعلى).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ -: (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ) ثُمَّ قَرَأَ {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وهم في غفلة} وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا {وَهُمْ لَا يؤمنون}.

[الحوض]

٢٠٥. وَحَوْضُ خَيْرِ الْخَلْقِ حَقٌّ وَبِهِ ... يَشْرَبُ فِي الْأُخْرَى جَمِيعُ حِزْبِهِ

حوض النبي صلى الله عليه وسلم الذي ذكره الله تعالى في قوله: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)} (الكوثر).

والكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه، ومنه الحوض أو النهر.

عن أنس رضي الله عنه قال لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: " أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ ".

ومنهما حديث أنس - رضي الله عنه- إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى صَنْعَاءَ، فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ بِعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ».

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: " حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أبدا".

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ»، فَقُلْتُ: «مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟» قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَضَرَبَ الْمَلَكُ بِيَدِهِ فَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ".

- والحوض يكون في العرصات "أهوال القيامة"، يرد عليه الناس فيشربون.

وهذا الحوض خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم.

- **كل نبي له حوض.**

أخرج الترمذي، (٢٣٦٧) من حديث سمرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ " إِنّ لكل نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ" وهذا الحديث جميع أسانيده ضعيفة، لكن بعض العلماء حكم له بالقبول لكثرة أسانيده كما فعل الألباني في الصحيحة (١٥٨٩).

- **اختلف العلماء أين يكون الحوض على قولين:**

١- قال بعضهم أن الحوض يكون بعد الصراط، واستظهر هذا القول ابن حجر رحمه الله في الفتح على أنه مذهب الإمام البخاري رحمه الله.

٢- قالوا بأنه قبل الصراط "وهذا هو الراجح، والله أعلم".

٢٠٦. كَذَا لَهُ لِوَاءُ حَمْدٍ يُنْشَرُ ... وَتَحْتَهُ الرُّسْلُ جَمِيعاً تُحْشَرُ

لواء الحمد الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم:

عن أنس - رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:" أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، لِوَاءُ الحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ."

وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:" أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلَا فَخْرَ".

٢٠٧. كَذَا لَهُ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى كَمَا ... قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا تَكَرُّمَا

٢٠٨. مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللَّهِ لاَ كَمَا يَرَى ... كُلُّ قُبُورِيٍّ عَلَى اللَّهِ افْتَرَى

٢٠٩. يَشْفَعُ أَوَّلاً: إِلَى الرَّحْمَنِ فِي ... فَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ

٢١٠. مِنْ بَعْدِ أَنْ يَطْلُبَهَا النَّاسُ إِلَى ... كُلِّ أُوْلِي الْعَزْمِ الْهُدَاةِ الْفُضَلاَ

٢١١. وَثَانِياً: يَشْفَعُ فِي اسْتِفْتَاحِ ... دَارِ النَّعِيْمِ لأُوْلِي الْفَلاَحِ

٢١٢. هَذَا وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ ... قَدْ خَصَّتَا بِهِ بِلاَ نُكْرَانِ

٢١٣. وَثَالِثاً: يَشْفَعُ فِي أَقْوَامِ ... مَاتُوا عَلَى دِيْنِ الْهُدَى الإِسْلاَمِ

٢١٤. وَأَوْبَقَتْهُمْ كَثْرَةُ الآثَامِ ... فَأُدْخِلُوا النَّارَ بِذَا الإِجْرَامِ

٢١٥. أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى الْجِنَانِ ... بِفَضْلِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الإِحْسَانِ

٢١٦. وَبَعْدَهُ يَشْفَعُ كُلُّ مُرْسَلِ ... وَكُلُّ عَبْدٍ ذِي صَلاَحٍ وَوَلِي

٢١٧. وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النِّيْرَانِ ... جَمِيْعَ مَنْ مَاتَ عَلَى الإِيْمَانِ

٢١٨. فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ يُطْرَحُونَا ... فَحْماً فَيَحْيَونَ وَيَنْبُتُونَا

٢١٩. كَأَنَّمَا يَنْبُتُ فِي هَيْئَاتِهِ ... حَبُّ حَمِيْلِ السَّيْلِ فِي حَافَاتِهِ

في هذه المقطوعة مسائل:

- **تعريف الشفاعة:**

الشفاعة: الطلب من الغير أن يشفع إلى المطلوب.

وهى في يوم القيامة: الطلب إلى الله لفصل القضاء والتجاوز عن الذنوب، وإخراج أهل الكبائر من النار وغيرها.

- **شروط الشفاعة.**

١- إذن الله تعالى للشافع. قال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العلي الْعَظِيمُ (٢٥٥)} (البقرة).

٢- الرضا عن الشافع والمشفوع. قال تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨)} (الانبياء).

وقد جمع الله هذين الشرطين في آية واحدة:

قال تعالى: {وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (٢٦)} (النجم).

بعض العلماء يقول أن شروطها أربعة شروط:

١- إذن الله للشافع.

٢- الرضا عن المشفوع له.

٣- إسلام المشفوع له.

- وهناك شفاعة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم تخلف فيها هذا الشرط وهى شفاعته لعمه أبو طالب.

٤- قدرة الشافع على الشفاعة.

فلا يذهب الإنسان لميت أو لصنم ويطلب منه الشفاعة لأنه غير قادر على الشفاعة.

قال تعالى: {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢)} (سبأ).

وقال سبحانه: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨)} (يونس).

ولذلك قال الشيخ:

٢٠٨. مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللَّهِ لاَ كَمَا يَرَى ... كُلُّ قُبُورِيٍّ عَلَى اللَّهِ افْتَرَى

- **أنواع الشفاعة.**

١- الشفاعة العظمى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: " أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذِبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الحَدِيثِ - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ، مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى ".

٢- الشفاعة في استفتاح دار النعيم لأولى الفلاح.

٢١١. وَثَانِياً: يَشْفَعُ فِي اسْتِفْتَاحِ   دَارِ النَّعِيمِ لأُوْلِي الْفَلاَحِ

٢١٢. هَذَا وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ   قَدْ خُصَّتَا بِهِ بِلاَ نُكْرَانِ

وعن أنس قال: قال صلى الله عليه وسلم: " أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الناس تبعا".

وعن أنس – رضي الله عنه –، قال: قال رسول الله: "آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ ".

٣- يوجد أيضا شفاعة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهى شفاعته لعمه أبو طالب.

عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».

٢١٣. وَثَالِثاً: يَشْفَعُ فِي أَقْوَامِ مَاتُوا عَلَى دِيْنِ الْهُدَى الإِسْلاَمِ

٢١٤. وَأَوْبَقَتْهُمْ كَثْرَةُ الآثَامِ فَأُدْخِلُوا النَّارَ بِذَا الإِجْرَامِ

٢١٥. أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى الْجِنَانِ بِفَضْلِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الإِحْسَانِ

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، قَالَ: " يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً ".

وبالجملة فقد جمعها بعض العلماء فبلغت ثمانية أنواع وهي:

١ – الشفاعة العظمى وهي شفاعته صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلِّم في أهل الموقف أن يقضي الله بينهم وهي المقام المحمود وهذه الشفاعة مما اختص بها نبينا صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلِّم على غيره من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

٢ – شفاعته صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلِّم في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلوا الجنة.

٣ – شفاعته في أقوام استحقوا النار أن لا يدخلوها.

٤ – شفاعته صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلِّم رفع درجات أهل الجنة في الجنة.

٥ – شفاعته صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلِّم في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

٦ – شفاعته صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلِّم في تخفيف العذاب عمن كان يستحقه مع خلوده في النار، وهذا في شفاعته ρ في عمه أبي طالب.

٧ – شفاعته صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلِّم في أهل الجنة أن يؤذن لهم بدخول الجنة.

٨ – شفاعته صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلِّم في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار أن يخرج منها.

وقد دلت النصوص الصحيحة على هذه الأنواع كلها وهي مبسوطة في مواضعها من كتب السنة والاعتقاد. وهذه الأنواع منها ما هو خاص بالنبي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلِّم كالشفاعة العظمى وشفاعته في عمه أبي طالب وشفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها ومنها ما يشاركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين كالشفاعة في أهل الكبائر وغيرها من الأنواع الأخرى على اختلاف بين أهل العلم في اختصاصه ببعضها من عدمه، والله تعالى أعلم.

- **وهناك شفاعات أخري:**

١. شفاعة الأنبياء: وفي الحديث: ((ثُمَّ يَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا فَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا)).

٢. شفاعة الملائكة: وثبت أن الله أمر الملائكة أن تُخرج من النار من كان لا يشرك بالله شيئا فيعرفوهم بأثر السجود.

٣. شفاعه المؤمنين: وفي " الصحيح " من طريق عطاء بن يسار، عن أبي سعيد مرفوعا: " " إِذَا خَلَّصَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ وَأَمِنُوا، فَمَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا، أَشَدَّ مُجَادَلَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ، قَالَ: يَقُولُونَ: رَبَّنَا، إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَحُجُّونَ مَعَنَا، فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا، فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ، فَيَأْتُونَهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُوَرِهِمْ، لَا تَأْكُلُ النَّارُ صُوَرَهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبَيْهِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَخْرَجْنَا مَنْ قَدْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنَ الْإِيمَانِ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ نِصْفِ دِينَارٍ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ " قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ هَذَا، فَلْيَقْرَأْ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠)} (النساء).

٤. شفاعة الشهيد: وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ".

٥. شفاعة الولد الصغير: قال صلي الله عليه وسلم "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، إِلَّا تَلَقَّوْهُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، مِنْ أَيِّهَا شَاءَ دَخَلَ.

قال رحمه الله:

٢١٧. وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النِّيرَانِ   جَمِيعَ مَنْ مَاتَ عَلَى الإِيمَانِ
٢١٨. فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ يُطْرَحُونَا   فَحْماً فَيَحْيَونَ وَيَنْبُتُونَا
٢١٩. كَأَنَّمَا يَنْبُتُ فِي هَيْئَاتِهِ   حَبُّ حَمِيلِ السَّيْلِ فِي حَافَاتِهِ

عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، قَالَ: عَنِ الْجَهَنَّمِيِّينَ " أَنَّ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا، قَالَ: يَعْنِي فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ، قَالَ: فَيَدْخُلُونَ نَهَرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ". أي: كأنهم بيض وزال عنهم ما كان من سواد وغيره.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"......... فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتْ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمْ الْخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمْ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ".

وفي لفظ من حديث آخر: " فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالمَلائِكَةُ وَالمُؤْمِنونَ، فَيَقولُ الجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ،

وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ: هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ".

- **ثمرات الإيمان باليوم الآخر: وللإيمان باليوم الآخر ثمرات عظيمة في حياة المؤمن من أهمها:**

١ - الحرص على طاعة الله رغبة في ثواب ذلك اليوم والبعد عن معصيته خوفا من عقاب ذلك اليوم.

٢ - تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

٣ - استشعار كمال عدل الله تعالى حيث يجازي كلا بعمله مع رحمته بعباده.

٢٢٠. وَالسَّادِسُ: الإِيْمَانُ بِالأَقْدَارِ فَأَيْقِنَنْ بِهَا وَلاَ تُمَارِ
٢٢١. فَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرْ وَالْكُلُّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مُسْتَطَرْ

السادس "في حديث جبريل المشهور" **الإيمان بالقضاء والقدر.**

قال تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)}، وقال سبحانه: {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٨)} (الأحزاب)، وقال عز وجل: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عليم (١١)} (التغابن). وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تَسْأَلُ طَلاَقَ أُخْتِهَا، لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا، فَإِنَّمَا لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا" - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ".

- **تعريف القضاء والقدر، مع بيان الفرق بينهما .**

القضاء لغة: الحكم والفصل.

وشرعا: هو ما قضى به الله سبحانه وتعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير.

والقدر: مصدر قدرت الشيء أقدره إذا أحطت بمقداره.

والقدر في الشرع: هو ما قدره الله تعالى في الأزل، أن يكون في خلقه بناء على علمه السابق بذلك.

* **الفرق بين القضاء والقدر:** ذكر العلماء في التفريق بين القضاء والقدر. أن القدر: هو تقدير لشيء قبل قضائه. والقضاء هو الفراغ من الشيء. ومن الشواهد التي ذكرها أبو حاتم للتفريق بين القضاء والقدر أن القدر منزلة تقدير الخياط للثوب فهو قبل أن يفصله يقدره فيزيد وينقص فإذا فصله فقد قضاه وفرغ منه وفاته التقدير. وعلى هذا يكون القدر سابقا للقضاء. قال ابن الأثير: (فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه).

والقضاء والقدر إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى فأصبح لكل منهما معنى يخصه، وإذا افترقا في الذكر دخل أحدهما في معنى الآخر. ذكر ذلك بعض أهل العلم.

- **والإيمان بالقدر على أربع مراتب:**

١- المرتبة الأولى: مرتبه العلم.

"علم الله تعالى المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات".

قال تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢)} (الحشر)، وقال سبحانه: {وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)} (الطلاق)، وقال عز وجل: {وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)}. (الجن).

والنبي صلى الله عليه وسلم عندما سُأل عن أطفال المشركين قال: "الله أعلم بما كانوا عاملين".

٢- المرتبة الثانية: الإيمان بكتابة الله لهذا العلم "أو بكتابة الله العلم الذي لم يُفرط فيه من شيء".

قال تعالى: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)} (الأنعام)، وقال عز وجل: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢)} (يس).

وقال سبحانه: {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣)} (القمر).

وقال تعالى: {قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢)} (طه).

وعن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" قضي القضاء وجفت الأقلام وطويت الصحف "، والحديث صحيح بطرقه.

وعَنْ على قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلاَّ وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلاَّ وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً".

- **الإيمان بكتابه المقادير يدخل فيه خمس كتابات:**

١- التقدير الأزلي قبل السماوات والأرض "بخمسين ألف سنة".

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: " كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ".

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ا حتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله على قبل أن يخلقني بأربعين سنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى فحج آدم موسى.

وفي هذا الحديث نفصل بعض الشيء:

أولًا: العلماء قالوا أن آدم عليه السلام لم يحتج على موسى لأجل الذنب وإنما احتج على المصيبة.

فموسى عليه السلام لامه على إخراجه من الجنة والمعلوم أن الخروج من الجنة مصيبة، فإن آدم عليه السلام يقصد أن الله تعالى قدر عليه هذه المصيبة قبل خلقه.

وقد أخذ العلماء من هذا جواز الاحتجاج بالقدر على المصائب .

ثانيا: آدم عليه السلام تاب من ذنبه "فهو احتج على ذنب تاب منه"، فقال العلماء: يجوز الاحتجاج بالقدر على ذنب تاب منه الإنسان.

لكن لا يجوز الاحتجاج بالقدر على المعاصي التي يقدم الإنسان عليها، أو التي لم يتب منها .

وقَالَ رَسُولُ الله صَلّى الله عليه وَسَلّم: " إنّ أوّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القلَمَ قَالَ له: اكتُبْ، قال: مَا أكْتُبْ ؟ قَالَ: اكتُبْ القَدَرَ، مَا كان، وما هو كائنٌ إلى الأبد."

٢- التقدير الثاني "الكتابة يوم الميثاق".

قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢)} (الأعراف)، فإن الله تعالى كتب أهل الجنة وأهل النار يومئذٍ.

٣- التقدير الثالث "العُمري عند تخليق النطفة في الرحم".

قال سبحانه: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١)} (فاطر).

وعن عبد الله قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ: بِرِزْقِهِ وَأَجَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَاللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ - أَوْ: الرَّجُلَ - يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حتى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حتى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا " .

٤- التقدير الرابع: "التقدير الحولي في ليله القدر".

قال سبحانه: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤)} (الدخان)، يُفصل من اللوح المحفوظ أمر السنة.

٥- التقدير الخامس: "التقدير اليومي".

قال تعالى "{كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩)} (الرحمن)، كل شيء يحدث بقضاء الله وقدره.

٣- المرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر:

وهى الإيمان بمشيئة الله النافذة.

قال تعالى: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عليما حَكِيمًا (٣٠)} (الانسان)، وقال سبحانه: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢)} (يس) .

٤- المرتبة الرابعة "مرتبه الخلق"، وسبق الحديث عنها.

قال رحمه الله:

٢٢٢. لاَ نَوْءَ لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَ وَلاَ ... عَمَّا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى حِوَلاَ

٢٢٣. لاَ غُـوْلَ لاَ هَـامَـةَ لاَ وَلاَ صَـفَـرْ   كَـمَـا بِـذَا أَخْـبَـرَ سَـيِّـدُ الْـبَـشَـرْ

وهنا أورد الناظم هذه الخصال التي تنافي الإيمان بالقدر.

١. [لَا نَوْءَ]:

النوء هو: الاعتقاد في النجوم، وتأثير الأبراج.

وهو مما أبطله الإسلام: فعن زيد بن خالد الجهني أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ "

٢. [لَا عَدْوَى]:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ عَدْوَى» فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ الإِبِلَ، تَكُونُ فِي الرِّمَالِ أَمْثَالَ الظِّبَاءِ، فَيَأْتِيهَا البَعِيرُ الأَجْرَبُ فَتَجْرَبُ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ: «فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ"، فهنا النبي صلى الله عليه وسلم نفي العدوى.

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لاَ تُورِدُوا الْمُمْرِضَ عَلَى الْمُصِحّ"، وهنا أثبت ρ العدوى.

[الجمع بين أحاديث نفي العدوى، وإثباتها] .

قال العلماء، ويجمع بينها بأمور:

أولًا: أن النبي صلى الله عليه وسلم نفي انتقال العدوى بنفسها، بمعنى أن العدوى لا تؤثر بنفسها إنما تؤثر بأمر الله تعالى.

ثانيًا: وقال بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن مخالطة المجذوم، وإيراد الممرض على المصح لئلا يتفق أن الله تعالى كتب عليه المرض، فيظن أن ذلك بسبب الدخول، وأنه لو لم يفعل لم يمرض .

فمثلًا: ذهب زيد إلى زيارة عمرو، وكان عمرو مريضا، فإذا قدر الله على زيد أن يصاب بنفس المرض في وقت معين، وعند خروج زيد من بيت عمرو وبعدها بوقت قليل مرض زيد، فيعتقد أنه أعدي، والحقيقة أن الله تعالى: كتب عليه المرض.

ثالثًا: أن النفوس تستقذر مثل هذه الأشياء.

عن يحيى بن عبد الله بن بحير قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ فَرْوَةَ بْنَ مُسَيْكٍ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرْضٌ عِنْدَنَا يُقَالُ لَهَا أَرْضُ أَبْيَنَ هِيَ أَرْضُ رِيفِنَا، وَمِيرَتِنَا، وَإِنَّهَا وَبِئَةٌ، أَوْ قَالَ وَبَاؤُهَا شَدِيدٌ فَقَالَ النَّبِيُّ: دَعْهَا عَنْكَ، فَإِنَّ مِنَ القَرَفِ التَّلَفَ».

٣. [وَلَا طَيْرَ]:

الطيرة: التشاؤم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم:" لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ الَمجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ ".

- ومن البدع المكروهة استفتاح المصحف فإما أن يرد بصره على آيات عذاب فيتشائم، وإما غير ذلك فُيدخل عليه السرور، وهذا من البدع.

وحقيقة التطير: أنه التشاؤم أو التفاؤل بحركة الطير من السوانح والبوارح، أو النطيح والقعيد، أو بغير الطير مما يحدث. فكانوا في الجاهلية إذا أراد أحد أن يذهب إلى مكان، أو يمضي في سفر، أو أن يعقد له خيارا، استدل بما يحدث له من أنواع حركات الطيور، أو بما يحدث له من الحوادث على أن هذا السفر سفر سعيد فيمضي فيه، أو أنه سفر سيئ وعليه فيه وبال فيرجع عنه. وعلى هذا فضابط الطيرة الشركية التي من قامت في قلبه وحصل له شرطها وضابطها فهو مشرك الشرك الأصغر، هو ما جاء من قوله عليه الصلاة والسلام: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»، فالطيرة شرك، وهي التي تقع في القلب، ويبني عليها المرء مضاء في الفعل، أو نكوصا عنه.

فإذا خرج مثلا من بيته وهو ينوي سفرا، أو رحلة، أو ينوي القيام بصفقة تجارة، أو نحو ذلك، فحصل أمامه حادث، فهذا الحادث الذي حصل أمامه من تصادم سيارة، أو اعتداء من واحد على آخر، أو نحو ذلك، إن أوقع في قلبه شؤما، واستدل بهذا الحادث على أنه سيفشل في سفره أو في تجارته أو أنه سيصيبه مكروه في سفره، ورجع ولم يمض فقد حصل له التطير الشركي، أما إذا حصل ذلك في قلبه وحصل له نوع تشاؤم، ولكنه مضى وتوكل على الله، فهذا لا يكاد يسلم منه أحد، كما جاء في حديث ابن مسعود «وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل».

فهذه حقيقة التطير الشركي وضابطه، وتبين أن التطير عام ليس خاصا بالطير وحركاتها.

كفارة الطيرة وما يذهبها فقد رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بن العاص رضي الله عنهما وَقَّفَهُ: (مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ) قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: (أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك).

- وَرَوَى أَبو دَاوُدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - قَالَ: (الطِّيَرَةُ شِرْكٌ) ثَلَاثًا، (وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ)، وَقَوْلُهُ: (وَمَا مِنَّا إِلَّا) الْخَ هُوَ مِنْ كلام ابن مسعود رضي الله عنه كما بينه الترمذي رحمه الله.

٤. [لَا غُولَ]:

الغول: سحرة الجن والشياطين.

وليس المقصود نفي وجودهم، ولكن النهى عن اعتقاد أنهم يؤثرون، قال تعالى:"{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦)} (الجن).

٥. [لَا هَامَةَ]:

وهو: داء يأخذ البطن "يُقال أنه: معد جداً".

وأهل الجاهليه كانوا يعتقدون أن الميت يَخرج من قبره هامه.

يا عَمْرُو إنْ لا تَدَعْ شَتْمِي ومَنْقِصَتِي * أَضْرِبْكَ حَيْثُ تَقُولُ الهامَةُ اسْقُونِي

٦. [وَلَا صَفَرْ]:

أهل الجاهلية كانوا يتشائمون بشهر صفر، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التشاؤم به.

- **ثمرات الإيمان بالقدر: لتحقيق الإيمان بالقدر أثره البالغ وثمراته النافعة في حياة المؤمن، فمن ذلك:**

١ - الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب لأنه مقدر الأسباب والمسببات.

٢ - راحة النفس وطمأنينة القلب إذا أدرك العبد أن كل شيء بقضاء الله وقدره.

٣ - طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب ذلك الخير والنجاح فيشكر الله ويدع الإعجاب.

٤ - طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه لأن ذلك بقضاء الله وقدره فيصبر على ذلك ويحتسب.

قال رحمه الله:

٢٢٤. وَثَالِثٌ مَرْتَبَةُ ((الإِحْسَانِ)) وَتِلْكَ أَعْلَاهَا لَدَى الرَّحْمَنِ

٢٢٥. وَهْوَ رُسُوخُ الْقَلْبِ فِي الْعِرْفَانِ حَتَّى يَكُونَ الْغَيْبُ كَالْعِيَانِ

وَالْإِحْسَانُ لُغَةً: إِجَادَةُ الْعَمَلِ وَإِتْقَانُهُ وَإِخْلَاصُهُ. وَفِي الشَّرِيعَةِ: هُوَ مَا فَسَّرَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - بِقَوْلِهِ: (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

وقد سبق أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - فَسَّرَ الْإِسْلَامَ بالأقوال والأعمال الظاهرة وفسر الإيمان بالأركان الباطنة، أما الإحسان فهو تَحْسِينُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَمَجْمُوعُ ذَلِكَ هُوَ الدِّينُ، وهذا التفسير للإسلام والإيمان والإحسان عند اقترانها كما في حديث جبريل عليه السلام، أما عِنْدَ الْإِطْلَاقِ فَكُلٌّ مِنْهَا يَشْمَلُ دِينَ اللَّهِ كله.

قال تعالى:" وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى"..

- **والإحسان له مقامات:**

١- أن تعبد الله كأنك تراه. "مقام المشاهدة" .

٢- فإن لم تكن تراه فإنه يراك . "وهذا مقام الإخلاص".

قال الناظم رحمه الله تعالى:

فَصْلٌ:

فِي كَوْنِ الْإِيمَانِ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ،وَأَنَّ فَاسِقَ أَهْلِ الْمِلَّةِ لَا يُكَفَّرُ بِذَنْبٍ دُونَ الشِّرْكِ إِلَّا إِذَا اسْتَحَلَّهُ، وَأَنَّهُ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ، وَأَنَّ التَّوْبَةَ مَقْبُولَةٌ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ.

٢٢٦. إِيـمَـانُـنَـا يَـزِيْـدُ بِالـطَّـاعَـاتِ وَنَـقْـصُـهُ يَـكُـونُ بِالـزَّلَّاتِ

- **مذهب أهل السنة أن الإيمان يزيد وينقص.**

قال تعالى: {لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عليما حَكِيمًا (٤)} (الفتح)، وقال سبحانه {وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣)} (الكهف)، وقال عز وجل: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧)} (محمد).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ» . قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الدِّينَ».

عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ، قَالَ: - وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .

٢٢٧. وَأَهْـلُـهُ فِـيْـهِ عَـلَـى تَـفَـاضُـلِ هَـلْ أَنْـتَ كَالْأَمْـلَاكِ أَوْ كَالـرُّسُـلِ؟

فيُوجد أُناس إيمانهم مرتفع، ويوجد غيرهم إيمانهم أقل من ذلك.

قال تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُم سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذِنِ اللهِ} (فاطر).

فقسم الله تعالى النَّاجِينَ مِنْهُمْ إِلَى مُقْتَصِدِينَ وَهُمُ الْأَبْرَارُ أَصْحَابُ اليمِينِ الَّذِينَ اقْتَصَرُوا عَلَى الْتِزَامِ الْوَاجِبَاتِ وَاجْتِنَابِ الْمُحَرَّمَاتِ فَلَمْ يَزِيدُوا عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ ينقصوا منه، وإلى سابق بالخيرات وهم المقربون الذين تقربوا إليه بالنوافل بعد الْفَرَائِضِ وَتَرَكُوا مَا لَا بَأْسَ بِهِ خَوْفًا مما به بأس، وَأَمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ فَفِي الْمُرَادِ بِهِ عَنِ الصَّالِحِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْكَافِرُ، فَيَكُونُ كَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَقْسِيمِهِمْ فِي سورة: الْوَاقِعَةِ عِنْدَ الْبَعْثِ: {وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١)}إلى آخر الآيات، وقسمهم عند الاحتضار كذلك فقال: {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤)} (الواقعة).

والقول الثاني: أن المراد له عُصَاةُ الْمُوَحِّدِينَ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَلَكِنْ ظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ، لَا يَخْرُجُ مِنَ الدِّينِ وَلَا يخرج من النَّارِ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ قِسْمٌ ثَالِثٌ فِي تُفَاضِلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ. وَرَجَّحَ هَذَا الْقَوْلَ ابْنُ القيم رحمه الله تعالى.

- وأهل السُّنَّة والجماعة: يَرون الاستثناء في الإيمان، أَي القول " أنا مؤمن إن شاء الله " ولا يجزمون لأنفسهم بالإيمان، وذلك من شدة خوفهم من الله، وإثباتهم للقدر، ونفيهم لتزكيةِ النَّفس؛ لأَن الإيمان المطلق يشمل فعل جميع الطاعات، وترك جميع المنهيات، ويمنعون الاستثناء إذا كان على وجه الشك في الإيمان. والأَدلة على ذلك كثيرة في الكتاب والسنة وآثار السلف، وأَقوال العلماء، قال الله تعالى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤)} (الكهف).

وقال: {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢)} (النجم).

وكان النَّبي- صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقول حين يدخل المقبرة: "السلاَمُ عليكم أَهْلَ الديارِ مِنَ الْمُؤْمنينَ وَالْمُسْلمين وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُون، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العافِية" .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "مَنْ شَهدَ عَلَى نَفْسه أَنهُ مُؤمن؛ فَلْيَشْهَد أَنَّهُ في الجَنةِ" .

وقال جرير: سمعتُ منصورَ بن المعتمر، والمغيرة، والأعمش والليث، وعمارة بن القَعقاع، وابن شُبرمة، والعلاء بن المسيِّب ويزيد بن أَبي زياد وسفيان الثوري، وابن المبارك، ومَن أَدركت: "يَسْتَثْنُونَ في الإيمانِ، ويَعيبُونَ عَلَى مَنْ لا يَسْتَثْني" .

وسُئِلَ الإمام أَحمد بن حنبل عن الإيمان؛ فقال:"قَوْلٌ وَعَمَل وَنية". قيل له: فإذا قال الرجل: مؤمن أَنت؟ قال: "هَذه بِدْعَة". قيل له: فما يَرد عليه؟ قال: يقول: "مُؤْمِن إِنْ شَاءَ اللهُ".

قال رحمه الله:

٢٢٨. وَالْفَاسِقُ الْمِلِّيُّ ذُو الْعِصْيَانِ:	**لَمْ يُنْفَ عَنْهُ مُطْلَقُ الإِيْمَانِ**
٢٢٩. لَكِنْ بِقَدْرِ الْفِسْقِ وَالْمَعَاصِي	**إِيْمَانُهُ مَا زَالَ فِي انْتِقَاصِ**

والفاسق الملي: أي: من أهل الملة.

- **لم ينف عنه مطلق الإيمان:**

١. مطلق الشيء. أي: "أصل الشيء" الذي إذا لم يوجد، لم يوجد الشيء.

٢. والشيء المطلق. "الشيء الكامل".

فالفاسق الملي لا يُعطى الاسم المطلق، ولا يسلب عنه مطلق الاسم.

فَإِنَّ اللَّهَ تعالى سَمَّى الْكَاذِبَ فَاسِقًا فَقَالَ تعالى: {أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)} (الحجرات)، وَمَعَ هَذَا لَمْ يَخْرُجْ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ الْآيَةُ مِنَ الدِّينِ بِالْكُلِّيَّةِ وَلَمْ يَنْفِ عَنْهُ الْإِيمَانَ مُطْلَقًا وَلَمْ يَمْنَعْ مِنْ جَرَيَانِ أَحْكَامِ الْمُؤْمِنِينَ عليه. وَكَذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ "سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وقتاله كفر)، وقد تسبب كثير من الصحابة في عهده وفي حضوره فوعظهم وَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ وَلَمْ يُكَفِّرْهُمْ بَلْ بَقُوا أَنْصَارَهُ ووزراءه في الدين وقال تعالى: طوَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله" فسمى كُلًّا مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ الْمُقْتَتِلَتَيْنِ مُؤْمِنَةً وَأَمَرَ بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمَا وَلَوْ بِقِتَالِ الْبَاغِيَةِ ثُمَّ قَالَ: {فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يحب المقسطين}، ثُمَّ لَمْ يَنْفِ عَنْهُمُ الْأُخُوَّةَ – أُخُوَّةَ الْإِيمَانِ – لهم مطلقاً فقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)} (الحجرات).

٢٣٠. وَلاَ نَقُولُ: إِنَّهُ فِي النَّارِ مُخَلَّدٌ، بَلْ أَمْرُهُ لِلْبَارِي

أهل السنة يقولون أنه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، ويزيدون تميزًا عن غيرهم: ناقص الإيمان .

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) "} (النساء)، فمن مات على كبيره من الكبائر، فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

- **حكم مرتكب الكبيرة:**

كبائر الذنوب نوعان: مكفّر وغير مكفر.

فأما المكفر فهو الشرك بالله لأنه أعظم ذنبا عُصي به الله والنفاق الاعتقادي وسب الله ورسوله ونحو ذلك.

والنوع الثاني: كبائر غير مكفّرة ولا يخرج مرتكبها من الملة إلا إذا استحلها. وهي سائر الذنوب التي دون الكفر كالربا والقتل والزنا ونحو ذلك.

وقد دل الكتاب والسنة على أن مرتكب الكبيرة غير المكفّرة مؤمن ناقص الإيمان، ويسمى فاسقًا وعاصيًا.

وحكمه في الآخرة أنه تحت المشيئة فإن شاء الله غفر له برحمته وإن شاء عذبه بعدله وهو مع هذا لا يخلد في النار إذا عُذب بل مآله إلى الجنة بما معه من التوحيد والإيمان. قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦)} (النساء).

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّم أنه قال:." يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ".

٢٣١. تَحْتَ مَشِيْئَةِ الإِلَهِ النَّافِذَهْ إِنْ شَا عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَا آخَذَهْ:

٢٣٢. بِقَدْرِ ذَنْبِهِ، وَإِلَى الْجِنَانِ يُخْرَجُ إِنْ مَاتَ عَلَى الإِيْمَانِ

بمعنى أنه يُعذب في النار على قدر ذنوبه، ثم يخرج إلى الجنة.

- **طبقات العصاة من أهل التوحيد في الآخرة:**

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي أَثْبَتَتْهُ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالسُّنَنُ النَّبَوِيَّةُ وَدَرَجَ عليه السَّلَفُ الصَّالِحُ وَالصَّدْرُ الْأَوَّلُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أَئِمَّةِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ الْعُصَاةَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ عَلَى ثَلَاثِ طَبَقَاتٍ:

الأولى: قوم رجحت حسناهم على سيئاهم فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَلَا تمسهم النار أبداً.

الثَّانِيَةُ: قَوْمٌ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ وَتَكَافَأَتْ، فَقَصَّرَتْ بِهِمْ سَيِّئَاتِهِمْ عَنِ الْجَنَّةِ وَتَجَاوَزَتْ بِهِمْ حَسَنَاتُهُمْ عَنِ النار، وهؤلاء أَصْحَابُ الأعراف الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ تعالى أَنَّهُمْ يُوقَفُونَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُوقَفُوا ثُمَّ يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجنة كما قال تعالى: {وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأعراف رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عليكم لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦)} إلى قوله: {أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عليكم وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩)} (الأعراف).

الثَّالِثَةُ: قَوْمٌ لَقُوا اللَّهَ تعالى مُصِرِّينَ عَلَى كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَمَعَهُمْ أَصْلُ التَّوْحِيدِ فَرُجِّحَتْ سَيِّئَاتُهُمْ بِحَسَنَاتِهِمْ فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ بقدر ذنوهم، وهؤلاء الذين يأذن الله بِالشَّفَاعَةِ فِيهِمْ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - وَلِغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ وَالْأَوْلِيَاءِ والملائكة ومن شاء الله أن يكرمه.

٢٣٣. وَالْعَرْضُ تَيْسِيرُ الْحِسَابِ فِي النَّبَا	**وَمَنْ يُنَاقَشِ الْحِسَابَ عُذِّبَا**
٢٣٤. وَلاَ نُكَفِّرْ بِالْمَعَاصِي مُؤْمِنَا:	**إِلاَّ مَعَ اسْتِحْلاَلِهِ لِمَا جَنَى**

أي: أن أهل السنة لا يُكفرون أحدا بالمعصية إلا إذا استحل فعل المعصية.

مسألة:

قال النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ".

فهل هؤلاء كفار؟

والجواب: الاستحلال يطلق على شيئين:

١- الاستحلال القلبي "وهذا هو الكفر"، ويسمى: "الاستحلال الاعتقادي".

فإذا اعتقد إنسان أن الزنا حلال يكفر.

٢- الاستحلال بمعنى كثرة العمل "وهذا ليس مخرجا من الملة".

فالاستحلال المكفر له صورتان:

١. أن يعتقد كونه حلالا له دون غيره، وتسمي (الامتناع).

٢. أن يعتقد كونه حلالا مطلقا له ولغيره وتسمي (التكذيب).

والاستحلال المكفر، هو الاستحلال بالاعتقاد، والحديث دال على الاستحلال العملي لا الاعتقادي، فلم يخرجهم من الأمة، فالمدمن فعله فعل المستحل، لكن اعتقاده ليس كاعتقاد المستحل.

ولا بد أن يكون الاستحلال في الذنوب المجمع على حرمتها، أما المختلف فيها:

سواء في أصلها، ((كالمعازف)).

أو في صورها، ((كالنبيذ وربا الفضل)) = فهذه لا يكفر بها.

قال رحمه الله:

٢٣٥. وَتُقْبَلُ ((التَّوْبَةُ)) قَبْلَ الْغَرْغَرَهْ — كَمَا أَتَى فِي الشِّرْعَةِ الْمُطَهَّرَهْ

٢٣٦. أَمَّا مَتَى تُغْلَقُ عَنْ طَالِبِهَا: — فَبِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا

وقد دعا الله إلى التوبة في كثير من الآيات.

قال تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (التحريم)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" يُستجاب لأحدكم ما لم يُغرغر ".

ودعا الله عبادة للتوبة، فقال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٥٤)} (الزمر)، بل لم يرسل الله الرُّسُلَ وَيُنْزِلِ الْكُتُبَ إِلَّا دَعْوَةً مِنْهُ لِعِبَادِهِ إِلَى التَّوْبَةِ لِيَتُوبَ عليهمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

وَفِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم –: "لله أشد فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إليه مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعليها طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شجرة فاضطجع من ظلها قد أيس، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةٌ عِنْدَهُ فَأَخَذَ بخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: "اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ من شدة الفرح".

وفيه عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا".

وللتوبة شروط:

١- الإقلاع عن الذنب.

٢- الندم على فعله.

٣- العزم على عدم العودة إليه.

٤- فَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ الذَّنْب حَقٌّ لِآدَمِيٍّ لزم استحلاله منه إن أمكن لقوله - صلى الله عليه وسلم - في الصحيح: "مَنْ كَانَ عِنْدَهُ لِأَخِيهِ مَظْلِمَةٌ فَلْيَتَحَلَّلْ مِنْهُ اليوم، فَإِنَّهُ لَيْس ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ".
وَهَذِهِ الشُّرُوطُ فِي كَيْفِيَّةِ التَّوْبَةِ.

وَأَمَّا الشَّرْطُ في زمانها:
- ففي حق كل فرد من العباد: أن تكون قَبْلَ الْغَرْغَرَةِ وَهِيَ حَشْرَجَةُ الرُّوحِ فِي الصَّدْرِ، والمراد بذلك الاحتضار عندما يرى الملائكة، قال تعالى: "إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عليهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عليما حَكِيمًا*وَلَيْسَتِ التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عذاباً أليماً"، وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كَانُوا يَقُولُونَ: كُلُّ ذَنْبٍ أَصَابَهُ عَبْدٌ فَهُوَ جهالة.
وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ -: "إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العبد ما لم يغرغر".
- وأما في حق عمر الدنيا: فتنقطع التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها كما سبق ذكره لِأَنَّهَا أَوَّلُ آيَاتِ الْقِيَامَةِ الْعِظَامِ وَحِينَ الْإِيَاسِ من الدنيا، ففي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ -: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عليها، فَذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل".

قال الناظم رحمه الله:

فصل: فِي مَعْرِفَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - وَتَبْلِيغِهِ الرِّسَالَةَ، وَإِكْمَالِ اللَّهِ لَنَا بِهِ الدِّينَ، وَأَنَّهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَأَنَّ مَنِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ بَعْدَهُ فَهُوَ كَاذِبٌ، يكفر من صدقه واتبعه.

٢٣٧. نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ: مِنْ هَاشِمِ ... إِلَى «الذَّبِيحِ» دُونَ شَكٍّ يَنْتَمِي
٢٣٨. أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا مُرْشِدَا ... وَرَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ وَهُدَى
٢٣٩. مَوْلِدُهُ: بِمَكَّةَ الْمُطَهَّرَهْ ... هِجْرَتُهُ: لِطَيْبَةَ الْمُنَوَّرَهْ
٢٤٠. بَعْدَ «أَرْبَعِينَ» بَدَأَ الْوَحْيُ بِهِ ... ثُمَّ دَعَا إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ
٢٤١. عَشْرَ سِنِينَ: أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا ... رَبًّا تَعَالَى شَأْنُهُ وَوَحِّدُوا
٢٤٢. وَكَانَ قَبْلَ ذَاكَ فِي غَارِ حِرَا ... يَخْلُو بِذِكْرِ رَبِّهِ عَنِ الْوَرَى
٢٤٣. وَبَعْدَ «خَمْسِينَ» مِنَ الْأَعْوَامِ ... مَضَتْ لِعُمْرِ سَيِّدِ الْأَنَامِ
٢٤٤. أَسْرَى بِهِ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الظُّلَمْ ... وَفَرَضَ «الْخَمْسَ» عَلَيْهِ وَحَتَمْ
٢٤٥. وَبَعْدَ أَعْوَامٍ ثَلَاثَةٍ مَضَتْ ... مِنْ بَعْدِ مِعْرَاجِ النَّبِيِّ وَانْقَضَتْ:
٢٤٦. أُوذِنَ بِالْهِجْرَةِ نَحْوَ «يَثْرِبَا» ... مَعَ كُلِّ مُسْلِمٍ لَهُ قَدْ صَحِبَا
٢٤٧. وَبَعْدَهَا: كُلِّفَ بِالْقِتَالِ ... لِشِيعَةِ الْكُفْرَانِ وَالضَّلَالِ

٢٤٨. حَتَّى أَتَوْا لِلدِّيْنِ مُنْقَادِيْنَا — وَدَخَلُوا فِي السِّلْمِ مُذْعِنِيْنَا
٢٤٩. وَبَعْدَ أَنْ قَدْ بَلَّغَ الرِّسَالَهْ — وَاسْتَنْقَذَ الْخَلْقَ مِنَ الْجَهَالَهْ
٢٥٠. وَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ الإِسْلاَمَا — وَقَامَ دِيْنُ الْحَقِّ وَاسْتَقَامَا:
٢٥١. قَبَضَهُ اللَّهُ الْعَلِيُّ الأَعْلَى — سُبْحَانَهُ إِلَى الرَّفِيْقِ الأَعْلَى
٢٥٢. نَشْهَدُ بِالْحَقِّ بِلاَ ارْتِيَاب: — بِأَنَّهُ ((الْمُرْسَلُ)) بِالْكِتَاب
٢٥٣. وَأَنَّهُ: بَلَّغَ مَا قَدْ أُرْسِلاَ — بِهِ، وَكُلُّ مَا إِلَيْهِ أُنْزِلاَ
٢٥٤. وَكُلُّ مَنْ مِنْ بَعْدِهِ قَدْ ادَّعَى — نُبُوَّةً: فَكَاذِبٌ فِيْمَا ادَّعَى
٢٥٥. فَهْوَ خِتَامُ الرُّسْلِ بِاتِّفَاقِ — وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الإِطْلاَقِ

١- تعريف موجز بنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -:

أ- نسبه - صلى الله عليه وسلم - ومولده:

هو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ اليأس بْنِ مُضَرَ بْنِ نزارِ بن معد بن عدنان. صلوات الله وسلامه عليه. وأمه آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي. وَهَذَا هُوَ النَّسَبُ الْمُتَّفَقُ عَلَى سَرْدِهِ لَا خِلَافَ فِيهِ لِأَحَدٍ، وَكَذَا لَا خِلَافَ فِي أَنَّ نَسَبَ عَدْنَانَ إِلَى الذَّبِيحِ إِسْمَاعِيلَ الْحَلِيمِ بن إبراهيم الخليل على نبينا وعليهما السلام، وَكَذَا لَا خِلَافَ فِي أَنَّ إِبْرَاهِيمَ يَنْتَمِي إِلَى سَامِ بْنِ نُوحٍ وَهُوَ أَبُو الْعَرَبِ قَاطِبَةً، وَكَذَا لَا خِلَافَ فِي أَنَّ نُوحًا يَنْتَمِي إِلَى شِيثِ بْنِ آدَمَ وَهُوَ وَصِيُّ أَبِيهِ عليهمُ السَّلَامُ.

وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِي كَمِّيَّةِ الآباء بين عدنان وإسماعيل بن إبراهيم وبين إِبْرَاهِيمَ وِسَامِ بْنِ نُوحٍ، وَبَيْنَ نُوحٍ وَشِيثِ بْنِ آدَمَ.

وَقَدْ كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ الدين - كمالك بن أنس وَغَيْرِهِ - يَكْرَهُونَ تَعْدَادَ الْآبَاءِ مِنْ فَوْقِ عَدْنَانَ ويقولون هو رَجْمٌ بِالْغَيْبِ، وَمَا يَدْرِي مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، والله تعالى يقول: "وقروناً بين ذلك".

قال أبو عمر بن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ قَوْمٌ مِنَ السَّلَفِ - مِنْهُمْ عبد الله بن مسعود، وعمرو بْنُ مَيْمُونَ الْأَوْدِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ - إِذَا تَلَوَا "وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ" قَالُوا: كَذَبَ النَّسَّابُونَ.

وَكَانَ **مَوْلِدُهُ** - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - عَامَ الفيل، بمكة وكان فِي الصُّحُفِ الَّتِي بَشَّرَتْ بِهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم - من التوراة والإنجيل وغيرهما أن مولده بمكة وهجرته إلى المدينة، ثُمَّ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا بَشَّرَتْ، فَوُلِدَ بِمَكَّةَ وَأُوحِيَ إليه فِيهَا وَبُعِثَ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ فِيهَا، ثُمَّ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا سيأتي إن شاء الله عز وجل.

ب- بدء الوحي إليه - صلى الله عليه وسلم - .

- في الصحيحين عن أنس بم مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمْهَقَ وَلَا آدَمَ، لَيْس بِجَعْدٍ قَطَطٍ وَلَا سَبِطٍ رَجِلٍ بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ ".

- **وَكَيْفِيَّةُ بَدْءِ الْوَحْيِ** مَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ الله تعالى عن أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: "أول ما بديء بِهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. ثُمَّ حُبِّبَ إليه الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بغَارِ حِرَاءِ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ. ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حتى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءِ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حتى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: ما أنا بقاريء. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حتى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: "{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣)} العلق " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خويلد فقال: (زملوني، وملوني). فزملوه حتى ذهب عنه الورع، فقال لخديجة وأخبرها بالخبر: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي". فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا والله لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حتى أَتَتْ به ورقة ابن نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى - ابْنَ عم خديجة رضي الله عنها - وكان امرءاً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ العبراني، فيكتب الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ.

فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - خَبَرَ مَا رَأَى. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى موسى. يالىتني فيها جذع . لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم - . (أو مخرجي هُمْ؟) قَالَ: نَعَمْ. لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ. وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ ينشب ورقة أن توفي. وفتر الوحي.

جـ- حديث الإسراء والمعراج:

وَكَانَ الْإِسْرَاءُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَالْمِعْرَاجُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ثُمَّ إِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وجل.

- قال تعالى فِي ذِكْرِ الْإِسْرَاءِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١)} (الاسراء).

- وَقَالَ تَبَارَكَ وَتعالى فِي ذِكْرِ الْمِعْرَاجِ: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨)} (النجم).

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بن صعصعة رضي لله عَنْهُمَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم - حدثه عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ قَالَ: "بَيْنَمَا أَنَا فِي الحطيم - وربما قال في الحجر - مضجعاً إِذْ أَتَانِي آتٍ فقدَّ - قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ - مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ. فَقُلْتُ للجارود وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثُغرة نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ - وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ - فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتيت بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ، ثُمَّ أُتِيتُ بداة دون البغل وفوق الحمار أبيض".

- وفي صحيح مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "قال: أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حتى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ". قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بها الْأَنْبِيَاءُ. قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السَّلَامُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ. فقيل من أنت؟ قال جبريل: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إليه؟ قَالَ: قَدْ بعث إليه، ففتح لنا فإذا بآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بنا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السَّلَامُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قيل: ومن معك؟ قال – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إليه؟ قال: بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا يا بني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا – صلوات الله على نبينا وعليهما وَسَلَامُهُ – فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: من أنت ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ.

قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إليه؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إليه. فَفُتِحَ لَنَا فإذا أنا بيوسف – عليه السلام – وإذا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السَّلَامُ، قِيلَ: مَنْ هذا؟ قيل: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إليه؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إليه، فَفُتِحَ الْبَابُ فَإِذَا أنا بإدريس – عليه السلام – فرحب ودعا له بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عليا" ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جبريل، قيل: ما هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إليه؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إليه، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ – عليه السَّلَامُ – فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام عليه، قيل: ما هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –، قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إليه قَالَ: قَدْ بُعِثَ إليه، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا بِمُوسَى – عليه السَّلَامُ – فَرَحَّبَ بي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بنا إِلَى السماء السابعة فاستفتح جبريل عليه السلام عليه، قيل: ما هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –، قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إليه قَالَ: قَدْ بُعِثَ إليه، فَفُتِحَ لنا فإذا بِإِبْرَاهِيمَ – عليه السَّلَامُ – مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إليه، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ وَإِذَا سمرها كالقلال: فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسنها، فَأَوْحَى اللَّهُ إلى مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ على خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى – عليه السلام – فقال: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بلوت بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فقلت: يارب خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إلى موسى – عليه السلام– فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك فسأله التَّخْفِيفَ. قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتعالى وَبَيْنَ مُوسَى – عليه السَّلَامُ – حتى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يوم وليلة بكل صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ همَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ همَّ بسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً. قَالَ: فَنَزَلْتُ حتى انْتَهَيْتُ إلى موسى – عليه السلام– فأخبرته قال: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: فَقُلْتُ: قَدْ

رجعت إلى ربي فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حتى استحييت منه.

- **الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد، يقظة لا مناماً:**

ثُمَّ الَّذِي دَلَّتْ عليه الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ أَنَّ الْإِسْرَاءَ وَالْمِعْرَاجَ كَانَا يَقَظَةً لَا مَنَامًا، وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ مَا ذُكِرَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ في قول – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ" فَإِنَّ ذَلِكَ عِنْدَ أَوَّلِ مَا أَتَيَاهُ وَلَا يدل على أنه استمر نائماً. وكذا لا ينافي ذلك رواية شريط (فاستيقظ وهو بالمسجد الحرام) – الحديث في صحيح البخاري.

– فَإِنَّ رِوَايَةَ شَرِيكٍ فِيهَا أَوْهَامٌ كَثِيرَةٌ تُخَالِفُ رِوَايَةَ الْجُمْهُورِ عَنْ أَنَسٍ فِي أَكْثَرِ مِنْ عَشَرَةِ مَوَاضِعَ سَرْدُهَا فِي الْفَتْحِ وَسِيَاقُهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ بِالْمَعْنَى، وَصَرَّحَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ أَنَّهُ لَمْ يُثْبِتْهَا. وَتَصْرِيحُ الْآيَةِطسُبْحَانَ الَّذِي أسرى بعبده" شَامِلٌ لِلرُّوحِ وَالْجَسَدِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تعالى فِي سورة: النَّجْمِ: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤)}، جَعَلَ رُؤْيَةَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – لِجِبْرِيلَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى مُقَابِلًا لِرُؤْيَتِهِ إِيَّاهُ في الأبطح، وهي رؤيا عَيْنٍ حَقِيقَةً لَا مَنَامًا، وَلَوْ كَانَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ بِرُوحِهِ فِي الْمَنَامِ لَمْ تَكُنْ مُعْجِزَةً ولا كان هناك معنى لتكذيب قريش بها وقولهم إنا نَضْرِبُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ شَهْرًا ذَهَابًا وَشَهْرًا إِيَابًا وَمُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ إليه وَأَصْبَحَ فِينَا إِلَى آخِرِ تَكْذِيبِهِمْ واستهزائهم به – صلى الله عليه وسلم –، فلو كان ذلك رؤيا مناماً لم يستعبدوه وَلَمْ يَكُنْ لِرَدِّهِمْ عليه مَعْنًى، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَرَى فِي مَنَامِهِ مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَلَا يُكَذِّبُهُ أَحَدٌ اسْتِبْعَادًا لرؤياه.

- **هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – ربه؟:**

روى البخاري ومسلم عن مسروق رحمه الله قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّتَاه هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: (لَقَدْ قَفَّ شَعْرِيَ مِمَّا قلت: أين أنت من ثلاثٍ من حدثكن فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ – ثُمَّ قَرَأَتْ: "لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللطيف الخبير" – وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ – ثُمَّ قَرَأَتْ: "وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تكسب غدا" – ومن حدثك أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ – ثُمَّ قَرَأَتْ: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إليك مِنْ ربك" الْآيَةَ – وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عليه السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ) هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ، وَلَفْظُ مُسْلِمٍ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشٍ ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ. قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي وَلَا تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "وَلَقَدْ رَآهُ بالأفق المبين"، "ولقد رآه نزلة أخرى" ؟.

فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – فَقَالَ: (إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عليها غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ) . فَقَالَتْ: أَوَ لَمْ تسمع أن الله يَقُولُ: "لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللطيف الخبير" أو لم تسمع أن اله يَقُولُ: "وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ علي حكيم" ... الحديث.

وأما عن وقت الإسراء والمعراج فالراجح فيه أنه بَيْنَ عَاشِرِ الْبِعْثَةِ وَبَيْنَ هِجْرَتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - إِلَى الْمَدِينَةِ. وَعَلَى قَوْلِ مَنْ يَقُولُ إِنَّ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَدْرَكَتْ فَرِيضَةَ الصَّلَوَاتِ فَالْمِعْرَاجُ فِي سَنَةِ عَشْرٍ أَوْ قَبْلَهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ لِأَنَّهَا تُوُفِّيَتْ هِيَ وَأَبُو طالب في ذلك العام.

د- هِجْرَتِهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - إِلَى الْمَدِينَةِ:

وذلك بعد ثلاثة أعوام من الإسراء والمعراج، وهو اخْتِيَارُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ في الثلاثة الأصول، وله فيه سلف، وقيل أن ذلك كان بعد خمسة أعوام وقيل أكثر من ذلك، وَلَيْسَتْ مَسْأَلَةُ التَّارِيخِ اعْتِقَادِيَّةً فِي هَذَا الْبَابِ، وقد ثبت الإسراء والمعراج بالكتاب والسنة والإجماع فَلَا تَأْثِيرَ لِاخْتِلَافِ أَهْلِ السِّيَرِ فِي تَارِيخِهِ وتعيين سنته ووقته. وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إليه، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ). وكان وصوله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة يوم الاثنين من شهر ربيع الأول، كما في صحيح البخاري.

هـ- الإذن بالقتال وفرض الفرائض التي لم تفرض من قبل:

وكان الجهاد بمكة بإقامة الحجة والبيان بما يتلوه عليهم من القرآن، أما الْجِهَادُ الْمَحْسُوسُ بِالسَّيْفِ فَلَمْ يَكُنْ بِمَكَّةَ مَأْمُورًا به بل كان مأموراً بِالْعَفْوِ أَوِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَالصَّبْرِ عَلَى أذاهم واحتمال ما يلقى منهم، وَلِهَذَا قَالَ أَئِمَّةُ التَّفْسِيرِ إِنَّ آيَاتِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ نَسَخَتْهَا آيَاتُ السَّيْفِ. فَلَمَّا هَاجَرَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الْمَدِينَةِ وَصَارَتْ لَهُمْ دَارُ مَنَعَةٍ وَإِخْوَانُ صِدْقٍ وَأَنْصَارُ حَقٍّ، أَذِنَ اللَّهُ تعالى لَهُمْ فِي الجهاد ثم أمروا به بعد ذلك أمراً وكلفوا به. قال تعالى: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ.."، وَقَالَ تعالى: "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يقاتلونكم ولا تعتدوا"، وَقَالَ تعالى: "وَقَاتِلُوهُمْ حتى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كله لله"، وَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ -: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله" . وَالْجِهَادُ ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَقُومُ إِلَّا به، كما أن بيان شرائعه لا يقوم إلا بِالْكِتَابِ، وَلِهَذَا قَرَنَ اللَّهُ تعالى بَيْنَهُمَا فَقَالَ: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فيه بأس شديد" فَالْكِتَابُ لِبَيَانِ الْحَقِّ وَالْهِدَايَةِ إليه، وَالْحَدِيدُ لِحِمْلِ الناس على الحق وأطرهم عليه .

وفرض الله عليه بعد الْهِجْرَةِ جَمِيعَ الْفَرَائِضِ الَّتِي لَمْ تُفْرَضْ مِنْ قَبْلُ، فَالْجِهَادُ فِي السَّنَةِ الْأُولَى، وَأُتِمَّتْ صَلَاةُ السفر في الأولى، وشرع الأذان والصيام والزكاة - بأنصبتها المعروفة - وَتَحْوِيلَ الْقِبْلَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ كُلُّهَا فِي الثَّانِيَةِ، وَشَرَعَ التَّيَمُّمَ سَنَةَ سِتٍّ وَصَلَاةَ الْخَوْفِ سَنَةَ سَبْعٍ، وَالْحَجَّ فِي السَّادِسَةِ وَقِيلَ فِي التَّاسِعَةِ وَقِيلَ فِي الْعَاشِرَةِ، وَفِيهَا حج النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عليه وَهُوَ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ: "اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عليكم نِعْمَتِي ورضيت لكم الإسلام ديناً" كما في الصحيحين.

- **وفاته - صلى الله عليه وسلم -:**

وكان قبضه - صلى الله عليه وسلم - إلى الرفيق الأعلى - وهو أعلى عليين، وهو الْوَسِيلَةُ الَّتِي هِيَ أَعْلَى دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ وَلَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - وَقَدْ أَمَرَنَا أَنْ نَسْأَلَ اللَّهَ لَهُ ذلك - فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ نَهَارَ الِاثْنَيْنِ بَعْدَ

حَجَّةِ الوداع بفوق ثمانين ليلة، قال تعالى: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم"، وقال: "إنك ميت وإنهم ميتون" .

وأوصاهم – صلى الله عليه وسلم – بثلاث – كما في صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – (أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ) وَسَكَتَ عَنِ الثَّالِثَةِ، أو قال: فنسيتها.

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول: "مات ورأسه بَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي) وَفِي رِوَايَةٍ قَالَتْ: (وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوة فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ) ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ (فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى) حتى قبض ومالت يده صلوات الله وسلامه عليه.

٢- تبليغه صلوات الله وسلامه رسالة الله، وختم النبوات به، وبيان فضله – صلى الله عليه وسلم – وبعض معجزاته:

أ- عموم رسالته – صلى الله عليه وسلم – لجميع الأمم:

– قال تعالى في ذكر عموم رسالته – صلى الله عليه وسلم – إِلَى أَهْلِ الشَّرَائِعِ مِنْ قَبْلِهِ: "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم".

– وقال تعالى فِي عُمُومِ رِسَالَتِهِ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا".

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم – أنه قال: (والذي نفسي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أصحاب النار).

وفي حديث الخصائص – وهو في الصحيحين –: "وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إلى الناس عامة).

– وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: "لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا تباعي".

وَقَالَ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: "لَوْ كَانَ موسى حياً واتبعتموه وتركتموني لضللتم".

وَأَخْبَرَ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – أَنَّ عِيسَى يَنْزِلُ حَكَمًا بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم –، يقيم كتاب اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – فَلَا نَاسِخَ وَلَا مُغَيِّرَ لِشَرِيعَتِهِ، وَلَا يَسَعُ أَحَدًا الْخُرُوجَ عَنْهَا ولله الحمد والمنة.

ب- تبليغه – صلى الله عليه وسلم – الرسالة وما يتضمنه ذلك من مسائل:

في هذا البحث مسائل عظيمة الخطر جليلة القدر:

* **الأولى**: أنه – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – مُبَلِّغٌ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَمْ يَقُلْ شَيْئًا مِنْ رَأْيِهِ فيما يتعلق بِالتَّبْلِيغِ، بَلْ لَيْس عليه إِلَّا بَلَاغُ الرِّسَالَةِ مِنَ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ، وَتِلَاوَةُ آيَاتِهِ عَلَى النَّاسِ، وَتَعليمهُمُ الْحِكْمَةَ وَالتِّبْيَانَ، وَذَلِكَ مَعْنَى كَوْنِهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – رَسُولَ اللَّهِ، فَأَمْرُهُ ونهيه – صلى الله عليه وسلم –، تبليغ لأمره ونهيه عز وجل، وإخباره وقصصه تبليغ لما قصه الله وأخبره به، ولذا كانت طَاعَتُهُ طَاعَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَةً لله عز وجل، وتكذيباً لإخباره الله عز وجل أنه رسوله – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – . قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وتعالى: "إن عليك إلا البلاغ" .

وروى أحمد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم – يَقُولُ: "(لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍّ مثل الحيين – أَوْ مِثْلُ أَحَدِ الْحَيَّيْنِ – رَبِيعَةَ وَمُضَرَ) فَقَالَ رجل: يا رسول الله وما ربيعة من مضر؟ قَالَ: (إِنَّمَا أَقُولُ مَا أُقَوَّلُ) . وَلَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ الله عنهما قال: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ فَقَالُوا: إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – وَرَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ حتى ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – فَقَالَ: (اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ما خرج مني إلا الحق) .

* **الثَّانِيَةُ:** أَنَّهُ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – بَلَّغَ جَمِيعَ مَا أُرْسِلَ بِهِ لَمْ يَكْتُمْ مِنْهُ حرفاً واحداً. قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إليك مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بلغت رسالته والله يعصمك من الناس" .

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي جُحَيْفَةَ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السُّوَائِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِعلي بْنِ أَبِي طَالِبٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْوَحْيِ مِمَّا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ؟ فَقَالَ: لَا، وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. قُلْتُ: وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: (الْعَقْلُ وَفِكَاكُ الأسير وأنْ لا يقتل مسلم بكافر).

وَلِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ هَارُونَ بْنِ عَنْتَرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أُنَاسًا يَأْتُونَ فَيُخْبِرُونَا أَنَّ عِنْدَكُمْ شَيْئًا لَمْ يُبْدِهِ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – لِلنَّاسِ، فَقَالَ ابن عباس رضي الله عنهما: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تعالى قَالَ: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إليك مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}، وَاللَّهِ مَا وَرَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ). وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ. وتقدم قول عائشة رضي الله عنها: ومن حدثك أنه كتم فقد كذب – ثم قرأت: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إليك مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)} (المائدة).

* **الثَّالِثَةُ:** أَنَّ هَذَا الَّذِي بَلَّغَهُ الرَّسُولُ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – عَنْ رَبِّهِ تعالى هُوَ جَمِيعُ دِينِ الْإِسْلَامِ مُكْمَلاً مُحْكَمًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ نَقْصٌ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ فَيَحْتَاجُ إِلَى تكميل، "ما فرطنا في الكتاب من شيء" فَكَمَا أَنَّ الْإِمَامَ الْمُبِينَ قَدْ أَحْصَى كُلَّ مَا هُوَ كَائِنٌ، كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَكَذَلِكَ هَذَا الْقُرْآنُ وافٍ شافٍ كافٍ مُحِيطٌ بِجَمِيعِ أُصُولِ الشَّرِيعَةِ وَفُرُوعِهَا وَأَقْوَالِهَا وَأَعْمَالِهَا وَسِرِّهَا وَعَلَانِيَتِهَا، فَمَنْ لَمْ يَكْفِهِ فَلَا كُفِيَ، ومن لم يشفه فلا شفي "أو لم يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عليك الْكِتَابَ يُتْلَى عليهم إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"، وَكَمَا وَفِي بِتَقْرِيرِ الدِّينِ وَتَكْمِيلِهِ وَشَرْحِهِ وَتَفْصِيلِهِ كذلك هو وافٍ بالذبِّ عنه وبرد كل شبهة تَرِدُ عليه، وَبِقَمْعِ كُلِّ مُلْحِدٍ وَمُعَانِدٍ وَمُشَاقٍّ وَمُحَادٍّ، وَبِدَمْغِ كُلِّ بَاطِلٍ وَإِزْهَاقِهِ "وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تفسيراً"، وكذلك السنة من جوامع كلمه – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – الَّتِي اخْتَصَّهُ اللَّهُ بِهَا هِيَ رُوحُ الْمَعَانِي وَالْوَحْيُ الثَّانِي، وَالْحِكْمَةُ وَالْبَيَانُ وَتِبْيَانُ الْقُرْآنِ وَالنُّورُ وَالْبُرْهَانُ فَلَمْ يُتوفَّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – حتى بَيَّنَ الشَّرِيعَةَ أكمل بيان:

– اقْرَأْ عَلَى مَنِ ادَّعَى النُّبُوَّةَ "وَلَكِنْ رَسُولَ الله وخاتم النبيين" .

- وَعَلَى الدَّجَّالِ فَوَاتِحَ سورة: الْكَهْفِ .
- وَعَلَى الْمُعَطِّلِ وَالْمُشَبِّهِ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)} (الشورى)، {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠)} (طه).
وَعَلَى النَّافِي لِلْقَدَرِ: {مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٩)} (الأنعام).
- وَعَلَى الْجَبْرِيَّةِ الْغُلَاةِ: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} (البقرة)، وقال تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)} (النساء)، وقال: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)} (الأنعام).
- وَعَلَى نُفَاةِ الرُّؤْيَةِ: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)} (القيامة).
- وَعَلَى الرَّافِضَةِ: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عليه وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعليا وَاللَّه عَزِيزٌحَكِيمٌ (٤٠)} (التوبة).
- وَعَلَى النَّاصِبَةِ: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)} (التوبة)، {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)} (الأحزاب).
- وَعَلَى الْفَرِيقَيْنِ: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)} (الحشر).
- وَعَلَى كُلِّ ذِي بِدْعَةٍ مُطْلَقًا {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عليكم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣)} (المائدة).

* **الرَّابِعَةُ:** أَنَّ هَذَا الدِّينَ التَّامَّ الْمُكَمِّلَ الَّذِي بَلَّغَهُ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لَا يَقْبَلُ زِيَادَةً عَلَى مَا شُرِعَ فِيهِ مِنْ أُصُولِ الْمِلَّةِ وَفُرُوعِهَا وَلَا نَقْصًا مِنْهَا وَلَا تَغْيِيرًا وَلَا تَبْدِيلًا وَلَا يقبل من أحد دين سواه، ولا يقبل لأحد عبادة لم يتعبدها محمد - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - وَلَا أَصْحَابُهُ، وَلَا يُعْبَدُ اللَّهُ تعالى إِلَّا بِمَا شَرَعَ وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْكَلَامُ عليها في الخاتمة.

* **الْخَامِسَةُ:** أَنَّ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - خَاتَمُ الرُّسُلِ فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَكِتَابُهُ خَاتَمُ الكتب:
- قَالَ تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عليما (٤٠)} (الأحزاب).
- وروى البخاري عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ -: (لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يمحو الله به الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قدمي، وأنا العاقب) رواه مُسْلِمٌ وَزَادَ: (وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ) وَلَهُ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ

رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – يسمي لنا أَسْمَاءً فَقَالَ: (أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفِي وَالْحَاشِرُ ونبي التوبة ونبي الرحمة).

– وروى البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم – قَالَ: إِنْ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسنة وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟) قَالَ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: (فَأَنَا اللبنة وأنا خاتم النبيين). ورواه مسلم من طرق.

– وروى مسلم عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – لِعلى: (أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نبي بعدي) ورواه البخاري بنحوه.

– وللبخاري مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – يَقُولُ: (لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ) قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: (الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ).

– وروى مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بستٍّ: أُعْطِيْتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كافة، وختم بي النبيون).

جـ– صفة خاتم النبوة:

– روى البخاري ومسلم عن السائب بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَهَبَتْ بي خَالَتِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَقِعٌ . فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ، وَتَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وُضُوئِهِ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمٍ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زر الحَجَلَة .

– وَلِمُسْلِمٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ خَاتَمًا فِي ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – كَأَنَّهُ بَيْضَةُ حَمَامٍ – وفي رواية: يشبه جسده.

– ولمسلم عن عاصم عن عبد الله بن سَرجس قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا أَوْ قَالَ ثَرِيدًا. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أستَغْفَرَ لَكَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – ؟ قَالَ: نَعَمْ وَلَكَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: "وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ" . قَالَ: ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النبوة بين كتفيه عند نَاغِضِ كَتِفِهِ اليسْرَى جُمْعاً عليه خِيلان كَأَمْثَالِ الثآليل .

– وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي رِمْثَةَ التَّيْمِيِّ أنه خرج مع أبيه حتى أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – فرأيا على كتفه مثل التفاحة، فقال أبوه: إني طيب، أَفَلَا أَطُبُّهَا لَكَ؟ قَالَ: (طَبِيبُهَا الَّذِي خَلَقَهَا) .

– وللإمام أحمد عن غياث البكري أنه سأل أبا سعيد الخدري رضي الله عنه عَنْ خَاتَمِ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – الَّذِي كَانَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَقَالَ بِأُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ: هَكَذَا لَحْمٌ نَاشِزٌ بَيْنَ كَتِفَيْهِ – صَلَّى الله عليه وسلم –.

د– بعض معجزاته – صلى الله عليه وسلم –:

أيد الله عز وجل رسوله – صلى الله عليه وسلم – بكثير من المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة، فمن ذلك:

١. وهو أَعْظَمُهَا – هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي تَحَدَّى اللَّهُ بِهِ أَفْصَحَ الْأُمَمِ وَأَبْلَغَهَا وَأَقْدَرَهَا عَلَى الْمَنْطِقِ وَأَكْثَرَهَا فِيهِ اتِّسَاعًا وَأَطْوَلَهَا فِيهِ بَاعًا وَأَكْمَلَهَا عَلَى أَضْرُبِهِ وَأَنْوَاعِهِ اطِّلَاعًا، مَعَ عِظَمِ مُحَادَّتِهِمْ لَهُ وَمُشَاقَّتِهِمْ فِيهِ وَشَدَّةِ حِرْصِهِمْ عَلَى رَدِّهِ،

وَهُوَ ينادي عليهم بأبلغ عبارة وأوجزها: {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)} (الطور)، {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣)} (يونس)، {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بسورة: مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)} (البقرة)، ثُمَّ نَادَى عليهمْ بِالْعَجْزِ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ لَا مُجْتَمِعِينَ وَلَا مُتَفَرِّقِينَ، لَا فِي زَمَنٍ وَاحِدٍ وَلَا فِي أَزْمَانٍ، فَقَالَ تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)} (الاسراء).

وذلك مِنَ الْآيَاتِ، وَلِهَذَا لِمَا أَرَادَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ معارضته مكابرة ومباهاته مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ الْبَتَّةَ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَعَلَ اللَّهُ تعالى كَلَامَهُ أَسْمَجَ مَا يُسْمَعُ وأركَّ مَا يُنْطَقُ بِهِ، وَصَارَ أُضْحُوكَةً لِلصِّبْيَانِ فِي كُلِّ زَمَانٍ ومكان.

وَيُرْوَى أَنَّ أَصْحَابَ الْفَيْلَسُوفِ الْكِنْدِيِّ قَالُوا لَهُ: أَيُّهَا الْحَكِيمُ اعْمَلْ لَنَا مِثْلَ هَذَا الْقُرْآنِ فَقَالَ: نَعَمْ أَعْمَلُ مِثْلَ بَعْضِهِ، فَاحْتَجَبَ أَيَّامًا كَثِيرَةً ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَقْدِرُ وَلَا يَطِيقُ هَذَا أَحَدٌ، إِنِّي فَتَحْتُ الْمُصْحَفَ فَخَرَجَتْ سورة: الْمَائِدَةِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ قَدْ نَطَقَ بِالْوَفَاءِ، وَنَهَى عَنِ النَّكْثِ، وَحَلَّلَ تَحْلِيلًا عَامًا، ثُمَّ اسْتَثْنَى بَعْدَ اسْتِثْنَاءٍ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ فِي سَطْرَيْنِ، وَلَا يَقْدِرُ أحد أن يأتي بهذا.

وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْفَيْلَسُوفُ مِقْدَارُ فَهْمِهِ وَمَبْلَغُ عِلْمِهِ، وَإِلَّا فَبَلَاغَةُ الْقُرْآنِ فَوْقَ مَا يَصِفُ الواصفون.

٢. انشقاق القمر كما في قوله تعالى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)} (القمر)، وكما في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر.

٣. حَنِينُ الْجِذْعِ إليه – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – كما في الصحيح عن جابر أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ: إِنْ شِئْتُمْ، فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يوم الْجُمُعَةَ دُفِعَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصبي، ثم نزل النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – فَضَمَّهَا إليه تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ، قَالَ: (كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا) وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ وَكَانَ عليه فَسَمِعْنَا مِنْ ذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ، حتى جَاءَ النَّبِيُّ – صَلَّى الله عليه وسلم – فوضع يده عليها فسكت.

٤. ومن معجزاته – صلى الله عليه وسلم – نبع الماء من بين أصابعه الشريفة وتسبيح الطَّعَامِ وَتَكْثِيرُ الْقَلِيلِ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وهذا كله ثابت في الصحيح. والمذكور هنا بعض معجزاته – صلى الله عليه وسلم – لا كلها .

هـ– حكم التفضيل بين الأنبياء:

سبق في الحديث الصحيح تفضيله – صلى الله عليه وسلم – على الأنبياء ببعض الخصائص، كما سبق أيضاً من الأحاديث ما يبين فضله في الآخرة عليهم مثل كونه أول من تنشق الأرض عنه، وأنه أول شَافِعٍ وَأَوَّلَ مُشَفَّعٍ، وَأَوَّلَ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ وَأَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُهَا مِنَ الْأُمَمِ أُمَّتُهُ وأنه أكثر الأنبياء تبعاً، وَلَهُ الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ وَهُوَ الْكَوْثَرُ، وَهُوَ أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ وَارِدًا، وَلَهُ اللِّوَاءُ الْمَعْقُودُ وَهُوَ لِوَاءُ الْحَمْدِ تَحْتَهُ آدَمَ فَمَنْ دُونَهُ وَلَهُ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي يَغْبِطُهُ بِهِ

الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، وَيَرْغَبُ إليه كل الخلائق، وهو وأمته أول من يجوز الصراط ومع هذا كله ومع ما سبق أيضاً من قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ -: (أَنا سَيِّدُ ولد آدم يوم القيامة ولا فخر) إلاّ أنه قد ورد النهي عن التفضيل بين الأنبياء:

ففي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ، أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَامَ فلطم خده وقال: تقول الذي اصطفى موسى على الشر وَالنَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ فَذَهَبَ اليهوديُّ إليه - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - فَقَالَ: أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا فَمَا بَالُ فُلَانٍ لَطَمَ وَجْهِي؟ فَقَالَ: (لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟) فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم - حتى رؤي فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ: (لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصور فيصعق من في السموات وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بعث فإذا بموسى آخِذٌ بِالْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي؟ وَلَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى).

وَلَهُمَا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - قَالَ: (مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يونس بن متّى) - وفي رواية لهما عن أبي هريرة: (لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ من يونس بن متّى) - وللجمع بين هذين الحديثين وما سبق من الأدلة التي تثبت التفضيل نذكر جواب النووي رحمه الله عن هذين الحديثين:

- قال رحمه الله فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ: قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ -: (لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ) جَوَابُهُ مِنْ خَمْسَةِ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم - قاله قبل أن يعلم سيد ولد آدم، فلما علمه أَخْبَرَ بِهِ.

وَالثَّانِي: قَالَهُ أَدَبًا وَتَوَاضُعًا.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا هُوَ عَنْ تَفْضِيلٍ يُؤَدِّي إلى تنقيص المفضول.

وَالرَّابِعُ: إِنَّمَا نَهَى عَنْ تَفْضِيلٍ يُؤَدِّي إِلَى الْخُصُومَةِ وَالْفِتْنَةِ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ فِي سَبَبِ الْحَدِيثِ.

وَالْخَامِسُ: أَنَّ النَّهْيَ مُخْتَصٌّ بِالتَّفْضِيلِ فِي نَفْسِ النُّبُوَّةِ فَلَا تَفَاضُلَ فِيهَا وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ بالخصائص وفضائل أخرى.

وروى ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى وَجْهًا: أَنَّ التَّفْضِيلَ لَيْسَ إليكمْ وَإِنَّمَا هُوَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وعليكم الِانْقِيَادُ لَهُ وَالتَّسْلِيمُ وَالْإِيمَانُ به.

والوجه الْأَوَّلُ مِنْ كَلَامِ النَّوَوِيِّ ضَعِيفٌ، وَالثَّانِي وَالْخَامِسُ فيهما نظر، والرابع قريب. ويقوى الْوَجْهُ الثَّالِثُ مَعَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ، فَلَيْسَ التَّفْضِيلُ بِالرَّأْيِ وَمُجَرَّدُ الْعَصَبِيَّةِ، وَلَا بِمَا يَلْزَمُ مِنْهُ تَنَقُّصُ الْمَفْضُولِ وَالْحَطُّ مِنْ قَدْرِهِ، كُلُّ هَذَا وَمَا فِي مَعْنَاهُ مُحَرَّمٌ قَطْعًا مَنْهِيٌّ عَنْهُ شَرْعًا، وَهُوَ الَّذِي غَضِبَ مِنْهُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولو لَمْ يَقْصِدْهُ ذَلِكَ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَغَضَبُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - وَنَهْيُهُ عَنْ ذَلِكَ تعليم عَامٌّ لِلْأُمَّةِ وَزَجْرٌ بَلِيغٌ لِجَمِيعِهِمْ كَيْلَا يَقَعَ ذَلِكَ أَوْ يَصْدُرُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَيَهْلَكُ. وَأَمَّا التَّفْضِيلُ بِمَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَفَعَ بِهِ دَرَجَتَهُ وَنَوَّهَ فِي الْوَحْيِ بِشَرَفِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا شَهِدَ اللَّهُ تعالى بِهِ ورسوله - صلى الله عليه وسلم -.

- وقال النووي رحمه الله تعالى في الحديث الثاني فِيمَا قَالَهُ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - فِي شأن يونس عليه السلام أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - قَالَ هَذَا زَاجِرًا عَنْ أَنْ يَتَخَيَّلَ أَحَدٌ مِنَ الْجَاهِلِينَ شيئاً من ط مرتبة يونس عليه السلام مِنْ

أَجَلِ مَا فِي الْقُرْآنِ مَنْ قِصَّتِهِ، قال العلماء: وما جرى ليونس عليه السلام لَمْ يُحِطَّهُ مِنْ دَرجَةِ النُّبُوَّةِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَخُصِّصَ يُونُسُ بالذِّكْرِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ ذِكْرِهِ فِي الْقُرْآنِ بِمَا ذُكِرَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: (مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى) فَالضَّمِيرُ قِيلَ يَعُودُ إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –، وَقِيلَ يَعُودُ إِلَى الْقَائِلِ. أَيْ لَا يَقُولُ ذَلِكَ بَعْضُ الْجَاهِلِينَ مِنْ الْمُجْتَهِدِينَ فِي عِبَادَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَضَائِلِ فَإِنَّهُ لَوْ بَلَغَ مِنَ الْفَضَائِلِ مَا بَلَغَ لَمْ يَبْلُغْ دَرجَةَ النُّبُوَّةِ. وَيُؤَيِّدُ هَذَا التَّأْوِيلَ الرِّوَايَةُ الَّتِي فِيهَا قَوْلُهُ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: (لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى) وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قال الناظم رحمه الله:

فصل: فِي مَنْ هُوَ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ بَعْدَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – وَذِكْرَ الصَّحَابَةِ بِمَحَاسِنهِمْ وَالْكَفِّ عَنْ مَسَاوِئِهِمْ وَمَا شَجَرَ بينهم رضي الله عنهم.

٢٥٦. وَبَعْدَهُ: الْخَلِيفَةُ الشَّفِيقُ ... نِعْمَ نَقِيبُ الأُمَّةِ «الصِّدِّيقُ»
٢٥٧. ذَاكَ رَفِيقُ الْمُصْطَفَى فِي الْغَارِ ... شَيْخُ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ
٢٥٨. وَهْوَ الَّذِي بِنَفْسِهِ تَوَلَّى: ... جِهَادَ مَنْ عَنِ الْهُدَى تَوَلَّى
٢٥٩. ثَانِيهِ فِي الْفَضْلِ بِلاَ ارْتِيَابِ ... الصَّادِعُ النَّاطِقُ بِالصَّوَابِ
٢٦٠. أَعْنِي بِهِ الشَّهْمَ: أَبَا حَفْصٍ «عُمَرْ» ... مَنْ ظَاهَرَ الدِّينَ الْقَوِيمَ وَنَصَرْ
٢٦١. الصَّارِمَ الْمَنْكِي عَلَى الْكُفَّارِ ... وَمُوسِعُ الْفُتُوحَ فِي الأَمْصَارِ
٢٦٢. ثَالِثُهُمْ: «عُثْمَانُ» ذُو النُّورَيْنِ ... ذُو الْحِلْمِ وَالْحَيَا بِغَيْرِ مَيْنِ
٢٦٣. بَحْرُ الْعُلُومِ جَامِعُ الْقُرآنِ ... مِنْهُ اسْتَحَتْ مَلاَئِكُ الرَّحْمَنِ
٢٦٤. بَايَعَ عَنْهُ سَيِّدُ الأَكْوَانِ ... بِكَفِّهِ فِي: بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
٢٦٥. وَالرَّابِعُ: «ابْنُ عَمِّ» خَيْرِ الرُّسُلِ ... أَعْنِي الإِمَامَ الْحَقَّ ذَا الْقَدْرِ الْعَلِي
٢٦٦. مُبِيدُ كُلِّ خَارِجِيٍّ مَارِقِ ... وَكُلِّ خِبٍّ رَافِضِيٍّ فَاسِقِ
٢٦٧. مَنْ كَانَ لِلرَّسُولِ فِي مَكَانِ: ... هَارُونَ مِنْ مُوسَى بِلاَ نُكْرَانِ
٢٦٨. لاَ فِي نُبُوَّةٍ، فَقَدْ قَدَّمْتُ مَا ... يَكْفِي لِمَنْ مِنْ سُوْءِ ظَنٍّ سَلِمَا
٢٦٩. «فَالسِّتَّةُ» الْمُكَمِّلُونَ الْعَشَرَهْ ... وَسَائِرُ «الصَّحْبِ» الْكِرَامِ الْبَرَرَهْ
٢٧٠. «وَأَهْلُ بَيْتِ» الْمُصْطَفَى الأَطْهَارُ ... وَتَابِعُوهُ السَّادَةُ الأَخْيَارُ
٢٧١. فَكُلُّهُمْ فِي مُحْكَمِ الْقُرآنِ ... أَثْنَى عَلَيْهِمْ خَالِقُ الأَكْوَانِ
٢٧٢. فِي: (الْفَتْحِ وَالْحَدِيْدِ وَالْقِتَالِ) ... وَغَيْرِهَا بِأَكْمَلِ الْخِصَالِ
٢٧٣. كَذَاكَ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ: ... صِفَاتُهُمْ مَعْلُومَةُ التَّفْصِيلِ
٢٧٤. وَذِكْرُهُمْ فِي «سُنَّةِ» الْمُخْتَارِ: ... قَدْ سَارَ سَيْرَ الشَّمْسِ فِي الأَقْطَارِ
٢٧٥. ثُمَّ السُّكُوتُ: وَاجِبٌ عَمَّا جَرَى ... بَيْنَهُمْ مِنْ فِعْلِ مَا قَدْ قُدِّرَا
٢٧٦. فَكُلُّهُمْ مُجْتَهِدٌ مُثَابُ ... وَخَطَؤُهُمْ يَغْفِرُهُ الْوَهَّابُ

وأهم مَا فِي هَذَا الْفَصْلِ خَمْسُ مَسَائِلَ:

الْأُولَى: مسألة الخلافة.

الثانية: فضل الصحابة وتفاضل ما بينهم.

الثالثة: تَوَلِّي أَصْحَابِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – وأهل بيته سلام الله ورحمته وبركاته عليهمْ وَمَحَبَّةُ الْجَمِيعِ وَالذَّبُّ عَنْهُمْ.

الرَّابِعَةُ: ذِكْرِهِمْ بمحاسنهم والكف عن مساوئهم.

الخامسة: السُّكُوتِ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ وَأَنَّ الْجَمِيعَ مُجْتَهِدٌ، فَمُصِيبُهُمْ لَهُ أَجْرَانِ: أَجْرٌ عَلَى اجْتِهَادِهِ وَأَجْرٌ عَلَى إِصَابَتِهِ، وَمُخْطِؤُهُمْ لَهُ أَجْرُ الِاجْتِهَادِ وَخَطَؤُهُ مغفور.

وهذه المسائل سيتم بيانها إن شاء الله تعالى من خلال الحديث عن النقاط التالية:

١. فضل الخلفاء الراشدين الأربعة واستحقاق الخلافة وترتيبهم في ذلك:

*** الخليفة الأول: أبوبكر الصديق رضي الله عنه:**

هو أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بن مرة التيمي.

أ- خلافته:

- أما خلافته فيدل عليها:

١. حديث تَقْدِيمِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – إِيَّاهُ إِمَامًا فِي الصَّلَاةِ مَقَامَهُ أَيَّامَ مَرَضِهِ – صَلَّى الله عليه وسلم – . والحديث في الصحيحين.

٢. وفيهما أيضاً عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إليه، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تَقُولُ الْمَوْتَ، قَالَ – صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم –: (إن لم تجديني فأتِ أَبَا بَكْرٍ).

٣. وَفِيهِمَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – يَقُولُ: (بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عليها دَلْوٌ فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ مِنْهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْباً، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ حتى ضرب الناس بعطن .

٤. ولمسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَسُئِلَتْ: مَنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – مُسْتَخْلِفًا لَوِ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ. فَقِيلَ لها ثم من؟ قَالَتْ: عُمَرُ، قِيلَ لَهَا: مِنْ بَعْدِ عُمَرَ؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح.

- وأما صفة بيعته بخلافة النبوة فروى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – مَاتَ وَأَبُو بكر بالسُّنْحِ، فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ – وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – فَقَبَّلَهُ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا.

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَتَيْنِ أَبَدًا. ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ. فَلَمَّا تَكَلَّمَ جَلَسَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عليه وَقَالَ: ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً – صلى الله عليه وسلم – قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. وَقَالَ: "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ"، وَقَالَ: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي الله الشاكرين" . قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ. قَالَ: وَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي ساعدة فقالوا: منا أميسر ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر الصديق وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذَهَبَ عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ثم تكلم أبلغَ النَّاسِ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ: نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وأنتم الوزراء. فقال حباب بن المنذر: لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ، مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا وَلَكِنْ نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُم الْوُزَرَاءُ، إِنَّ قُرَيْشًا هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارًا وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا فَبَايِعُوا عُمَرَ بْنَ الْخَطَابِ أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ. فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ نُبَايِعُكَ أَنْتَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَخَيْرُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – . فأخذ عمر بيده وبايعه الناس.

وفي رواية قالت: فَمَا كَانَتْ مِنْ خُطْبَتِهِمَا مِنْ خُطْبَةٍ إِلَّا نَفَعَ اللَّهُ بِهَا، لَقَدْ خَوَّفَ عُمَرُ النَّاسَ وَإِنَّ فِيهِمُ النِّفَاقَ، فَرَدَّهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ، ثُمَّ بَصَّرَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ الْهُدَى وَعَرَّفَهُمُ الْحَقَّ الَّذِي عليهم وَخَرَجُوا بِهِ يَتْلُونَ: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ – إلى – الشاكرين" .

ب– فضله:

قال تعالى: {ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ (٤٠)} (التوبة) . ومما يدل على أنه رضي الله عنه أفضل الأمة بعد نبيها – صلى الله عليه وسلم – وأحب رجالها إليه الحديثان التاليان.

– وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ) . ففي هذا الحديث الدليل على أنه رضي الله عنه أَفْضَلُ الْأُمَّةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم – .

– وفي صحيح البخاري عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – بَعَثَهُ على جيش ذات السلاسل قال: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إليك؟ قَالَ: (عَائِشَةُ)، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: (أَبُوهَا). قُلْتُ: ثم من؟ قال: (عمر بن الخطاب)، فعد رجالاً. فهذا صريح مرفوع.

*** الخليفة الثاني: عمر بن الخطاب رضي الله عنه:**

خلافته وفضله:

هو ثَانِي أَبِي بَكْرٍ فِي الْفَضْلِ عَلَى النَّاسِ بَعْدَهُ فَلَا أَفْضَلَ مِنْهُ، وَكَذَا هُوَ ثَانِيهِ في الخلافة بإجماع. وكان صادعاً مجاهراً بالحق لا يخاف لومة لائم وَبِهِ سَمَّاهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – فاروقاً. وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين. وتقدمت إِشَارَاتُ النُّصُوصِ النَّبَوِيَّةِ إِلَى خِلَافَتِهِ قَرِيبًا مَعَ ذكر أبي بكر رضي الله عنه. وكذا كونه ثاني أبي بكر في الفضل كما تقدم. وكان أبو بكر في مرضه قد عهد إليه بالأمر من بعده فأقر المسلمون بذلك وسمعوا له وأطاعوا.

*** الخليفة الثالث: عثمان بن عفان رضي الله عنه:**

ويدل على كونه ثالثهم في الخلافة والفضل حديث ابن عمر السابق في الصحيحين .

أ- توليه الخلافة والدليل على استحقاقه لها:

- وفي صحيح البخاري أنه لما طعن عمر رضي الله عنه قال له المسلمون: أوصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. اسْتَخْلِفْ. قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ - الرَّهْطِ - الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - وَهُوَ عَنْهُمْ راضٍ، فَسَمَّى عليا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ وَقَالَ: ليشهدكم عبد الله بن عمر وليس مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ - كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ - فَإِنْ أَصَابَتِ الْإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عن عجز ولا خيانة.

فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلَاثَةٍ مِنْكُمْ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى على، فقال أبو طَلْحَةَ: قَدْ جَعَلَتْ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ. وَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن عوف. فقال عبد الرحمن: أيكم تَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَلَنَجْعَلْهُ إليه، وَاللَّهُ عليه وَالْإِسْلَامُ لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ فَأُسْكِتِ الشَّيْخَانِ. فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَفَتَجْعَلُونَهُ إلي وَاللَّهُ على أَنْ لَا آلُو عَنْ أَفْضَلِكُمْ؟ قَالَا: نَعَمْ. فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا فَقَالَ: لَكَ مِنْ قَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - والقدم في الإسلام ما قد عملت، فَاللَّهُ عليك لَئِنْ أَمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ وَلَئِنْ أَمَّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ وَلَتُطِيعَنَّ. ثُمَّ خَلَا بِالْآخَرِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ قَالَ: ارفع يدك إلى عُثْمَانَ، فَبَايَعَهُ وَبَايَعَ لَهُ على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ، رَضِيَ اللَّهُ عنهم أجمعين.

- وروى الإمام أَحْمَدُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ الله قال لعثمان بن عفان رضي الله عنه: (يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللَّهَ تعالى عَسَى أَنْ يلبسك قميصاً، فإن أرادوك الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ حتى تَلْقَانِي) (ثلاثاً) .

- وروى أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - يَقُولُ: (إِنَّكُمْ تَلْقَوْنَ بَعْدِي فِتْنَةً وَاخْتِلَافًا - أَوْ قَالَ: اخْتِلَافًا وَفِتْنَةً -) فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ النَّاسِ: فَمَنْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (عليكم بِالْأَمِينِ وَأَصْحَابِهِ)، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى عُثْمَانَ بذلك .

- وروى أبو داود عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عنه أنه كان يحدث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (رأى اللَّيْلَةَ رَجُلٌ صَالِحٌ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ نِيطَ بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - وَنِيطَ عُمَرُ بِأَبِي بَكْرٍ وَنِيطَ عُثْمَانُ بِعُمَرَ) قَالَ جَابِرٌ: فَلَمَّا قُمْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - قُلْنَا: أَمَّا الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ -، وَأَمَّا تَنَوُّطُ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ فَهُمْ وُلَاةُ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ - صَلَّى الله عليه وسلم - .

ب- كتابته المصاحف وجمعه الناس على مصحف واحد:

لما خشي رضي الله عنه الاختلاف في القرآن والخصام فيه أثناء خلافته جمع النَّاسَ عَلَى قِرَاءَةٍ وَاحِدَةٍ وَكَتَبَ الْمُصْحَفَ عَلَى القراءة الأخيرة التي دارسها جبريل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في آخر سني حياته - صلى الله عليه وسلم - .

وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنُ اليمانِ رضي الله عنه كَانَ فِي بَعْضِ الْغَزَوَاتِ وَقَدِ اجْتَمَعَ فِيهَا خَلْقٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامَ مِمَّنْ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ مِمَّنْ يَقْرَأُ عَلَى قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي مُوسَى، وَجَعَلَ مَنْ لَا يَعْلَمْ بِجَوَازِ الْقِرَاءَةِ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ يُفَضِّلُ قِرَاءَتَهُ عَلَى قِرَاءَةِ غَيْرِهِ وَرُبَّمَا خَطَّأَهُ

الْآخَرُ أَوْ كَفَّرَهُ، فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى خِلَافٍ شَدِيدٍ وَانْتِشَارِ الْكَلَامِ السَّيْءِ بَيْنَ النَّاسِ، فَرَكِبَ حُذَيْفَةُ إِلَى عُثْمَانَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ تَخْتَلِفَ فِي كِتَابِهَا كَاخْتِلَافِ اليهود وَالنَّصَارَى فِي كُتُبِهِمْ، وَذَكَرَ لَهُ مَا شَاهَدَ مِنَ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي الْقِرَاءَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ جَمَعَ الصَّحَابَةَ وَشَاوَرَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَرَأَى أَنْ يَكْتُبَ الْمُصْحَفَ عَلَى حرف وَاحِدٍ، وَأَنْ يَجْمَعَ النَّاسَ فِي سَائِرِ الْأَقَالِيم عَلَى الْقِرَاءَةِ بِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ لِمَا رَأَى فِي ذَلِكَ مِنْ مَصْلَحَةِ كَفِّ الْمُنَازَعَةِ وَدَفْعِ الِاخْتِلَافِ، فاسْتَدْعَى بالصُّحُفِ الَّتِي كَانَ أَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ بِجَمْعِهَا فَكَانَتْ عِنْدَ الصِّدِّيقِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، ثُمَّ كَانَتْ عِنْدَ عُمَرَ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ صَارَتْ إِلَى حَفْصَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ. فَاسْتَدْعَى بها عثمان وأمر زيد ابن ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيَّ أَنْ يَكْتُبَ وَأَنْ يُمْلِيَ عليه سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ الْأُمَوِيُّ بِحَضْرَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ الْأَسَدِيِّ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ الْمَخْزُومِيِّ وَأَمَرَهُمْ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَنْ يَكْتُبُوهُ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ، فَكُتِبَ لِأَهْلِ الشام مصحفاً، ولأهل مصر آخر، وَإِلَى اليمنِ مِثْلَهُ، وَأَقَرَّ بالْمَدِينَةِ مُصْحَفًا، وَيُقَالُ لِهَذِهِ الْمَصَاحِفِ (الْأَئِمَّةُ)، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بَقِيَّةِ الْمَصَاحِفِ الَّتِي بِأَيْدِي النَّاسِ مِمَّا يُخَالِفُ مَا كَتَبَهُ فَحَرَقَهُ لِئَلَّا يَقَعَ بِسَبَبِهِ اخْتِلَافٌ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ وَأَبُو بَكْرِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفْلَةٍ قَالَ: قَالَ لِي على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ حَرَقَ عُثْمَانُ الْمَصَاحِفَ: لَوْ لَمْ يَصْنَعْهُ هُوَ لَصَنَعْتُهُ.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي عُثْمَانَ: تَقُولُونَ حَرَقَ الْمَصَاحِفَ، وَاللَّهِ مَا حَرَقَهَا إِلَّا عَنْ مَلَأٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ -، وَلَوْ وَلِيتُ مِثْلَ مَا وَلِيَ لفعلت مثل الذي فعل.

* الخليفة الرابع: علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

فهو رضي الله عنه الرابع في الفضل والخلافة بالإجماع. وفي حديث أحمد وأبي دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا عَنْ سَفِينَةَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - يَقُولُ: (الْخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ مُلْكًا)؛ قَالَ سَفِينَةُ: فَخُذْ سَنَتَيْ أبي بكر وعشر عمر واثنتي عشرة عُثْمَانَ وَسِتَّ على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

أ- ذكر أول من آمن بالنبي - صلى الله عليه وسلم -:

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو صغير في كفالة النبي - صلى الله عليه وسلم -، فَلَمَّا بُعِثَ آمَنَ بِهِ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِ سِنِينَ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ مِنَ الصِّبْيَانِ، كما أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ مِنَ الرِّجَالِ وَخَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَوَّلُ مَنْ آمن به من النساء وورقة بن نوفل رضي لله عنه أول من آمن به مِنَ الشُّيُوخِ وَزَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الْمَوَالِي، وَبِلَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الْأَرِقَّاءِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - ورضي عنهم أجمعين.

ب- ظهور الخوارج وبيان فساد مذهبهم:

وعلي رضي الله عنه هو مبيد ومدمر كُلِّ خَارِجِيٍّ، نِسْبَةً إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الطَّاعَةِ وَلَكِنْ صَارَ هَذَا الِاسْمُ عَلَمًا عَلَى الحروريَّة الذين كفّروا أهل القبلة بالمعاصي وَحَكَمُوا بِتَخْلِيدِهِمْ فِي النَّارِ بِذَلِكَ، وَاسْتَحَلُّوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، حتى الصَّحَابَةَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ أهل بدر وَغَيْرِهِمْ، حتى علي بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَخَبَّابَ وَأَقْرَانَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم صار هذا الاسم عاماً لِكُلِّ مَنِ اتَّبَعَ مَذْهَبَهُمُ الْفَاسِدَ وَسَلَكَ طَرِيقَتَهُمِ الخائبة،

وكل ذنب يكفرون به المؤمنين تَكْفِيرٌ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ وُجُوهٍ عَدِيدَةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ:

- فَمِنْهَا أَنَّ تَكْفِيرَ الْمُؤْمِنِ إِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ كَفَرَ فَاعِلُهُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: (أيما امريء قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عليه) .

- وَمِنْهَا أَنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ الَّتِي يُكَفِّرُونَ بها الْمُؤْمِنِينَ قَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَهُمْ أَسْرَعُ النَّاسِ فِي ذَلِكَ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِيمَانِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ.

- وَمِنْهَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ وَإِنْ عَمِلَ الْمَعَاصِي فَهُوَ لَا يَسْتَحِلُّهَا وَإِنَّمَا يَقَعُ فِيهَا لِغَلَبَةِ نَفْسِهِ إِيَّاهُ وَتَسْوِيلِ شَيْطَانِهِ لَهُ وَهُوَ مُقِرٌّ بِتَحْرِيمِهَا وَبِمَا يَتَرَتَّبُ عليه مِنَ الْحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ فِيمَا ارْتَكَبَهُ، وَهُمْ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ قَتْلَهَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَيَأْخُذُونَ الْأَمْوَالَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ أَخْذَهَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَيَفْعَلُونَ الْأَفَاعِيلَ الْقَبِيحَةَ مُسْتَحِلِّينَ لَهَا، وَالَّذِي يَعْمَلُ الْكَبِيرَةَ مُسْتَحِلًّا لَهَا أولى بالكفر ممن يعملها مقراً بتحريمها، إِذْ هُوَ تَكْذِيبٌ بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلَ اللَّهُ تعالى بِهِ رُسُلَهُ عليهمُ السَّلَامُ، وَإِنَّمَا تَوَقَّفَ الصَّحَابَةُ عَنْ تَكْفِيرِ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يتأولون فحكموا أَهم بغاة.

وفي الصَّحِيحِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - بالجعرّانة مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - يَقْبِضُ مِنْهَا وَيُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اعْدِلْ. قَالَ: (وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟ لَقَدْ خبت وخسرت إن لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ). فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَقْتُلُ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ).

وفيه عن أبي سعيد في قصة الذهبية (فَجَاءَ رَجُلٌ كَثُّ اللِّحْيَةِ مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ غَائِرُ العينين ناتيء الْجَبِينِ مَحْلُوقُ الرَّأْسِ فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم -: (إن من ضئضيء هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) وفي لفظ: (ثمود).

ج- الرافضة وأقسامهم وموقفه رضي الله عنه منهم:

وعلي رضي الله عنه هو كذلك مبيد كل رافضي فاسق.

- وَالرَّافِضِيُّ نِسْبَةٌ إِلَى الرَّفْضِ وَهُوَ التَّرْكُ بازْدِراءٍ واستهانة، سموا بذلك لرفضهم الشيخين أبا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَزَعَمُوا أَنَّهُمَا ظلما عليا واغتصباه الخلافة ومنعا فاطمة رضي الله عنها فَدَك .

- وَهُمْ أَقْسَامٌ كَثِيرَةٌ لَا كَثَّرَهُمُ اللَّهُ تعالى:

١. السبئية، أَتْبَاعُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ اليهوديِّ قَبَّحَهُ الله، وهم أَعْظَمُهُمْ غُلُوًّا وَأَسْوَأُهُمْ قَوْلًا وَأَخْبَثُهُمُ اعْتِقَادًا بَلْ وأخبث من اليهود والنصارى، فقد كَانُوا يَعْتَقِدُونَ فِي على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْإِلَهِيَّةَ كَمَا يَعْتَقِدُ النَّصَارَى فِي عِيسَى عليه السَّلَامُ، وَهُمُ الَّذِينَ أَحْرَقَهُمْ على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنَّارِ، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ عليه ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما كما في صحيح البخاري والسند وَأَبي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ عَنْ عِكْرِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُتِيَ على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِزَنَادِقَةٍ فَأَحْرَقَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمْ أَحْرِقْهُمْ لِنَهِيِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لاتعذبوا بِعَذَابِ اللَّهِ) وَلَقَتَلْتُهُمْ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ -: (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ).

وَكَانَ كَبِيرُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبَأٍ يَهُودِيًّا ثُمَّ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَابْتَدَعَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ وَتَفْصِيلُ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ فِي الْفَتْحِ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَرِيكٍ الْعَامِرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قال: قيل لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ هُنَا قَوْمًا عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ رَبُّهُمْ، فَدَعَاهُمْ فَقَالَ لَهُمْ: وَيْلَكُمْ مَا تَقُولُونَ؟ قَالُوا: أَنْتَ رَبُّنَا وَخَالِقُنَا وَرَازِقُنَا. قَالَ: وَيْلَكُمْ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِثْلُكُمْ آكُلُ الطَّعَامَ كَمَا تَأْكُلُونَ وَأَشْرَبُ كَمَا تَشْرَبُونَ. إِنْ أَطَعْتُ اللَّهَ أَثَابَنِي إِنْ شَاءَ وَإِنْ عَصَيْتَهُ خَشِيْتُ أَنْ يُعَذِّبَنِي، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَارْجِعُوا، فَأَبَوْا. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ غَدَوْا عليه، فَجَاءَ قَنْبَرٌ فَقَالَ: قَدْ وَاللَّهِ رَجَعُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ الْكَلَامَ، فَقَالَ: أَدْخِلْهُمْ فَقَالُوا كَذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ الثَّالِثُ: قَالَ: لَئِنْ قُلْتُمْ ذَلِكَ لَأَقْتُلَنَّكُمْ بِأَخْبَثِ قِتْلَةٍ فَأَبَوْا إِلَّا ذَلِكَ، فَأَمَرَ على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَخُدَّ لَهُمْ أُخْدُودٌ بَيْنَ الْمَسْجِدِ وَالْقَصْرِ، وَأَمَرَ بِالْحَطَبِ أَنْ يُطْرَحَ فِي الْأُخْدُودِ وَيُضْرَمَ بِالنَّارِ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: إِنِّي طَارِحُكُمْ فِيهَا أَوْ تَرْجِعُوا. فَأَبَوْا أَنْ يَرْجِعُوا، فَقَذَفَ بِهِمْ حتى إِذَا احْتَرَقُوا قَالَ:

إِنِّي إِذَا رَأَيْتُ أَمْرًا مُنْكَرًا... أَوْقَدْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَنْبَراً

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حُجْرٍ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ .

٢. وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا علي وَهُمُ النُّصَيْرِيَّةُ الَّذِينَ يَقُولُ شَاعِرُهُمْ قَبَّحَهُ اللَّهُ:

أَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا	حَيْدَرَةَ الْأَنْزُعُ الْبَطِينْ
وَلَا سَبِيلَ إليه إِلَّا	مُحَمَّدٌ الصَّادِقُ الْأَمِينْ
وَلَا حِجَابَ عليه إِلَّا	سَلْمَانُ ذو القوة المتين

٣. ومنهم مَنْ يَدَّعِي فِيهِ الرِّسَالَةَ وَأَنَّ جِبْرِيلَ خَانَهَا فَنَزَلَ بِهَا عَلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - .

٤. وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي فِيهِ الْعِصْمَةَ وَيَرَى خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ بَاطِلَةٌ، وَيَشْتُمُونَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَعَائِشَةَ وَيَرْمُونَهَا بِمَا رَمَاهَا بِهِ ابْنُ سَلُولٍ قَبَّحَهُمُ اللَّهُ.

٥. وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ كَمَا رُفِعَ عِيسَى وسيترل كما يترل عيسى عليه السلام، وهم أصحاب الرجعة.

٦. وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ وَصَّى رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – بِأُمَّتِهِ وَأَنَّهُ عَهِدَ إليه ما لم يَعْهَدُهُ إِلَى غَيْرِهِ وَبَلَّغَهُ مَا كَتَمَهُ النَّاسَ؟، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ فِرَقِهِمُ الضَّالَّةِ وَشيعهمُ الْخَاطِئَةِ.

٧. وَأَمَّا الزَّيْدِيَّةُ الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ زَيْدِ بْنِ علي وَأَتْبَاعِهِ، فَهَؤُلَاءِ لَا يَشْتُمُونَ الشَّيْخَيْنِ – أبا بكر وعمر – وَلَا عَائِشَةَ وَلَا سَائِرِ الْعَشْرَةِ، وَلَكِنَّهُمْ يُفَضِّلُونَ عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَيُقَدِّمُونَهُ فِي الْخِلَافَةِ ثُمَّ أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ يَسْكُتُون عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَيَحُطُّونَ عَلَى معاوية غفر الله له.

هذا الذي تحصّل من رسائلهم، وفي بعضها السكوت عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فَلَا يَذْكُرُونَهُمَا بخَيْرٍ وَلَا شَرٍّ، وَلَا بخِلَافَةٍ وَلَا غَيْرِهَا، ثُمَّ يَحْصُرُونَ الْخِلَافَةَ فِي علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَذُرِّيَّتِهِ، فَفِرْقَةٌ تَدَّعِي عِصْمَتَهُمْ وَأُخْرَى لَا تَدَّعِي ذَلِكَ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ فِرَقٌ كَثِيرَةٌ مُتَفَاوِتُونَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَاعْتِقَادَاتِهِمْ، وَأَخَفُّهُمْ بدعة الزيدية.

– هذا في شأن أهل البيت طهرهم الله تعالى، أما فِي مَسْأَلَةِ الصِّفَاتِ وَالْقُرْآنِ وَالْقَدَرِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَسَائِرِ الْمُعْتَقَدَاتِ، فَقَدْ دَهَى كُلَّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ ما دهى غيرها من الناس، ولكن المشهور من غالبهم اعتمادهم كُتُبَ الْعَلَّافِ والجُبَّائي وَأَشْبَاهِهِ، وَالزَّيْدِيَّةُ عُمْدَتُهُمْ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ كَشَّافُ الزَّمَخْشَرِيِّ وَقَدْ شَحَنَهُ بِقَوْلِ القدرية والمعتزلة.

– وأما كون علي رضي الله عنه له منزلة من الرسول – صلى الله عليه وسلم – كمنزلة هارون من موسى عليهما السلام فهذا في الاستخلاف. فموسى عليه السلام استخلف هارون عليه السلام فِي مُدَّةِ الْمِيعَادِ، وَمُحَمَّدٌ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – اسْتَخْلَفَ عليا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَفِي الصحيحين عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: خَلَّفَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله تُخَلِّفُنِي فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، بدون استثناء وهي أيضاً في الصَّحِيحَيْنِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ – وَيُخَصِّصُ عُمُومَ الْمَنْزِلَةِ بِخُصُوصِ الْأُخُوَّةِ وَالِاسْتِخْلَافِ فِي أَهْلِهِ فَقَطْ لَا فِي النُّبُوَّةِ كَمُشَارَكَةِ هَارُونَ لموسى.

د– ما شجر في خلافته بين الصحابة وبيان عذرهم في ذلك:

ونقصد بذلك مَا أَصَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ اخْتِلَافِ الناس عليه والفتن الهائلة وَالدِّمَاءِ الْمُهْرَقَةِ وَالْأُمُورِ الصِّعَابِ وَالْأَسْلِحَةِ الْمَسْلُولَةِ بَيْنَ المسلمين بسبب السبئية ومن وافقهم عَلَى قَتْلِ عُثْمَانَ، وَكَانَ غَالِبُهُمْ مُنَافِقِينَ، وَقَلِيلٌ منهم من أبناء صحابة مَغْرُورُونَ، فَحَصَلَ مِنْ ذَلِكَ فِي يَوْمِ الْجَمَلِ وصفين وغيرهما وقائع يطول ذكرها.

– فأما موقعة الْجَمَلِ فَكَانَتْ بِمَحْضِ فِعْلِ السَّبَئِيَّةِ قَبَّحَهُمُ اللَّهُ تعالى، لَيْسَ باخْتِيَارِ علي – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – ولا طلحة ولا الزبير ولا أم المؤمنين رضي الله عنهم، بل بات الفريقين متصالحين بخير ليلة، فتوطأ أهل الفتنة، وتمالؤا عَلَى أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ وَيُنْشِبُوا الْحَرْبَ بَيْنَ الْفِئَتَيْنِ مِنَ الْغَلَسِ، فَثَارَ النَّاسُ مِنْ نَوْمِهِمْ إِلَى السِّلَاحِ فَلَمْ يَشْعُرْ أَصْحَابُ رَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – إلا بالرؤوس تَنْدُر والمعاصم تتطاير ما يدرون ما الأمر حتى عقر الجمل وانكشفت الحال عَنْ عَشَرَةِ آلَافِ قَتِيلٍ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إليه رَاجِعُونَ. وَإِنَّمَا أَنْشَبَ أَهْلُ الْفِتْنَةِ الْحَرْبَ بين الفريقين لعلهم

أَنَّهُمَا إِنْ تَصَالَحَا دَارَتِ الدَّائِرَةُ عليهمْ وأُخِذوا بدم عثمان وأقيم عليهم كتاب الله، فَقَالُوا نَشْغَلُهُمْ بِأَنْفُسهِمْ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مقدوراً. وكان السبئية يخافون عليا - رضي الله عنه - أكثر مِنْ خُصَمَائِهِ، وَذَلِكَ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَى مَا فعلوه.

- وأما في قتاله أهل الشام فكانوا مع معاويه - رضي الله عنه -، وكان معاوية متأولاً يطلب بدم عثمان - رضي الله عنه - وَيَرَى أَنَّهُ وَلِيَّهُ وَإِنَّ قَتَلَته فِي جَيْشِ علي - رضي الله عنه -، فكان معذوراً بخطئه بذَلِكَ. وَأَمَّا علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَكَانَ مُجْتَهِدًا مُصِيبًا وَفَالِجًا مُحِقًّا يُرِيدُ جَمْعَ كَلِمَةِ الأمة حتى إذا كانوا جماعة وخمدت الفتنة أَخَذَ بِالْحَقِّ مِنْ قَتَلَةِ عُثْمَانَ، وَكَانَ - رَضِيَ الله عنه - أعلم بكتاب الله عز وجل من المطالبين بدم عثمان - رضي الله عنه -، فكان أهل الشام بغاة اجتهدوا فأخطؤوا وَعلى - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يُقَاتِلُهُمْ لِيَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ وَيَفِيئُوا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، وَلِهَذَا كَانَ أَهْلُ بَدْرٍ الْمَوْجُودُونَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ فِي جَيْشِهِ وَعَمَّارٌ قُتِلَ مَعَهُ - رَضِيَ اللَّهُ عنه -، كما في الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ فِي بناءِ المسجد، قال: (كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لِبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عنه ويقول (ويح عمار تقتله الفئة الباغية، ويدعوهم إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ) قَالَ: يَقُولُ عَمَّارٌ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ)، فَقَتَلَهُ أَهْلُ الشَّامِ مِصْدَاقَ مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ - صلى الله عليه وسلم - وهو يدعوه إِلَى الْجَمَاعَةِ وَالِائْتِلَافِ وَإِلَى طَاعَةِ الْإِمَامِ التِّى هِيَ مِنْ أَسْبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى الفتنة والفرقة التي هي أَسْبَابِ دُخُولِ النَّارِ، وَكَانَ على - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَسْعَدَ مِنْهُمْ وَأَوْلَاهُمْ بِالْحَقِّ لِقَتْلِهِ الْخَوَارِجَ بالنهروان، وقد ثبت في الصحيح عن أبي سعيد - رضي الله عنه - أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: (يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق) وفي رواية عنه: (فيلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق وهو يومئذ - رضي الله عنه - أَفْضَلُ مَنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بِالْإِجْمَاعِ وَذَلِكَ مصداق ما سبق في حديث سفينة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ سَمِعْتُ: رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - يَقُولُ: (الْخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ تَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ مُلْكًا) قَالَ سَفِينَةُ: فَخُذْ سَنَتَيْ أَبِي بَكْرٍ وَعَشْرَ عُمَرَ واثنتي عشر عُثْمَانَ وَسِتَّ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وسفينة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حَذَفَ الزَّائِدَ وَالنَّاقِصَ عَنِ السِّنِينَ مِنَ الْأَشْهُرِ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عادة العرب في حذف الكسور في الحساب، فإن مدة خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - كانت سنتين وثلاثة أشهر، وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَةِ الْفَارُوقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عشر سنين وستة أشهر، وكانت مدة خلافة عثمان - رضي الله عنه - اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً، وكانت مدة خلافة علي رضي الله عنه أربع سنين وتسعة أشهر إلا ليال، وعلى هذا فأيام خلافتهم رضي الله عنهم لا تكمل ثلاثين سنة إلا بخلافة الحسن بْنِ علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَهِيَ سِتَّةُ أشهر، وقد أصلح الله به بين الْفِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - . وولي معاوية بذَلِكَ وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عليه، وَكَانَ ذَلِكَ الْعَامُ يُسَمَّى (عَامَ الْجَمَاعَةِ) وَكَانَ مُعَاوِيَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عنه - أول ملوك الإسلام وخيرهم.

٢. بقية العشرة المبشرين بالجنة، وسائر الصحابة الكرام وترتيبهم في الفضل:

فيلي الخلفاء الأربعة الراشدين في الفضل الستة المكملون الْعَشَرَةِ الْمَشْهُودُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، كَمَا فِي السُّنَنِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَخْنَسِ أَنَّهُ كَانَ فِي المسجد، ذكر رَجُلٌ عليا عليه السَّلَامُ، فَقَامَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - أَنِّي سَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: (عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - فِي الْجَنَّةِ،

وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعلي فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، لو شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ). قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ، قَالَ: فَقَالُوا: مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: (هُوَ سعيد بن زيد) . رضي الله عنهم.

وكذا سائر الصحب الكرام الَّذِينَ هُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه – صلى الله عليه وسلم – ونصرة دينه، ثم هم على مراتب: أَفْضَلُهُمُ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ثُمَّ مِنَ الأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل أُحُدٍ، ثُمَّ أَهْلُ الثَّبَاتِ فِي غَزْوَةِ الأحزاب التي نجم فيها النفاق، ثم أهل بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، ثُمَّ مَنْ هَاجَرَ مِنْ قَبْلِ الفتح وقاتل "أولئك أعظم رجة مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وكُلاً وعد الله الحسنى" .

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل الصحابة والتابعين نذكر هنا بعضاً منها:

- في الصحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –" أَنَّهُ قَالَ: (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ لَهُمْ: فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم".

- وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: (الْقَرْنُ الَّذِي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث).

- وفي الصحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ: كَانَ بَيْنَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ شَيْءٌ فَسَبَّهُ خَالِدٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ –: (ولا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ).

- وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ على رضي الله عنه قصة كتاب حاطب مع الظعينة – وفيه- فقال عمر: (دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق) فقال: (إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غفرت لكم).

- وعن جَابِرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: (لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح .

٣. أهل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ورضي عنهم:

*** أما زوجاته:**

فهن أمهات المؤمنين، وَهُنَّ زَوْجَاتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَمِنْهُنَّ خَدِيجَةُ، وعائشة، وأم سلمة، وزينب، وصفية بين حي من ولد هارون بن عمران، وَجُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ مَلِكِ بَنِي الْمُصْطَلَقِ الَّتِي كَانَتْ هِيَ السَّبَبُ فِي عِتْقِ السَّبْيِ مِنْ قبيلتها، وسودة بنت زمعة التي كانت مِنْ أَسْبَابِ الْحِجَابِ وَلَمَّا كَبُرَتِ اخْتَارَتْ نَبِيَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَبْقَى فِي عِصْمَةِ نِكَاحِهِ وَوَهَبَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ تَسْتَحِقُّهُ مَعَ قَسْمِهَا، وأم حبيبة ذات الهجرتين، وميمونة بنت الحارث الهلالية الَّتِي نَكَحَهَا النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ – فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ وَهُمَا حَلَالَانِ عَلَى مَا حَدَّثَتْ بِهِ هِيَ وَالسَّفِيرُ بَيْنَهُمَا، وَكُلُّهُنَّ زَوْجَاتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ.

- وَيَدْخُلُ فِي أهل بيته أيضاً الَّذِينَ جَلَّلَهُمُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - بِكِسَائِهِ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: خَرَجَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - غَدَاةً وَعليه مِرْط مُرَحَّل مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ على فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا ثُمَّ جَاءَ على فَأَدْخَلَهُ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً" .

- وَيَدْخُلُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ آلِهِ الَّذِينَ حُرِّمَتْ عليهمُ الصَّدَقَةُ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ قَالَ: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وَعُمَرُ بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ - وفيه- فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أليس نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ علي وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جعفر وآل عباس.

٤. وُجُوب السُّكُوتِ عَنِ الْخَوْضِ فِي الْفِتَنِ الَّتِي جرت بين الصحابة:

- أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ الَّذِينَ يُعْتَدُّ بِإِجْمَاعِهِمْ عَلَى وُجُوبِ السُّكُوتِ عَنِ الْخَوْضِ فِي الْفِتَنِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، وَالِاسْتِرْجَاعِ عَلَى تِلْكَ الْمَصَائِبِ الَّتِي أُصِيبَتْ بِهَا هَذِهِ الْأُمَّةُ، وَالِاسْتِغْفَارِ لِلْقَتْلَى مِنَ الطَّرَفَيْنِ وَالتَّرَحُّمِ عليهمْ وَحِفْظِ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ وَالِاعْتِرَافِ لَهُمْ بِسَوَابِقِهِمْ وَنَشْرِ مَنَاقِبِهِمْ عَمَلًا بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سبقونا بالإيمان} الْآيَةَ، وَاعْتِقَادِ أَنَّ الْكُلَّ مِنْهُمْ مُجْتَهِدٌ، إِنْ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ: أَجْرٌ عَلَى اجْتِهَادِهِ وَأَجْرٌ عَلَى إِصَابَتِهِ، وَإِنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرُ الِاجْتِهَادِ وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ، وَلَا نَقُولُ إِنَّهُمْ مَعْصُومُونَ بَلْ مجتهدون غما مُصِيبُونَ وَإِمَّا مُخْطِئُونَ لَمْ يَتَعَمَّدُوا الْخَطَأَ فِي ذلك، وما روي من مساوئهم الْكَثِيرُ مِنْهُ مَكْذُوبٌ، وَمِنْهُ مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ أَوْ نُقِصَ مِنْهُ وغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، والصحيح هم فيه معذورون.

- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فِي مُعْتَقَدِ أَهْلِ السُّنَّةِ: وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ، بَلْ يَجُوزُ عليهمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ، وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ والفضائل ما يوجب ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بَعْدَهِمْ، ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ ذَنْبٌ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَةٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ أَوِ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كَفَّرَ بِهِ عَنْهُ. فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ فَكَيْفَ بِالْأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ إِنْ أصابوا فلهم أجران وإن أخطؤا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ. ثُمَّ الْقَدْرُ الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نَزْرٌ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسنهمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَالْهِجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ وَالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَمَا مَنَّ اللَّهُ عليهمْ بِهِ مِنَ الْفَضَائِلِ عَلِمَ يقيناً أهم خير الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ عز وجل. أهـ .

- وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي ذِكْرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ الله عنهم وَفَضَائِلِهِمْ: (وَأَمَّا الْحُرُوبُ الَّتِي جَرَتْ فَكَانَتْ لِكُلِّ طَائِفَةٍ شُبْهَةٌ اعْتَقَدَتْ تَصْوِيبَ نَفْسِهَا بِسَبَبِهَا، وَكُلُّهُمْ عُدُولٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمُتَأَوِّلُونَ فِي حُرُوبِهِمْ وَغَيْرِهَا، وَلَمْ يُخْرِجْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ أَحَدًا مِنْهُمْ عَنِ الْعَدَالَةِ لِأَنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ اخْتَلَفُوا فِي مَسَائِلَ مِنْ مَحَلِّ الْاِجْتِهَادِ كَمَا يَخْتَلِفُ الْمُجْتَهِدُونَ بَعْدَهُمْ فِي مَسَائِلَ مِنَ الدِّمَاءِ وَغَيْرِهَا وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ نَقْصُ أَحَدٍ مِنْهُمْ.

- **وَاعْلَمْ أَنَّ سَبَبَ تِلْكَ الْحُرُوبِ أَنَّ الْقَضَايَا كَانَتْ مُشْتَبِهَةً، فَلِشِدَّةِ اشْتِبَاهِهَا اخْتَلَفَ اجْتِهَادُهُمْ وَصَارُوا ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ:**

قِسْمٌ ظَهَرَ لَهُمْ بِالِاجْتِهَادِ أَنَّ الْحَقَّ فِي هَذَا الطَّرَفِ وَأَنَّ مُخَالِفَهُ باغٍ فَوَجَبَ عليهم نصرته وقتال الباغي عليه فيما اعتقوه، فَفَعَلُوا ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لِمَنْ هَذِهِ صفته التأخير عَنْ مُسَاعَدَةِ إِمَامِ الْعَدْلِ فِي قِتَالِ الْبُغَاةِ فِي اعْتِقَادِهِ.

وَقِسْمٌ عَكْسُ هَؤُلَاءِ ظَهَرَ لَهُمْ بِالْاِجْتِهَادِ أَنَّ الْحَقَّ فِي الطَّرَفِ الْآخَرِ فَوَجَبَ عليهمْ مُسَاعَدَتُهُ وَقِتَالُ الْبَاغِي عليه.

وَقِسْمٌ ثَالِثٌ اشْتَبَهَتْ عليهمُ الْقَضِيَّةُ وَتَحَيَّرُوا فِيهَا وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُمْ تَرْجِيحُ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ فَاعْتَزَلُوا الْفَرِيقَيْنِ، فَكَانَ هَذَا الاعتزال هو الواجب في حقهم، لِأَنَّهُ لَا يَحِلُّ الْإِقْدَامُ عَلَى قِتَالِ مُسْلِمٍ حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو أظهر لِهَؤُلَاءِ رُجْحَانُ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ وَأَنَّ الْحَقَّ مَعَهُ لما جاز لهم التأخير عَنْ نُصْرَتِهِ فِي قِتَالِ الْبُغَاةِ عليه.

فَكُلُّهُمْ مَعْذُورُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَلِهَذَا اتَّفَقَ أَهْلُ الْحَقِّ وَمَنْ يَعْتَدُّ بِهِ فِي الْإِجْمَاعِ عَلَى قَبُولِ شَهَادَتِهِمْ وَرِوَايَاتِهِمْ وَكَمَالِ عَدَالَتِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ) وَكَلَامُ الْأَئِمَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ يَطُولُ.

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الْفِتَنِ أَيَّامَ الصَّحَابَةِ فَقَالَ تاليا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: "تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون" .

خاتمة:

في وُجُوبِ التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالرُّجُوعِ عِنْدَ الاختلاف إليهما، فما خالفهما فهو رد.

٢٧٧. شَـرْطُ قُبُـولِ «السَّعْـيِ» أَنْ يَجْتَمِعَـا — فِـيْـهِ: إِصَـابَـةٌ وَإِخْـلَاصٌ مَـعَـا
٢٧٨. لِلَّـهِ رَبِّ الْـعَـرْشِ لاَ سِـوَاهُ — مُـوَافِـقَ الشَّـرْعِ الَّـذِي ارْتَـضَـاهُ
٢٧٩. وَكُـلُّ مَـا خَـالَـفَ «لِلْـوَحْيَيْـنِ» — فَـإِنَّـهُ: رَدٌّ بِـغَـيْـرِ مَـيْـنِ
٢٨٠. وَكُـلُّ مَـا فِيْـهِ الْخِـلاَفُ نُـصِـبَـا: — فَـرَدُّهُ إِلَـيْـهِـمَـا قَـدْ وَجَـبَـا
٢٨١. «فَالدِّيـنُ» إِنَّمَـا أَتَـى: بِالـنَّـقْـلِ — لَـيْـسَ بِالأَوْهَـامِ وَحَـدْسِ الْـعَـقْـلِ

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: فِي ذِكْرِ وُجُوبِ طَاعَةِ الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - .

الفصل الثاني: في تحريم القول على الله بِلَا عِلْمٍ، وَتَحْرِيمِ الْإِفْتَاءِ فِي دِينِ اللَّهِ بما يخالف النصوص.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ: فِي عِظَمِ إِثْمِ مَنْ أَحْدَثَ في الدين ما ليس منه.

الفصل الرابع: في معنى البدعة، وأن البدع كلها مردودة وفي ذكر أقسامها.

الفصل الخامس: في وجوب الاحتكام إلى الكتاب والسنة في كل ما وقع فيه الخلاف.

الفصل الأول:

في ذكر وجوب طاعة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - .

أولاً: بعض الأدلة من القرآن الكريم على ذلك:

١- قَالَ تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حتى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)} (النساء).

٢- وَقَالَ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليوم الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)} (النساء)

٣- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليوم الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)}.

٤- وَقَالَ تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦)} (الأحزاب).

٥- وَقَالَ تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَاليوم الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)} (الأحزاب).

ثانياً: من السنة:

١- رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - قَالَ: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى} قالوا: وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: («مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى" .

٢- وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - قال: (دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم).

٣- وفي صحيح البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: صَنَعَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئا تَرَخَّصَ فِيهِ وَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً"

٤- وَفِيهِ عَنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم - قال: "لايزال طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حتى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله وهم ظاهرون".

٥- وفي المسند وابن ماجه وغيرهما عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - فَخَطَّ خَطًّا هَكَذَا أَمَامَهُ فَقَالَ: (هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) وَخَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ وخطين عن شماله فقال: (هذه سُبُل الشَّيْطَانِ) ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون") .

٦- وَفِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إلينا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتُ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعليه بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنواجذ) قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

الفصل الثاني: في تحريم القول على الله بِلَا عِلْمٍ، وَتَحْرِيمِ الْإِفْتَاءِ فِي دِينِ اللَّهِ بما يخالف النصوص.

والأدلة على ذلك كثيرة، ونذكر فيما يلي ما تيسر منها:

١- قَالَ تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)} (الأعراف).

٢- وَقَالَ تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦)} (الأحزاب).

٣- وَقَالَ تعالى: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦)} (الاسراء).

٤- وَقَالَ تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عليم (١)} (الحجرات).

٥- وَقَالَ تعالى: "{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)} (المائدة).

٦- وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَقَالُوا: مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ، لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَسَأَلَهُ عَنِ الرُّوحِ، قَالَ: فَأَسْكَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، قَالَ: فَقُمْتُ مَكَانِي، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ: " {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٨٥] " .

٧- وَفِيهِ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرِضْتُ فَجَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - يَعُودُنِي وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا مَاشِيَانِ، فَأَتَانِي وَقَدْ أُغْمِيَ على، فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ على فَأَفَقْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي؟ قَالَ: فَمَا أَجَابَنِي بِشَيْءٍ حتى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ. وَعَلَى هَذَا تَرْجَمَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: بَابَ مَا كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - يُسْأَلُ مِمَّا لَمْ يَنْزِلْ عليه الْوَحْيُ فَيَقُولُ: (لَا أَدْرِي) أو لم يجب حتى يترل عليه الوحي.

٨- وترجم البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: بَابَ مَا يُذْكَرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ وَتَكَلُّفِ الْقِيَاسِ "وَلَا تَقْفُ مَا ليس له به علم" ثم ذكر فيه حديث عبد الله ابن عمرو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ -: يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ تعالى لَا يَنْزِعُ العلم بعد أن أعطاكموه انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون).

الْفَصْلُ الثَّالِثُ: فِي عِظَمِ إِثْمِ مَنْ أَحْدَثَ فِي الدين ما ليس منه.

قال تعالى: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥)} (النحل).

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - قال: (لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا لِأَنَّهُ أول من سن القتل).

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم - قال: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عليه مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ) .

الفصل الرابع: في معنى البدعة وبيان أن البدع كلها مردودة، وفي ذكر أقسامها.

* أولاً: معنى البدعة وأن البدع كلها مردودة:

معنى البدعة هو: شرع ما لم يأذن به الله وَلَمْ يَكُنْ عليه أَمْرُ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم - ولا أصحابه.

- قال تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١)} (الشورى).

- وقال تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)} (التوبة).

- وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - يَقُولُ: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ منه فَهُوَ رَدٌّ). وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عليه أَمْرُنَا فَهُوَ رد).

- وفي السنن عن معاوية - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: أَلَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - قَامَ فِينَا فَقَالَ: (أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وإن هذه الأمة سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة) وفي رواية: (ما أنا عليه وأصحابي) .

- وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - قَالَ: (لَتَتَّبِعُنَّ سنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شبراً بشبراً وذراعاً بذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم) قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اليهود وَالنَّصَارَى؟ قَالَ (فمن). ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْبِدَعَ كُلَّهَا مَرْدُودَةٌ لَيْسَ منها شيء مقبول، وَكُلَّهَا قَبِيحَةٌ لَيْسَ فِيهَا حَسَنٌ. وَكُلَّهَا ضَلَالٌ ليس فيها هدى، وكلها أوزار لَيْسَ فِيهَا أَجْرٌ، وَكُلَّهَا بَاطِلٌ لَيْسَ فِيهَا حق. وهذا ظاهر في قوله - صلى الله عليه وسلم -: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عليه أَمْرُنَا فَهُوَ رد) وفي وصفه الفرقة الناجية بأنهم من كانوا على مثل ما كان عليه - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه.

ومن ذلك أيضاً يتبين معنى البدعة الذي سبق ذكره، وقد أعلمنا الله عز وجل أن العمل المقبول الذي ينفع صاحبه يوم القيامة لابد وأن يجتمع فيه أمران الأول: الإخلاص له تبارك وتعالى وابتغاء وجهه وحده، والثاني: المتابعة لرسوله - صلى الله عليه وسلم - وموافقة سنته. فقال عز من قائل:" فمن كان يرجو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بعبادة ره أحداً" .

*** ثانياً: أقسام البدع:**

١. أقسام البدع بحسب إخلالها بالدين:

أ- البدع المكفرة:

وضابطها مَنْ أَنْكَرَ أَمْرًا مُجْمَعًا عليه مُتَوَاتِرًا مِنَ الشَّرْعِ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ مِنْ جُحُودِ مفروض أو فرض لَمْ يُفْرَضْ أَوْ إِحْلَالِ مُحَرَّمٍ أَوْ تَحْرِيمِ حَلَالٍ، أَوِ اعْتِقَادِ مَا يُنَزِّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ - صلى الله عليه وسلم - وَكِتَابُهُ عَنْهُ مِنْ نَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ لِأَنَّ ذَلِكَ تَكْذِيبٌ بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ رسله صلوات الله وسلامه عليهم كبدعة الجهمية في إنكار صفات الله عز وجل وَالْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ أَوْ خَلْقِ أَيِّ صِفَةٍ من صفات الله، وإنكار أن يكون الله اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَكَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَكَبِدْعَةِ الْقَدَرِيَّةِ فِي إِنْكَارِ عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَفْعَالِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَكَبِدْعَةِ الْمُجَسِّمَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللَّهَ تعالى بِخَلْقِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَهْوَاءِ.

وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْهُمْ مَنْ عُلِمَ أَنَّ عَيْنَ قَصْدِهِ هَدْمُ قَوَاعِدِ الدِّينِ وَتَشْكِيكُ أَهْلِهِ فِيهِ فَهَذَا مَقْطُوعٌ بِكُفْرِهِ بَلْ هُوَ أَجْنَبِيٌّ عَنِ الدِّينِ مِنْ أَعْدَى عَدُوٍّ لَهُ.

وَآخَرُونَ مَغْرُورُونَ مُلَبَّسٌ عليهمْ، فَهَؤُلَاءِ إِنَّمَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِمْ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عليهمْ وَإِلْزَامِهِمْ بِهَا .

ب- الْبِدَعِ الَّتِي لَيْسَتْ بِمُكَفِّرَةٍ:

وَهِيَ مَا لَمْ يَلْزَمْ مِنْهُ تَكْذِيبٌ بِالْكِتَابِ وَلَا بِشَيْءٍ مِمَّا أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ رُسُلَهُ كَبِدَعِ الْمَرْوَانِيَّةِ الَّتِي أَنْكَرَهَا عليهمْ فُضَلَاءُ الصَّحَابَةِ وَلَمْ يُقِرُّوهُمْ عليها وَلَمْ يُكَفِّرُوهُمْ بِشَيْءٍ مِنْهَا وَلَمْ يَنْزِعُوا يَدًا مِنْ بَيْعَتِهِمْ لِأَجْلِهَا، كَتَأْخِيرِهِمْ بَعْضَ الصَّلَوَاتِ إِلَى آخر أَوْقَاتِهَا وَتَقْدِيمِهِمُ الْخُطْبَةَ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِيدِ، وَجُلُوسِهِمْ في نفس الخطبة فِي الْجُمُعَةِ وَغَيْرِهَا، وَسَبِّهِمْ كِبَارَ الصَّحَابَةِ عَلَى الْمَنَابِرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ عَلَى اعْتِقَادِ شَرْعِيَّتِهِ بَلْ بِنَوْعِ تَأْوِيلٍ وَشَهَوَاتٍ نَفْسَانِيَّةٍ وأغراض دنيوية.

٢. أقسام البدع بحسب ما تقع فيه:

أ- البدع في العبادات:

وهي قسمان:

١- التَّعَبُّدُ بِمَا لَمْ يَأْذَنِ اللَّهُ تعالى أَنْ يُعْبَدَ بِهِ الْبَتَّةَ، كَتَعَبُّدِ جَهَلَةِ الصُّوفِيَّةِ بِآلَاتِ اللَّهْوِ وَالرَّقْصِ وَالصَّفْقِ وَالْغِنَاءِ وَأَنْوَاعِ الْمَعَازِفِ وَغَيْرِهَا مما هم فيه مضاهون فعل الذين قال الله فِيهِمْ: {وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥)} (الأنفال).

٢- التَّعَبُّدُ بِمَا أَصْلُهُ مَشْرُوعٌ وَلَكِنْ وُضِعَ فِي غير موضعه، ككشف الرأس مثلاً، فهو فِي الْإِحْرَامِ عِبَادَةٌ مَشْرُوعَةٌ فَإِذَا فَعَلَهُ غَيْرُ الْمُحْرِمِ فِي الصَّوْمِ أَوْ فِي الصَّلَاةِ أَوْ غيرها بنية التعبد كان بدعة محرمة.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - يَخْطُبُ إِذْ هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدُ وَلَا يَسْتَظِلَّ وَلَا يَتَكَلَّمَ وَيَصُومَ، فَقَالَ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ -: (مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ) فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - بِإِتْمَامِ الصَّوْمِ الَّذِي هُوَ عِبَادَةٌ مَشْرُوعَةٌ وُضِعَتْ فِي مَحَلِّهَا، وَإِلْغَاءِ قِيَامِهِ وَسُكُوتِهِ لِكَوْنِهِ وَإِنْ كَانَ عِبَادَةً فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ لكن ليس هذا محله وأمره بالاستظلال لأن تركه ليس بعبادة مشروعة.

- **أما عن حكم العبادة التي وقعت فيها البدعة: فقسمان أيضاً:**

- فقد تكون البدعة الواقعة في العبادة مبطلة لها كمن صلى الرباعية خمساً.

- وقد يكون مخالفة مذمومة وَلَا تُبْطِلُ الْعَمَلَ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ كَالْوُضُوءِ أَرْبَعًا أَرْبَعًا لِأَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - قَالَ فِي الْوُضُوءِ الْمَشْرُوعِ: (فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ، وَلَمْ يقل فقد بطل وضوؤه، وكذا قراءة القرآن راكعاً وساجداً منهي عنه شرعاً ولا يبطل الصلاة.

ب- البدع فِي الْمُعَامَلَات:

كَاشْتِرَاطِ مَا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَلَا فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ – صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم – عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ بَرِيرَةُ، فَقَالَتْ: إِنَّ أَهْلِي كَاتَبُونِي عَلَى تِسْعِ أَوَاقٍ فِي تِسْعِ سِنِينَ، فِي كُلِّ سَنَةٍ أُوقِيَّةٌ فَأَعِينِينِي، فَقُلْتُ لَهَا: إِنْ شَاءَ أَهْلُكِ أَنْ أَعُدَّهَا لَهُمْ عَدَّةً وَاحِدَةً وَأُعْتِقَكِ، وَيَكُونَ الْوَلَاءُ لِي فَعَلْتُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِأَهْلِهَا فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْوَلَاءُ لَهُمْ، فَأَتَتْنِي فَذَكَرَتْ ذَلِكَ قَالَتْ: فَانْتَهَرْتُهَا، فَقَالَتْ: لَا هَا اللهِ إِذًا قَالَتْ، فَسَمِعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَنِي، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «اشْتَرِيهَا وَأَعْتِقِيهَا، وَاشْتَرِطِي لَهُمُ الْوَلَاءَ، فَإِنَّ الْوَلَاءَ لِمَنْ أَعْتَقَ»، فَفَعَلْتُ، قَالَتْ: ثُمَّ خَطَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشِيَّةً، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ، مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ، كِتَابُ اللهِ أَحَقُّ وَشَرْطُ اللهِ أَوْثَقُ، مَا بَالُ رِجَالٍ مِنْكُمْ يَقُولُ أَحَدُهُمْ أَعْتِقْ فُلَانًا وَالْوَلَاءُ لِي، إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ» .

- **من وصايا أئمّة السلف فِي التحذير مِن أهل البدع:**

– عن عبد الله بن عمر؛ أنَه قال لمن سأله عن المنكرين للقدر: (إذا لَقيتَ أولئك؛ فأَخْبِرْهُم أن ابنَ عُمرَ مِنْهُم بَـريءٌ، وهُم مِنْهُ بُرآء؛ ثلاث مرات).

-وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (لا تُجالسْ أَهلَ الأَهواء؛ فإِن مُجالَسَتَهُم مَمرضَة للقَلْب).

-وقال العالم الزاهد الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: (صاحبُ بدعَة لا تَأْمَنْه عَلى دينِكَ، ولاَ تُشَاورهُ في أَمْرِكَ، ولاَ تجلس إليه، ومَنْ جَلَسَ إلى صاحبِ بدعة أَوْرَثَهُ اللهُ العَمَى) يعني في قلبه.

-وقال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: (اللّهُمَ لاَ تَجْعَلْ لِصَاحِبِ بدْعَة عِنْدي يَدا؛ فَيُحبه قَلْبِي).

-وقال أَمير المؤمنين في الحديث سفيان الثوري رحمه الله: (مَنْ أصغى سَمْعَهُ إِلَى صَاحب بِدْعَة وهُو يَعْلَمُ أَنهُ صاحِبُ بِدْعَةٍ؛ نُزِعَتْ مِنْهُ العِصْمَةُ، ووُكِل إلى نَفْسه.

-وقال الإمام الأَوزاعي رحمه الله تعالى: (لاَ تُمكنوا صاحِبَ بِدْعَةٍ منْ جَدَلٍ؛ فَيورثَ قُلوبَكُم منْ فِتْنَتِهِ ارْتيابا).

-وعن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: أَنهُ رأَى قوما يتكلمون في شيء من الكلام؛ فصاح، وقال: (إما أَنْ تُجاورونا بخَيْر، وَإِمَا أَنْ تَقُوموا عنا).

* وقال إمام أَهل السُّنَة أَحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: (إِن أَهلَ البدَعِ والأَهْواء؛ لاَ يَنْبَغي أَنْ يُسْتَعانَ بِهِم في شَيء مِنْ أمورِ المُسْلميَنَ؛ فإِن في ذَلِكَ أَعْظَم الضرر علَى الدين).

وقال: (احذر البِدَعَ كُلَها، ولاَ تُشاور أَحَدا مِنْ أَهلِ البِدَعِ في دينك).

الفصل الخامس: في وجوب الاحتكام إلى الكتاب والسنة في كل ما وقع فيه من الخلاف.

فكل مَا فِيهِ الْخِلَافُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ يجب رده إلى الكتاب والسنة.

- قال تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليوم الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)} (النساء)، فالرد إِلَى اللَّهِ تعالى هُوَ الرَّدُّ إِلَى كِتَابِهِ والرد إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو الرد إلى سنته بعد انقطاع الوحي فما وافقها قُبل وما خالفها رد على قائله كائناً من كان.

- وقال تعالى لِرَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - وَهُوَ أرجح الخلائق عقلاً وأولاهم بكل صواب: {لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥)} (النساء) الآيات، و لم يقل بما رأيت. وهو - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - لَا يَقُولُ فِي التَّشْرِيعِ إِلَّا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِهَذَا لَمْ يُجبِ اليهود فِي سُؤَالِهِمْ إِيَّاهُ عَنِ الرُّوحِ، وَلَا جَابِرًا فِي سُؤَالِهِ عَنْ مِيرَاثِ الكلالة، ولا المجادلة فِي سُؤَالِهَا عَنْ حُكْمِ الظِّهَارِ حتى نَزَلَ القرآن بتفصيل ذلك وبيانه .

- وقال علي بن طَالِب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفِّهِ .

وَأَفْتَى عُمَرُ السَّائِلَ الثَّقَفِيَّ فِي الْمَرْأَةِ الَّتِي حَاضَتْ بعد أن زارت البيت يوم النحر ألا تَنْفِرَ، فَقَالَ لَهُ الثَّقَفِيُّ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - أَفْتَانِي فِي مِثْلِ هذه المرأة بغير ما أفتيت به، فقال عمر إليه يَضْرِبُهُ بِالدِّرَّةِ وَيَقُولُ لَهُ: لِمَ تَسْتَفْتِينِي فِي شَيْءٍ قَدْ أَفْتَى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - ؟.

- وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَفْتَى بِأَشْيَاءَ فَأَخْبَرَهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - بِخِلَافِهِ، فَانْطَلَقَ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى الَّذِينَ أَفْتَاهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ.

- وقال عمر بن عبد العزيز: لا رأي لِأَحَدٍ مَعَ سُنَّةٍ سنها رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عليه وسلم - .

- وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَنَّ مَنِ اسْتَبَانَتْ لَهُ سُنَّةٌ عَنْ رسول - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ أن يدعها لقول أحد من الناس.

- وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِذَا وَجَدْتُمْ فِي كِتَابِي بخلاف رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - فَقُولُوا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - وَدَعُوا مَا قُلْتُ. وَفِي لَفْظٍ: فَاضْرِبُوا بِقَوْلِي عرض الحائط.

- وسأله رجل عن مسألة فأفتاه وقال النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - كَذَا، فَقَالَ رجل: أَتَقُولُ بِهَذَا؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ فِي وَسَطِي زُنَّاراً ؟ أَتُرَانِي خَرَجْتُ مِنَ الْكَنِيسَةِ؟ أَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - وتقول لي أتقول بِهَذَا؟ أَرْوِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - وَلَا أَقُولُ بِهِ! وَفِي لَفْظٍ: فَارْتَعَدَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَاصْفَرَّ لَوْنُهُ وَقَالَ: وَيْحَكَ أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي إِذَا رَوَيْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - شيئاً لم أقل به. نعم، على الرأس والعين.

- وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: مَا مِنْ أَحَدٍ إلا وتذهب عليه سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وَتَعْزُبُ عَنْهُ، فَمَهْمَا قُلْتُ مِنْ قَوْلٍ وَأَصَّلْتُ، فيه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - خِلَافَ مَا قُلْتُ فَالْقَوْلُ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ - وَهُوَ قَوْلِي. وجعل يردد هذا الكلام.

الخاتمة

٢٨٢. ثُـمَّ إِلَـى هُـنَـا قَـدِ انْـتَـهَـيْـتُ وَتَـمَّ مَـا بِـجَـمْـعِـهِ عُـنِـيْـتُ
٢٨٣. سَـمَّـيْـتُـهُ: بِـسُـلَّـمِ الْـوُصُـولِ إِلَـى سَـمَـا مَـبَـاحِـثِ الأُصُـولِ
٢٨٤. وَالْحَـمْـدُ لِلَّـهِ عَلَـى انْـتِـهَـائِـي كَـمَـا حَمِـدْتُ اللَّـهَ فِـي ابْـتِـدَائِـي
٢٨٥. أَسْـأَلُـهُ مَـغْـفِـرَةَ الـذُّنُـوبِ جَـمِـيْـعِـهَـا، وَالسِّـتْرَ لِلْـعُـيُـوبِ
٢٨٦. ثُـمَّ الـصَّـلاَةُ وَالـسَّـلاَمُ أَبَـدَا تَغْشَـى الرَّسُـولَ الْمُصْطَفَـى مُـحَـمَّـدَا
٢٨٧. ثُـمَّ جَـمِـيْـعُ صَـحْـبِـهِ وَالآلِ الـسَّـادَةِ الأَئِـمَّـةِ الأَبْـدَالِ
٢٨٨. تَـدُومُ سَـرْمَـدًا بِـلاَ نَـفَـادِ مَـا جَـرَتِ الأَقْـلاَمُ بِالْـمِـدَادِ
٢٨٩. ثُـمَّ الـدُّعَـا: وَصِـيَّـةُ الْـقُـرَّاءِ جَمِيْعِهِـمْ مِـنْ غَـيْـرِ مَـا اسْـتِـثْـنَـاءِ
٢٩٠. أَبْيَـاتُهَـا «يُسْـرٌ» بِعَـدِّ الْجُـمَـلِ تَأْرِيْخُهَـا «الْغُـفْـرَانُ» فَافْهَـمْ وَادْعُ لِـي

وقد ختم رحمه الله كتابه بذكر اسم كتابه، وسؤال الله تعالى مغفرة الذنوب، والصلاة والسلام على نبيه وصحبه وآله، وطلب الدعاء من القراء، فنسأل الله أن يرحمه رحمة واسعة، وأن يجزل له المثوبة، وأن ينفعنا وطلاب العلم وسائر المسلمين بهذا الكتاب إنه سميع مجيب .

وذطر ان أبياتها (يسر)، وهو رمز لحروف الجمل، والياء = ١٠، والسين = ٦٠، والراء = ٢٠٠، فالمجموع = ٢٧٠، وابياتها في الحقيقة (٢٩٠) بيتًا، وفي نسخة أنه قال: أبياتها المقصود يسر فاعقل، ونحن إذا حذفنا أبياتًا من المقدمة والخاتمة، لبقي ما أشار إليه، ومجموع (الغفران) (١٣٦٢ هـ) فرحمه الله، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

ولله در الشاطبي، حين قال في [خطبة] الحرز:

أَخي أَيُّهَا الْمُجْتَازُ نَظْمِي بِبَابِهِ	يُنَادَى عَلَيْهِ كَاسِدَ السُّوْق أَجْمَلاَ
وَظُنَّ بِهِ خَيْراً وَسَامِحْ نَسيجَهُ	بالاغْضَاءِ وَالْحُسْنَى وَإِنْ كانَ هَلْهَلاَ
وَسَلِّمْ لإِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ إِصَابَةٌ	وَالأُخْرَى اجْتِهادٌ رَامَ صَوْبًا فَأَمْحَلاَ
وَإِنْ كانَ خَرْقٌ فَادرِكْهُ بِفَضْلَةٍ	مِنَ الْحِلْمِ ولْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلاَ
وَقُلْ صَادِقًا لَوْلاَ الْوِئَامُ وَرُوحُهُ	لَطَاحَ الأَنَامُ الْكُلُّ فِي الْخُلْفِ وَالْقِلاَ
وَعِشْ سَالماً صَدْراً وَعَنْ غِيبَةٍ فَغِبْ	تُحَضَّرْ حِظَارَ الْقُدْسِ أَنْقَى مُغَسَّلاَ
وَهذَا زَمَانُ الصَّبْرِ مَنْ لَكَ بِالَّتِي	كَقَبْضٍ عَلَى جَمْرٍ فَتَنْجُو مِنَ الْبَلاَ
وَلَوْ أَنَّ عَيْنًا سَاعَدتْ لتَوَكَّفَتْ	سَحَائِبُهَا بِالدَّمْعِ دِيمًا وَهُطَّلاَ
وَلكِنَّها عَنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ قَحْطُهَا	فَيَا ضَيْعَةَ الأَعْمَارِ تَمْشِي سَبَهْلَلاَ
بِنَفسِي مَنِ اسْتَهْدَى إلى اللهِ وَحْدَهُ	وَكَانَ لَهُ الْقُرْآنُ شِرْبًا وَمَغْسَلاَ
وَطَابَتْ عَلَيْهِ أَرْضُهُ فَتَفَتَّقَتْ	بِكُلِّ عَبِيرٍ حِينَ أَصْبَحَ مُخْضَلاَ
فَطُوبى لَهُ وَالشَّوْقُ يَبْعَثُ هَمُّهُ	وَزَنْدُ الأَسَى يَهْتَاجُ فِي الْقَلْبِ مُشْعِلاَ
هُوَ الْمُجْتَبَى يَغْدُو عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ	قَرِيباً غَرِيباً مُسْتَمَالاً مُؤَمَّلاَ
يَعُدُّ جَمِيعَ النَّاسِ مَوْلى لأَنَّهُمْ	عَلَى مَا قَضَاهُ اللهُ يُجْرُونَ أَفْعَلاَ
يَرَى نَفْسَهُ بِالذَّمِّ أَوْلَى لأَنَّهَا	عَلَى المَجْدِ لَمْ تَلْعقْ مِنَ الصَّبْرِ وَالأَلاَ
وَقَدْ قِيلَ كُنْ كَالْكَلْبِ يُقْصِيهِ أَهْلُهُ	وَمَا يَأْتَلِي فِي نُصْحِهِمْ مُتَبَذِّلاَ
لَعَلَّ إِلَهَ الْعَرْشِ يَا إِخْوَتِي يَقِي	جَمَاعَتَنَا كُلَّ المَكَارِهِ هُوَّلاَ
وَيَجْعَلُنَا مِمَّنْ يَكُونُ كِتَابُهُ	شَفِيعاً لَهُمْ إِذْ مَا نَسُوْهُ فَيَمْحَلاَ
وَبِاللهِ حَوْلِي وَاعْتِصَامِي وَقُوَّتِي	وَمَالِيَ إِلاَّ سِتْرُهُ مُتَجَلِّلاَ
فَيَا رَبِّ أَنْتَ اللهُ حَسْبِي وَعُدَّتِي	عَلَيْكَ اعْتِمَادِي ضَارِعًا مُتَوَكِّلاَ

وكان ختامه سحر الخميس الموافق الخامس عشر من شهر ذي القعدة لعام اثنين وثلاثين وأربعمائة وألف من الهجرة المباركة، الموافق للثالث عشر من الشهر العاشر سنة ٢٠١١ من الميلاد.

وكتبه وجلا وحرره خجلا:

أبو عبد الله / عمرو بن صبحي الشرقاوي

ثبت أهم المراجع

١. معارج القبول .
٢. مختصر معارج القبول، ش/ هشام عقدة .
٣. شرح الطحاوية، ش/ آل الشيخ .
٤. شرح الواسطية، ش/ آل الشيخ .
٥. المجلى شرح القواعد المثلى، د. الكواري .
٦. شرح سلم الوصول، ش/ المحمود .
٧. مجموع الفتاوى .
٨. تسهيل العقيدة الإسلامية، ش/ الجبرين .
٩. شرح الطحاوية، ش/ الغفيص .
١٠. أصول الإيمان، نخبة من العلماء .
١١. شرح كتاب التوحيد، ش/ آل الشيخ .
١٢. الوجيز في عقيدة السلف، ش/ الأثري .
١٣. سلسلة العقيدة، د/ عمر الأشقر .
١٤. رسائل في العقيدة، ش/ الحمد .
١٥. شرح الواسطية، ش/ ابن عثيمين .

الفهرس